

الموسوعة الشامية في تاريخ الجوار الصليبي

صليبية رتشارد قلب الاسد
نظمها بالفرنسية القديمة
أمبرويز

تأليف وتحقيق وترجمة
الأستاذ الدكتور سهيل زكار

الجزء الثاني والثلاثون (١)

دمشق ١٤١٩ / ١٩٩٨

الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية

صليبية رتشارد قلب الاسد
نظمها بالفرنسية القديمة
أمبرويز

تأليف وتحقيق وترجمة
الاستاذ الدكتور سهيل زكار

دمشق ١٤١٩ / ١٩٩٨

المجلد الثاني والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

أعود الآن مجدداً الى ما يدعى بالحملة الصليبية الثالثة لأقدم آخر النصوص الهامة حولها، وبهذا النص أختتم المجلدات الأربعة التي استدركتها على الحلقة الأولى من موسوعتنا، وسأنتقل بعونه تعالى نحو الحملة الخامسة وماتلاها، وذلك مع نصوص الرحلات ونصين آخرين هامين جداً.

وسلغت الإشارة الى أهمية الحملة الثالثة، ومن هنا تأتي أهمية مصادر أخبارها، ومصدرنا اليوم وثائقي عاصر الحملة، أو نهل عمن عاصرها، وساق أخبارها شعراً، حوى صوراً رائعة، فللشعر دوماً أدائه المتميز.

وفي مدخل هذا المجلد دراسة مركزة حول هذا الشعر ومصادره وأهميته ومقارنته بمواد المجلد المتقدم، وأضفت مواد هذا الشعر، مثل مواد المجلد المتقدم القداسة على أعمال رتشارد الثاني ملك انكلترا، لكن على الرغم من كل ذلك، لقد كان هذا الملك طائشاً دموياً متهوراً، حمل عقلية القرصان، ونفسية متعطشة للثروة والذهب بأي ثمن كان، فهو قد باع كل شيء في مملكته، ولو وجد من يشتري لندن منه لباعه إياها، وعندما حط رحاله في صقلية نهب أهلها، وابتز ملكها، ثم قصد قبرص فاجتاحها وسلبها واستولى عليها، ولم يغير سلوكه هذا في فلسطين فهو على هذا لم يقدر حملة مقدسة، بل خاض حرباً استعمارية بشعة، وبذلك خط الطريق للحملة الرابعة التي اجتاحت القسطنطينية وأراضي الامبراطورية البيزنطية.

وأعود لأذكر بالدروس التاريخية المستفادة من هذه الحملة، وعلى رأسها أنه بفضل الوحدة فيما بين مصر الشام استطاع صلاح الدين الصمود، واحباط أهداف الحملة، فمن ذلك الحين شكلت دولة الشام ومصر المكافئ للغرب الصليبي، والمسؤول عن الثقافة العربية والحضارة الاسلامية حتى تاريخ استيلاء العثمانيين على هذه البلاد، ولذلك على العرب في الشام ومصر التوحد مجدداً حتى تجتمع الأمة من جديد، ولكي تجري أعمال استئناف تحرير فلسطين، كل فلسطين.

ومن الدروس التاريخية لهذه الحملة ما تعلق بدور الامبراطورية البيزنطية، فقبلها قدمت بيزنطة التسهيلات الكبيرة للفرنجة الزاحفين براً، وتدخلت مراراً لحماية دويلات الفرنجة في الشام، لكن نجاح نقل القوات الانكليزية والفرنسية بحراً آذن بالاستغناء عن الأراضي البيزنطية، وبالتالي عن الدور البيزنطي كله، ونظراً لشهرة بيزنطة بالشراء، ولتعطش ملوك الفرنجة للذهب والثروة، كانت القسطنطينية أول ضحاياهم، وبذلك عجلوا في دمار الامبراطورية وسيرها نحو الزوال من الوجود.

وهذه الدروس مفيدة جداً في أيامنا هذه، فبالوحدة يمكن للعرب السير نحو العتق من الصلف والرعونة الأمريكية-الصهيونية، ولعل بين قادة تركيا من يتعظ بدروس التاريخ فيدرك مآل التعاون مع الصهيونية.

هذا وليس من السهل نقل الشعر التاريخي الملحمي الى العربية، فهو حتماً سيتحول الى نثر وإن تمت المحافظة على تقسيمات أبياته، ولقد بذلت غاية الجهد في سبيل الحفاظ على شيء من الروح الشاعرية لكن ليس على حساب الأمانة بالترجمة ودون أدنى تصرف بالمعاني والمادة الإخبارية، ولقد كان بودي الجمع في هذا المجلد بين الفائدة الأدبية الشعرية والفائدة التاريخية، وهذا ماتعذر علي، ولقد آثرت الهدف التاريخي على سواه، فموسوعي تاريخية بالدرجة الأولى.

- ١١٩٢ -

لاشك أن القارئ العربي والباحث بات الآن يمتلك مادة شاملة
حول أحداث الحملة الثالثة، التي كانت الفيصل بين جميع
الحملات، والله الموفق والمستعان وله دوماً الحمد والشكر، ومنه جل وعلا
أستمد العون لاكمال هذا المشروع الذي سيصل الى ستين مجلده.
والصلاة والسلام على نبينا المصطفى وعلى آله وأصحابه أجمعين.

سهيل زكار

دمشق ٢٦ محرم ١٤١٩ هـ

٢٢ أيار ١٩٩٨ م

مدخل

لشعر المقدم هنا قيمة استثنائية لكل من المؤرخ وتلميذ الأدب الوسيط ، فبين جميع الروايات التي تحدثت عن صليبية رتشارد وكتبت من قبل الذين عاشوها يقدم كتاب أمبريز الحامل لعنوان « تاريخ الحملة المقدسة » وكتاب « رحلة الملك رتشارد » أكمل روايات فيها إحاطة بما حدث ، نمتلكها حتى الآن ، فهذان الكتابان يغطيان بالفعل الجزء الأعظم من معلوماتنا الواقعية حول هذه الحملة التي كتب لها الاحباط ، ومرويات شهود العيان دوماً ثمينة ، وقيمتها مضاعفة بالنسبة لأحداث العصور الوسطى ، لأن الذي بقي لنا ووصل إلينا لا يتعدى القليل من المدونات ، وبالنسبة لكتاب « تاريخ الحملة المقدسة » هو كتاب شاهد عيان ، وهو كتاب بالنسبة لعدد كبير من العلماء المختصين مقبول كما هو ، ومثمن ومصدق ، وكما سنذكر في المستقبل في هذا المدخل ، يعد النص الذي نقدمه الآن نسخة طبق الأصل عن الرواية المباشرة لواحد كان قد رأى الأحداث التي تولى وصفها ، ولدينا من الأسباب ما يدعونا الى الاعتقاد أن النص الحالي قلّد النص الأصلي ونسخه بشكل صحيح ودقيق الى أبعد الحدود ، وأنه قد كتب بعد أمد وجيز من انتهاء الحملة الصليبية ، وعلى هذا يمتلك قيمة وثائقية ويساوى الى أبعد الحدود الرواية الأولى المباشرة.

أهمية الشعر

يحتل هذا الشعر كقطعة أدبية وفنية مكانة فريدة ، ويمثل حال الانتقال فيما بين وضع الحكايات البطولية لأناشيد الأعمال وبين الروايات المصنفة نثراً من قبل كتاب مثل فلهاردين وجوانفيل ، ومهما كان موقفنا تجاه النظريات المتعلقة بأصل الملحمة التي قدمها جوزف بيديروالذين اتبعوا خطاه ، يمكننا بثقة أن نفترض أن انسان العصور الوسطى تقبل بمثابة حقائق ما جاء في حكايات شارلمان ، ووليم أوف أورانج ، ودون أوف مينيس mayence وهي الحكايات التي زودت أناشيد الأعمال بإدتها ، وبذل الشعراء جهوداً كبيرة في سبيل تأكيد مصداقية حكاياتهم ، وطوقوا هذه الحكايات وأحاطوها بشيء يشبه الأجواء البطولية المثيرة ، مع أنهم يروون حكايات حوادث يفترض أنها وقعت قبل ثلاثمائة سنة أو أربعمائة قبل ولادتهم ، وصلب هذه الحكايات بالنسبة لهم تاريخ قديم .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر لدينا في التاريخ الذي بين أيدينا كاتب يتولى حكاية وقائع حديثة كانت ما تزال قائمة بذاكرة أناس سمعوا كلماته أو قرأوها ، ولقد تولى سرد رواياته بشعر منظوم وكان هذا بالنسبة للذين كانوا لا يعرفون اللاتينية فصلاً عظيماً من التاريخ المعاصر ، ولدينا هنا مراسل تولى بالدارجة رواية أخبار آخر الأحداث في الصراع في سبيل خنق الاسلام وإبقاء الغرب الأوروبي للمسيحية ، وقد كتب نظماً لأنه كان شاعراً جوالاً ومغنياً ، تدرب على فن الكتابة وكان الشعر المنظوم هو الوسيلة الطبيعية والمتوارثة في رواياته حكاية تطلب الحال قراءتها بصوت مرتفع مسموع ، ولقد روى وقائع وحكايات تناولت أكثر من مسائل زحف الجيوش ومجيء الحكام خلف بعضهم بعضاً ، والخلافات بين الأسر الحاكمة ، لقد حكى لنا كيف عاش

الانسان العادي وشعر، وشرب ونام، وجاء من بعده فيلها ردين وجوانفيل، وكانا ممن انتمى الى الارستقراطية كما كانا من العسكريين، وقد قدما رواياتيهما نثراً لأنهما كانا رجلاً أفاعيل لا يمتلكان البراعة على نظم الشعر ومعهما جاءت كتابة التاريخ بالدرجة الى الوجود، والذي كان موجوداً قبلهما أولاً الكتابات باللاتينية التي قدم أصحابها الأخبار السياسية والعسكرية الجافة، وكان في الجهة المقابلة «أناشيد الأعمال» الحاوية لكميات هائلة من التقاليد، والأساطير، والدعاية والخيال، وأما الآن فقد بتنا نمتلك بدايات الكتابات التاريخية، وفق معاني هذا الاصطلاح المعاصر.

مصادر الشعر وعلاقته بكتاب

رحلة الملك رتشارد إلى أراضي القدس المقدسة

جاء كتاب « تاريخ الحملة المقدسة » الى النور للمرة الأولى عندما نشر غاستون الباريسي طبعته المحققة من النص مع مواد نقدية محكمة الصنعة، وكان ذلك سنة ١٨٩٧، وكانت مخطوطة هذا الكتاب مودعة على رفوف مكتبة الفاتيكان منذ قرون دون أن تثير انتباه أحد، وذلك في وقت تقبل فيه مؤرخو الحروب الصليبية النص الشري من التاريخ واعتمدوه، وأعني بذلك « حملة الملك رتشارد » التي أعطينا رواية نظيرة، لكن تختلف بعض الشيء في تفاصيل الحوادث المروية من قبلهما، وبعدهما درس غاستون الباريسي العملين معاً، قدم في مدخله الدراسي بعض المحصلات التي توصل اليها فيما يتعلق بنظام الشعر وأصاله عمله، وجرى فيما بعد تأكيد بعض هذه المحصلات ورفض بعضهما الآخر من قبل الأبحاث التي جاءت من بعده.

وأطلق ناظم الشعر على نفسه اسم أمبرويز في كثير من الأماكن في شعره ، واستخلص غاستون من هذا أن أمبرويز هذا كان حاضراً شخصياً وشاهداً لمعظم أحداث الحملة الصليبية الثالثة التي تولى حكايتها، وعلى هذا من المتوجب تقبل روايته على أنها رواية شاهد عيان ، باستثناء جزء الرواية الذي يعالج حصار عكا قبل وصول رتشارد ملك انكلترا ، وفيليب ملك فرنسا ، وظهورهما على مسرح الأحداث ، وأوضح الشاعر بشكل محدد عدم امتلاكه لأيّة معلومات شخصية حول مجريات هذه الأحداث ، التي مع هذا احتلت شطراً كبيراً من شعره (الأبيات ٢٣٨٧ — ٤٥٦٨) ، لكنه رواها اعتماداً على واحد سواء ، ولقد شغلت هذه الرواية مواد الفصل الأول من كتاب الحملة وتوصل العالم الفرنسي الكبير، إثر تأسيسه مناقشاته على مجموعة من أجزاء البيانات الداخلية للنص الى مجموعة من الحقائق ، التي أيدتها الأبحاث المستفيضة وصححتها بالتفاصيل ، لكن ليس بشكل أساسي، وكان ما توصل اليه هو : لم يكن أمبرويز لا فارساً من الفرسان ولا رجلاً حمل السلاح ، كما أنه لم يكن كاهناً ، بل كان قارئاً جيداً للشعر الفرنسي في أيامه ، الأمر الذي أشار اليه في عدد كبير من النقاط ، وقد عرف قليلاً أو لا شيء من الأدب اللاتيني ، وكان وفق جميع الاحتمالات مغنياً جوالاً أو شاعراً محترفاً ، وكان من أصل نورماندي ، ثم إن إشارات المتوالية لشخصيات غير معروفة من أحواز منطقة افرو Evreux تسوغ افتراض أنه كان شخصياً من أبناء تلك المنطقة ، ومخطوطة الفاتيكان هي النسخة الوحيدة المعروفة أنها بقيت من نسخ الكتاب ، ويبدو أنها كتبت في انكلترا في حوالي نهاية القرن الثالث عشر ، وعلى الرغم من حقيقة سماتها الأنكلو — نورمانديه ، إن البيانات المتوفرة لا تبرهن أن الأصل تمّ نظمه بذلك اللسان ، كما أننا لا نمتلك ما يبرهن على العكس .

وفي الوقت الذي يمكن فيه قبول تعليقات غاستون الباريسي والوثوق بها ، يبدو أن محصلاته فيما يتعلق بأصل الشعر وعلاقته « برحلة رتشارد » اعتمدت على افتراض ما هو موائم أكثر مما هو مقنع ، وباختصار أمامنا في واقع الحال نصين : واحد هو تاريخ كتب نثراً باللاتينية ، والثاني رواية شعرية كتبت بالفرنسية القديمة ، ويقدم هذان النصان - مع استثناء واحد - روايتين عن الحملة الصليبية الثالثة متشابهتين بالكلمة والمقطع مما يُظهر بداهة وجود علاقة بينهما لا يمكن الجدال حولها ، والاستثناء هو ما تقدمت الإشارة إليه من أن الشعر يحتوي على إضافة هي رواية عن حصار عكا قبل وصول ملكي انكلترا وفرنسا ، وبالنسبة لهذه الإضافة نلاحظ هنا أن التماثل بين العاملين أقل أهمية مما هو في أي مكان آخر ، حيث التناظر واضح بشكل كامل .

وقبل اكتشاف « تاريخ الحملة المقدسة » كان مقبولاً بشكل عام أن كتاب « رحلة رتشارد » هو عمل أصيل من إنتاج رجل دين اسمه رتشارد ، أسهم شخصياً في الحملة الصليبية وكتب إما بناء على طلب من أو تحت إشراف وتوجيه راعي دير الثالوث المقدس في لندن ، وجاء هذا على الرغم من حقيقة أن كتاب De expugnatio Terrae sanctae persaladium Libelleec وهو واحد من بين الشواهد القليلة المتبقية ، ذكر بكل بوضوح ودون وجود أدنى إمكانية لسوء الفهم بأن كتاب الحملة قد ترجم من الفرنسية ، غير أن ستب STUBBS الذي تولى إخراج الطبعة الأساسية من كتاب الرحلة أكد بدون تردد : « أنه من المحال أن يكون الكتاب كتاباً مترجماً » وكان قد كتب هذا عام ١٨٦٤ عندما نشر مجموعة من المصادر الأساسية عن حكم رتشارد ، وقد ساق عدداً من البراهين ليوضح أن مؤلف الـ Li-bellus لا بد أنه كان مخطئاً أو مضللاً ، وقبل بالقول أنه إذا وجد أي

نوع من الترجمة لا يعدو وضع بعض الملاحظات التي وردت ودونت باللغة الدارجة الجافة عما حدث أثناء الرحلة ووضعها باللاتينية الرسمية، توصل غاستون الباريسي الذي أنقذ من الإهمال شعراً مبرويز الذي طال دفته ، الى أن هنا المصدر الذي ترجم عنه الكاهن الانكليزي كتاب « الرحلة » وبذلك أهمل أو رفض بالتفصيل حجج ستب ، التي كانت طبيعتها غير ايجابية تماماً ، وأكد أن متابعة النقاش حولها عملاً ليس مجدياً بعدما اكتشفنا الأصل الفرنسي من الكتاب ، الذي تولى رتشارد التابع لدير الثالوث المقدس وضعه باللاتينية ، وصرح بوضوح أن رتشارد قام عن عمد بانتحال الكتاب وأراد أن يضلل الناس ويجعلهم يعتقدون أنه شارك في متاعب ومفاخر الحملة الصليبية وكان شاهد عيان للأحداث التي تولى رواية أخبارها .

وناقش المسائل وجاءت مناقشاته بشكل أساسي حسبما يلي :
أولاً يحتوي النص اللاتيني على عدد كبير من آثار كلمات شعرية منظومة التي يوجد بعضها في عدد كبير من أبيات شعر أمبرويز يضاف الى هذا هناك بعض الأسماء المزدوجة التي لا بد أنها وجدت في بعض أجزاء الشعر وقد فقدت من خلال إهمال النساخ ، وثانياً يوجد في نص الكاهن رتشارد اللاتيني بعض الأخطاء ، أو التناقضات ، الأمر الذي يمكن شرحه فقط على أساس الافتراض أن رتشارد لم يفهم النص الفرنسي الذي اعتمد عليه ، وفي إحدى الحالات لم يكن معتاداً على أدب الملاحم الفرنسية القديمة ، مما قاده إلى إقتراف بعض الأخطاء المضحكة ، مثل الذي تعلق بأنغولاند Angoland الذي كان واحداً من الشخصيات المعروفة في ذلك الأدب ، ولعل الأهم من هذا كله حسب تأكيدات غاستون الباريسي أن الكلمات والمقاطع التي وردت في نص رتشارد والتي ليس هناك ما يوازئها في الشعر الفرنسي تظهر من خلال الفحص أنها كانت كلمات للزينة أو مجرد ألفاظ

بلاغية ، وهي على هذا لا تضيف شيئاً لحقائق الرواية ، لأنها بالأساس نوع من أنواع العروض التي هدفت الى إظهار البراعة الأدبية وسعة المعرفة ، التي غالبا ما استهدف رجال الدين للعصور الوسطى من ورائها بهر عيون قرائه ، وأكد ناقدنا أنه من غير المتصور أن يقدم شاعر على ترجمة هذا النوع من العمل التزييني الى لغة سهلة ورواية شعرية مباشرة هي التي نجدتها في التاريخ ، هذا من جهة ومن جهة أخرى ، كثيراً ما حدث أن قام المتعلمون اللاتين بتزيين الكتابات السهلة التي دونت باللغة الدارجة بمثل هذه الورود الأدبية التي رأوا أنها ضرورية للرفع من شأنها .

وبالتخلي هكذا جملة واحدة عن الأجزاء الموجودة في نص رتشارد التي لا نظير لها في « التاريخ » أهمل غاستون الباريسي ، أو شرح بطريقة غير مرضية مجموعة متنوعة من البيانات لدى قيامه بالمقارنة بين الكتابين ، وعرض ذلك أمام عين القارئ ، فقد قام رتشارد بالحقيقة بتقديم قطع عديدة من المعلومات ، لا يحتاج المرء الى خيال خصب ليقول إنها تزيين بلاغي ، ومن ذلك بين كثير : الوصف المفصل لرحلة رتشارد من تور الى فيزلي ، ومن فيزلي الى ليون ، والاجتماع فيما بين الملك رتشارد وتانكرد في صقلية ، والخصام بين البيازنة والجنوبيين ، والتفاصيل المتعلقة بوصف جغرافية كريست ، وأسماء الأساقفة الثلاثة الذين كانوا حضوراً أثناء زواج الملك ، ورواية الرحلة التي قام بها الملك لتفحص غزة والداروم ، وعدد كبير من التواريخ المحددة ، وهذه لائحة من الممكن اطالتها كثيراً .

وعلل غاستون الباريسي وجود هذه المواد الاضافية في « الحملة » بواحد من الاحتمالات التالية : فذلك كان إما بسبب (١) أن هذه المواد استقيت من كتاب رحلة رسمي عن حملة الملك رتشارد ، أو (٢) أنها أضيفت من قبل مصنف الكتاب اللاتيني من خلال معلوماته

الشخصية أو من خلال مصدر غير محدد ، أو (٣) أنها وجدت أصلاً بالأصل الفرنسي الشعري ، لكنها حذفت أو فقدت من قبل النساخ الذين قاموا بتحويل النص ونسخه ليستخدم من قبل الأجيال القادمة ، وفي الوقت الذي هو صحيح أن هذه الشروح بالنسبة لبعض القضايا قائمة في نطاق مملكة الاحتمالات ، صحيح أيضاً وبشكل مساوٍ أنها تستند على الحدس وليس على البرهان .

ومن المتوجب أن نشير إلى حقيقة أن أمبروز لديه بعض المواد التي لا يوجد ما يعادلها في «الرحلة» من ذلك يمكن أن نذكر على سبيل المثال التفاصيل المتعلقة بالرسائل التي أرسلها الملك تانكرد إلى الملك رتشارد ، وأسماء رجال الكنيسة الذين أعدوا شروط السلام فيما بين الحاكمين ، (البيت ١٠٠٧ وما يليه) وكذلك الاتيان على ذكر النسب الرفيع لغني دي لوزغنان (البيت ١٧٢٢ وما يليه) والدعوة المستعجلة من الملك فيليب إلى الملك رتشارد (أبيات ١٨٧٩ — ١٩٠٦) وأشياء أخرى كثيرة .

وقامت كيت نورغيت التي كتبت في سنة ١٩١٠ بإخضاع القضية إلى مزيد من التحليل ، ففي الوقت الذي أعطى فيه غاستون الباريسي سنة ١١٩٦ بمثابة التاريخ المحتمل لنظم الشعر الفرنسي ، قدمت الآنسة نورغيت دليلاً على أن التاريخ ينبغي أن يكون فيما بين أيلول ١٢٠٣ وتشرين الثاني ١٢٠٧ ، ورسا برهانها على أن اشارات أمبروز بصيغة الفعل الحاضر وبصيغة الفعل الماضي إلى مختلف شخصيات الحملة الصليبية ، قد لا تحمل ما يقنع إلى الذين اعتادوا على تسبب استخدام صيغ الأفعال في الفرنسية القديمة ، ومع هذا قدمت قضية مقنعة ، فبعد ما درست « الرحلة » بطريقة مماثلة هذه الرحلة التي وصلتنا من خلال ثلاث مخطوطات توصلت إلى المحصلات التالية :

فمن خلال النسخة الأقدم للرحلة - مما هو متوفر لنا الآن - لم

تكتمل هذه النسخة حتى ما بعد ٦ — نيسان ١١٩٩ ، وأن الخاتمة في مخطوطة (جـ) من المحتمل أنها أضيفت ليس قبل ١٢٠٢ ، وأن فقرة واحدة في (lib,i) قد كتبت قبل أيلول ١١٩٢ ، وأنه من الناحية التاريخية يحتمل أن الكتاب كله - باستثناء خاتمة مخطوطة (جـ) حسبما هي الآن - قد كتب قبل هذا التاريخ .

ولاحظت أن هناك بعض الفقرات التي تتعارض مع هذه المحصلة ، فعللت ذلك وردته الى احتمال أنه أقحم بالنص فيما بعد ، وبالفعل لا نمتلك سبباً لرفض قولها بأن : « التاريخ والرحلة قد صنفوا في زمن متقارب من بعضهما بعضاً » ، لكن البيانات التاريخية « غير كافية » لتقرير أي واحد من الكتابين بشكله الأصيل هو الأقدم «وبعدما رفضت الأنسة مورغيت إلغاء غاستون الباريسي وحذفه لرتشارد الثالث المقدس ووصفت اسقاطه له على أنه عمل مشين ، مضت نحو حياكة - لكن بالنسبة لتفكيرنا ليس نحو البرهنة - فرضية ، شارك - وفقاً لها — كل من رتشارد وأمبرويز في الحملة الصليبية ، وكانا في الحقيقة صديقين وأبناء لمهنة الكتابة ، وفي الوقت الذي أسهمت فيه الأنسة نورغيت اسهاماً عظيماً في حل هذه المسألة ، إن كتلة البراهين التي جمعتها كما يبدو غير كافية لتسويغ استنتاج ، لعل الأفضل أن نقوم بعرضه بكلماتها :

«ذهب شاعر نورماندي اسمه أمبرويز ، ورجل دين انكليزي يفترض أنه كان ريتشارد «الداوي» الذي كان شماساً في دير الثالث المقدس في لندن ، مع بعضهما في الحملة الصليبية بمثابة رفيقين وصديقين، وفي أثناء الحملة دوّن رتشارد بعض الملاحظات إما بالفرنسية أو باللاتينية ، حول ما عاناه احدهما أو كلاهما معاً بشكل خاص والحشد كله بشكل عام ، كما دوّن أيضاً ما توفر له من معلومات وما استطاع أن يجمعه حول حصار عكا ، من البداية حتى وصولهما الى هناك وقد تولى وضع جزء من

هذه الملاحظات على شكل عمل أدبي كامل الى حد ما ، وفعل ذلك قبل نهاية الحملة الصليبية ، ثم قام بعد سنوات بتصنيف الجميع واخراجهم على شكل كتاب ، هو كتابه الذي وصل إلينا، لكن في الوقت نفسه ، وقبل أن يقوم بهذا العمل، ربما كان قد أعار مسودته الاولى لصديقه النورماندي ، وأن ذلك كان وهما ما يزالان في الأرض المقدسة ، وسبب الاعارة لتتخذ قاعدة لمدونة أخرى حول الحملة الصليبية نفسها، التي عزم الكاتب الأخير على تصنيفها على شكل أناشيد الأعمال التاريخية ، وبالنسبة لما يتعلق بصلب الرواية التاريخية ، كان الذي فعله أمبروز هو ترجمة ملاحظات رفيقه ، ولعل ذلك كان من اللاتينية الى الفرنسية ، أو ربما فقط نقل من النثر الى الشعر ، وتولى الحاق اضافات وحذف وغير حسبما اقترحت عليه أحكامه الخاصة ، وحسبما زودته به ذاكرته حول ما وقع ، وبالنسبة لمدخل التاريخ أردع أيضاً ما التقطه من الذين كانوا موجودين على مشهد الأحداث قبله ، ومن جانب آخر لابد أن كتاب رتشارد تلقى أيضا اضافات وتعديلات من مصنفه عندما شرع في اعادة النظر به من أجل نشره ، لكن من الواضح أنه لم يراجع مراجعة نهائية من قبله ، وهكذا ظل يحتوي على بعض النواقص والاضطرابات ، مثل الضياع بشأن أنغولاند ، والاضطراب بشأن غارنيير اوف نابلوس ، وحول فدية وليم دي برو، وهي أمور لابد أنها كانت موجودة في ملاحظاته الأساسية ، لكنها نسييت في المعسكر وسط ضجيج الحرب ، الذي لم يترك له فرصة ليفكر بها بشكل منادى ، ولهذا بقيت دونها تصحيح وكررت من قبل ناسخ أول فنانسخ آخر ، ومن نسخة أولى الى نسخة أخرى .

وكلما تعمق الانسان في فحص هذين الكتابين ودقق في ذلك ، كلما اتضح له وتصور شيئين : أولهما إن شعر أمبروز لا يمكن أن يكون ترجمة من « الرحلة » وثانيهما إن « الرحلة » لا يمكن أن تكون ترجمة عن أمبروز ،

ومع هذا من الواضح والبدهي إن الكتابين بلا شك ولا نكران قريبين من بعضهما من بعض الجوانب ، وتوصل المحققون لهذه الطبعة الى محصلة تفيد بأن الكتابين صدرا عن مصدر واحد هو الآن مفقود ، وكانوا مسرورين كثيراً عندما وجدوا أن السيد ج . غ . أ دوارز قد توصل من خلال دراسة نافذة ومعمقة الى النظرية نفسها ، وعرض كمية كبيرة من البراهين تؤيد ما ذهب إليه أن المؤلف غير المعروف للأصل المفقود قد كتب بالفرنسية، وربما كتب نثراً، ونحن نعتقد أن الافتراض الأول بين هذين الافتراضين معقول، لكن الثاني قائم على بيئة حدسية. وبالنسبة لموقف السيد ادواردز الكامل نشير هنا الى بحثه الذي سوف نغامر فنضمّن هنا فقط ملخصاً لبعض الأجزاء الهامة منه، فإحدى النقاط الهامة- على سبيل المثال- تحتوي على اشارتين الى أنغولاند، الملك المسلم الذي ظهر في نشيد أعمال كتب بالفرنسية القديمة تحت اسم أسبريمونت Aspremont، وأشار «التاريخ» الى مدينة مسينا كما يلي:

إنها بلدة جيدة وذات موقع جميل

في صقلية، وتطل على

بيت النور (الفاروس) الذي منه يرى الانسان

ريغيو التي استولى عليها أنغولاند

وهنا اشارة الى معلومات صحيحة حول محتوى الأسبريمونت، أي أن أنغولاند قد استولى على ريغيو بالقوة، وتحدث الفقرة النظرية لهذه في الرحلة عن مسينا كما يلي: «- Situ Amoena et plurimum com- modo in confinio siciliae et Risae quae illi famoso Agolando dicitur olim fuisse 1ro servitio suo collata»

ويمكن أن يعني هذا فقط أن الكاتب عدّ روغيو أنها قد منحت لأنغولاند بمثابة اقطاع مقابل خدمات جرى تقديمها، وبناء عليه اعتقد

أن أنغولاند كان باروناً مسيحياً، ووفقاً لما قاله غاستون الباريسي هذا يعني أن مؤلف «الرحلة» قد أساء فهم «تاريخ الحملة المقدسة» وأخطأ في ترجمته، وتبعاً لما ذهبت إليه الأنسة نورغيت كان الكاهن الذي كتب «الرحلة» غير متمكن من فهم الأدب اللاديني، فسقط في تلك البقعة وأساء فهم بعض قطع أسطورة وضعت أمامه بوساطة كلمات الفم، وقد شاهد أمبرويز الغلطة في ملاحظات صديقه فتولى تصحيحها بهدوء وسرية داخل نصه.

وتظهر مصاعب هذين الشرحين عندما يدرسا في ضوء الإشارة الثانية إلى أنغولاند، فقد كتب رتشارد الثالث المقدس في الكتاب الخامس الفصل (٢١) مايلي: «وصل أنغولاند الذي كان الأعظم قوة، مع قوات اسلامية لا يمكن عدّها بالنسبة لأي انسان، وبدون عون الرب، إلى ريغيو، وهي مدينة في كالبريا».

ومن الواضح تماماً، ومن البديهي أيضاً أن كاتب هذه الكلمات قدم بشكل صحيح أنغولاند نفسه الذي أشار إليه من قبل بطرائق قابله للانطباق فقط على مسيحي، غير أنه لم يحصل على المعلومة من «التاريخ» الذي لا تحتوي فقرته على أدنى ايماء مهما كان نوعها إلى الأصل الاسلامي لأنغولاند، وذلك على الرغم من الوصف الذي قدمه غاستون الباريسي لهذه الفقرة من أنها أكثر دقة من الفقرة التي تقدمتها، فقد جاء نص هذه الفقرة كمايلي:

وعندما قاد حشوده الى روما

عندما، أنغولاند، مع قوة كبيرة

جاء من البحر الى البر في ريغيو

في كالبريا، تلك المملكة الغنية

وبكلمات أخرى يمكن القول إن الكاهن الذي أخطأ في الفقرة الأولى في ذكره لإحدى الحقائق قد تولى فيما بعد تصحيحها حسبما ذكرها في الفقرة الثانية، وهو لم يحصل على تلك الحقيقة من أمبرويز، وقد ناقش هذا السيد ادواردز بقوة، ولكن محصلاته من الصعب البرهنة عليها، ولنستمع إليه وهو يقول: «ويلحق ذلك محصلة أخرى، فإذا أخذنا هاتين الفقرتين حول أنغولاند معاً، لا نبرهن على أكثر من السلبية، وبالنسبة لكاتب الرحلة هو لم يلاحظ في المقام الأول أن أنغولاند كان مسلماً، ومع ذلك وصفه في فقرة تالية بشكل صحيح على أنه كان مسلماً، ويعمل هذا بأنه قد تنبه بفعل ما في الفقرة الثانية هذه، لكن لا يمكن أن نقول أن وسيلة التنبيه كانت «التاريخ» وبالنتيجة لا بد أن التنبيه كان بوساطة شيء آخر، وعلى هذا لا بد أن غاستون الباريسي قد تبع مشاعر صحيحة عندما علق على وجود «تناقض» قائم فيما بين هاتين الفقرتين، لكن كيف يمكن شرح هذا التناقض؟ وكيف يمكن لكاتب أن يعلم في آن واحد وأن لا يعلم الحقيقة نفسها؟ والشرح الطبيعي الأفضل لهذه القضية هو المتوفرة عادة بالنسبة لمثل هذه الظاهرة لدى الكتاب الآخرين، ويساق الإنسان على هذا إلى محصلة أن مصنف «الرحلة» لم يكن المؤلف الأصيل، لكنه كان يعيد إنتاج عمل كاتب أصيل، لئن كانت - كما حدث - إيماءاته غير واضحة في ذاتها، هو لم يفهمها دوماً، ومن المفترض أنه بوساطة هذا الكاتب الأصيل تنبه صاحب «الرحلة» عندما وصف بشكل صحيح في الإشارة الثانية لأنغولاند، على أنه كان قائداً مسلماً.

ويظهر اضطراب آخر وتشوش من قبل كاتب الرحلة في الإشارتين إلى غارنيير دي نابولس، ففي إحدى النقاط عدّ بشكل واضح أن غارنيير دي نابولس ومقدم الاستبارية شخصين متميزين عن بعضهما تماماً، ثم مال بث بعد قليل أن أشار إلى غارنيير دي نابولس على أنه مقدم الاستبارية، وهكذا - كما لاحظ السيد ادواردز - بدا وهو يعرف ولا يعرف

بالوقت نفسه الحقيقة نفسها، ومن البدهة بمكان أيضاً، كما أشار السيد ادواردز، أن مثل هذه التناقضات مع أمور أخرى، من الصعب أن تتواءم مع فرضية أن رتشارد من الثالث المقدس، قام بكتابة كتابه على أساس الملاحظات الأولى التي صنعت أثناء مجريات الحملة.

وهناك مسألة أخرى أولتها الأنسة نورغيت كثيراً من العناية، لكن السيد ادواردز لأمسها بشكل لطيف، ومزجها مرور الكرام، وهي وجود عدد كبير من الفقرات في «تاريخ الحملة المقدسة» أشار فيها الشاعر إلى مصادر مكتوبة إنما غير محدودة، استقى منها مواده، واستخدم عبارات مثل: «هكذا جاء في التاريخ» و«وهكذا ذكر في الكتب» و«وهذا ما أكدته الملاحظات» وما يشبه هذا، وعدت الأنسة نورغيت تكرار هذه العبارات بشبهة دليل داعم لنظريتها القائلة بأن أمبرويز كان يترجم عن «الرحلة» بشأن هذه النقطة ينبغي صنع ثلاث ملاحظات: الأولى، حسبها لاحظت هي نفسها - إن مثل هذه الصيغة سلسة استخدمت دوماً في تجارة شعراء الغناء في العصور الوسطى، الذين حاولوا تقديم نوع من أنواع التوثيق خكاياتهم الخيالية والمثيرة جداً، مثل القول: «أنا رأيت هذا مكتوباً، ولا بد أنه كان صحيحاً»، ثم إن تكرار هذه العبارات ليس عظيماً بشكل لافت للانتباه في شعر تجاوز الاثني عشر ألف بيت، وهو لا يمكن أن يبرهن على أن أمبرويز كان يترجم من اللاتينية، والثانية: من الواضح أن التاريخ، قد كتب من أجل اللقاء بصوت مرتفع، وليس من أجل القراءة، ولقد خاطب الشاعر بنفسه في بعض الأحيان مستمعيه ولم يخاطب قراءه، وإعتاد المغنون في العصور الوسطى بشكل عام على تلاوة مصادر مكتوبة، وجدير بالملاحظة أن رتشارد الثالث المقدس قد أشار مرتين في التوطئة «للمرحلة» ليس إلى قراءة بل إلى مستمعين، وهذه حقيقة، يمكن لتخمينات السيد ادواردز أن تشرحها بوساطة نظرية أن الكلمات موضوع السؤال تمثل صدى لشيء ظهر في توطئة الأصل الفرنسي

للكتاب الذي كان رتشارد يتولى ترجمته. والملاحظة الثالثة، وربما الأكثر أهمية، هي وجود عبارات «هكذا ذكر في الكتاب» وهذا متوائم تمام المواءمة مع الفرضية التي نعتقد أنها فرضية صحيحة، وهي: إن الكتاين قد صدرا عن أصل عام.

وبرأي المترجمين الحاليين هناك حقائق أخرى تقدم امكانات لهذه الفرضية، أولاً: في الوقت الذي يسير فيه المجرى العام للرواية بتناظر، وبطريقة متطابقة في الكتاين، تولى أحد الكتاين حذف عدد من الحقائق المحدودة تولى الآخر تضمينها، وقد قمنا بذكر بعض هذه الحقائق، ويبدو أنه من غير المرغوب به إثقال هذا المدخل بقائمة كاملة بهذه الحقائق، «والرحلة» غنية في اعطاء تواريخ محدودة، أخفق «التاريخ» في ذكرها، ولا شك أن الشاعر قد وجد - كما وجد المترجم الحالي - أن ذكر التواريخ مريبك في الشعر. وفي جميع الأحوال، نقترح أن كل كاتب قد حذف تفاصيل وجدت في الأصل العام، قد رآها غير ضرورية، ثم إن ناظم «التاريخ» بشكل خاص قد تولى حذف حقائق كان من الصعب عرضها شعرياً.

وفي المقام الثاني، بصرف النظر عن الأبيات الاضافية ٢٣٨٧-٤٥٦٨، هناك نقاط كثيرة جداً فيها اختلف الكتاين في ذكرهما للحقائق، وبصرف النظر عن الحقائق غير المهمة أو من السهل تحليلها بسبب وجود انهيار جسر الرون عند ليون عبر الجيش بقوارب صغيرة (bargetes) في حين أوضح كتاب «الرحلة» أنه جرى بناء جسر من القوارب، ولدى عرض شروط المعاهدة التي أبرمت مع الملك تانكرد صاحب صقلية، قدم كل كاتب بعض شروط التعاهد التي تجاوزها الآخر صامتاً، وتنطبق صحة الملاحظة نفسها على الاتفاقية التي عقدت فيما بين غي دي لوزغنان، وكونراد دي مونتفرات، وليس بعيداً عن الصحة أن نستنتج أنه في هاتين المسألتين اختار كل كاتب شروط السلام التي ظن

أنها هي الأكثر أهمية، كما أن الحذف قد وقع لأسباب بديهية أخرى، ففي التاريخ نجد اسم غلبرت تيلبوز، وكان فارساً جاء اسمه باللاتينية جيراردوس ونرى أن الخلاف قد نشأ عن الخلاف في تفسير المختصرات في النص الأصيل، والسبب نفسه هو ربما ضلل الكاتبين في المسألة التي تعلقت بالاسم الشخصي لدوق بيرغندي الذي أورده على شكل هنريكوس وهنري، في حين كان اسمه بالواقع هيوغ، ومن الواضح أن مؤلف «الرحلة» قد صحف قراءة ملاحظة أو كلمة وردت بالفرنسية هي التي أعطت «وسط الخريف» لتاريخ ذكره «التاريخ» بشكل صحيح على أنه كان «وسط-آب» (Miaust) وعلق السيد أدواردز بما فيه الكفاية على هذه الفقرة الأخيرة، وعلى بيت شعر غريب، قال فيه الكاتب اللاتيني بأن الحجاج استراحوا لدى زيارتهم القدس إلى «جانب جبل» في حين جاء بالنص الفرنسي «جانب جدار»، ولدى النظرة الأولى قد تكون هذه المسائل غير هامة، لكن السيد أدواردز بين أن عدم أهميتهم يعطيهم أهمية، فبعد عن التصور الاعتقاد أنهم يمثلون تصحيحات من كاتب آخر، بل يمكن بسهولة أن يتصورهم ممثلين لتفسير مختلف لنص أساسي محدد، ولفتت الأنسة دوروثي بوفي الانتباه إلى خلاف نصي آخر يمضي بالاتجاه نفسه، مع أنها لم تستنتج منه ما يبدو لنا استنتاجاً بديهاً، فقد وصفت «الرحلة» رمح واحد من الأمراء المسلمين الأقوياء على أنه: «أثقل من اثنين من رماحنا»، في حين جاء في نص «التاريخ»: «لا يمكن أن يعثر في كل فرنسا على رمحين أثقل منه»، ومن الممكن أن نلاحظ في هاتين الفقرتين أنه واضح تمام الوضوح في الفرنسية واللاتينية، أنه من غير الممكن تصور سوء تفسيرهما من قبل أي إنسان كان يعرف ما فيه الكفاية ليرجم أياً من الفقرتين، لكن إذا كان كل واحد منهما قد اعتمد على أصل كان أقل وضوحاً، فإن الخلاف يبدو على الفور مفهوماً.

وأوضحنا لدى بحثنا للإشارات إلى أنغولاند وغارنيير دي نابولس أن

كاتب «الرحلة» اقتيد نحو الخطأ في ذكر الحقيقة، وهناك أخطاء أخرى مماثلة ظاهرة في روايته، فقد ذكر على سبيل المثال خبر مقابلة جرت فيما بين الملك رتشارد وتانكرد، عقدت في كاتانيا، التي قال عنها بأنها قامت في منتصف الطريق فيما بين مسينا وبلرم، ومامن واحد يعرف جغرافية صقلية يمكن أن يقع في مثل هذا الوهم، ذلك أن المدن الثلاثة قائمة على الساحل، وكاتانيا إلى حد كبير واقعة إلى الجنوب من مسينا، بينما تقع بلرم إلى حد ما إلى الغرب من مسينا، هذا ولم يذكر «التاريخ» مثل هذا الاجتماع.

ولعله أكثر إثارة الفقرات التي ذكر فيها رتشارد الثالث المقدس، وأشار في ثلاث نقاط منفصلة عن بعضها بعضاً إلى تراجع صلاح الدين إلى الداروم، التي حدد موقعها في الجبال، كما وأشار إلى نشاطه هناك، وفي إلقاء نظرة عابرة على أي خريطة يتبين أن الداروم ليست قائمة في منطقة هضبية بل موجودة على ساحل البحر، على بعد أميال كثيرة عن مسرح الأعمال المشار إليه في كل مكان من النص، وحدد أمبروز بشكل صحيح وقائع كل واحدة من هذه الأحوال في النظرون، وكتب المحقق العالم «للرحلة»، طبعاً قبل اكتشاف التاريخ ما عبر فيه عن عدم رضاه عما جاء في النص.

وبالنسبة لما تبقى من خلافات فيما بين الروائتين نضيف هنا ثلاث نقاط يبدو أنهن لم يجذبن انتباه السيد ادواردز: فقد شارك إيرل أوف ليستر في أحد الاشتباكات حيث تعرض للضغط الشديد من قبل المسلمين الذين أحاطوا به من كل جانب، ولدى ذكر ذلك استخدم أمبروز العبارة التالية: « Qu'il'avoient entr'els noie » التي بات فيها المعنى المجازي للفعل « noyer بديهاً بمرافقة entr'el »، ويبدو أن الكاتب اللاتيني أخذ الرسم الكتابي على أنه حرفي مع أن المتصارعين كانوا قد اجتازوا الجدول الوحيد الذي جرى ذكره في السياق، لأنه نقل الفكرة بكلمات لا تقبل تفسيراً آخر، بقوله:

« In Ipso Flamin Profemodum sub mergerent»

وبعد وقت قصير انقضى إثر الحادث الذي تقدم ذكره تناقش قادة الفرنجة حول حكمة مهاجمة القدس، ونصح الداوية والاستبارية والبوليان (البلديون)، الذين امتلكوا معلومات صحيحة حول الأوضاع المحلية، ضد مثل هذا الهجوم، لأسباب عرضها كلا الكاتبان في بعض التفصيل، وفي نهاية المناقشة قدم النص اللاتيني تأكيداً مدهشاً بأن مؤتمريهم وماتوصلوا إليه لم يصغ إليه بقوله:

sed adhuc consilium eorum non om nino eau-

diturà مع أن كل شيء في بقية روايته يظهر بوضوح أن نصيحة المؤتمرين لم يصغ إليها فقط بل أخذ بها واتبعت أيضاً، ولا يحتوي التاريخ على مثل هذا الذكر، الذي نعتقد أنه تأسس - مثل أمور أخرى - على سوء تفسير للنص الأصلي.

وفيما يتعلق بالروايات التي أتت على ذكر مرض الملك رتشارد التي قدمها الكاتبان نلاحظ بشكل غريب الحقيقة التالية، وهي أنه في حين حاول شماس الثالث المقدس تشخيص سبب المرض، بشكل عرضي أدنى مما يقدم للمريض، اكتفى المغني الفرنسي وأقنع نفسه بذكر الأعراض، التي لم يشر إليها الكتاب اللاتيني لآمن قريب وآمن بعيد، ونقرأ ماورد في الكتاين كما يلي:

« Graviss imam Incunit aegritadinem, quae vuae
vuigo Arnoidia voalur, exignotae regionis con stit-
utione, cum eius naturali complex ione minus
« òconcor dante

mais le reis Richar Ziert malades

Eaveit boche e levres Fades

D'une emferte que deu maudie

Qu'en apele leonardie

ويبدو من المعقول بالنسبة لنا أن الرواية الأصلية أتت على ذكر كل من الأعراض والأسباب المفترضة للمرض، في حين دون كاتبنا في نصينا المتبقين لنا ما اعتقده كل واحد منهما هو الأكثر صلة بالموضوع.

ولا يمكننا ختم هذه الدراسة من دون دعوة انتباه القارئ للقضايا الكثيرة التكرار المتعلقة بالأعداد، فهناك حوالي عشرين حالة من هذا القبيل، أعطى الكتابان في إحدى عشرة منها أعداداً مختلفة، وفيما تبقى أعطى أحد النصوص عدداً في حين لم يعط الآخر شيئاً، أو أعطى أحياناً عدداً أكبر، ثم حدث أن انعكس الحال فأعطى الآخر رقماً أعلى، وفي بعض الأحيان كانت الفوارق ضئيلة، مثل في مسألة اسطول الملك رتشارد، حيث ذكر أمبروز أن تعداده كان مائة وسبع سفن، في حين قال النص اللاتيني: مائة وثمان سفن، وجاءت الفوارق في بعض الحالات الأخرى هائلة، ففي الوقت الذي أكد فيه أمبروز أن ثلاثة آلاف صليبي ماتوا من المرض ومن الجوع أثناء حصار عكا وبعد ذلك، جاء الرقم عند رتشارد الثالث المقدس ثلاثمائة ألف، ومن الممكن تعليل بعض الخلافات على أساس أن الكاتبين، أو واحد منهما أخطأ في قراءة، أو لم يصب في تفسير، الأرقام الرومانية الموجودة في الأصل المفترض، وفي حالات أخرى من الصعب رؤية كيف يمكن لهذا أن يحدث أو أن يكون ممكناً، ووجد المترجمون الحاليون أنفسهم مرغمين على الاعتماد على تعليل أن أحد الكاتبين - أو هما معا - لجأ إلى المبالغة أو الاختصار والتقليل في الأعداد في مختلف النقاط لأسباب تعلق به شخصياً.

وتؤيد البيئة التي استخرجها السيد ادواردز ونحن أنفسنا أن الكتابين موضوع البحث صدرا عن صيغة عامة اتخذت أساساً، ونعتقد أننا على

الرغم من أن دليلاً واحداً من المواد لا يكفي بنفسه لتأكيد هذه الفرضية، إن العدد الكبير من المعطيات تشير بالاتجاه نفسه وتشجع على اتخاذ فرضية قوية، ولنعرض القضية من وجهة نظر أخرى تختلف بعض الشيء: نحن رأينا من المتعذر الدفاع عن نظرية أن «تاريخ الحملة المقدسة» كان مصدر «الرحلة» - كما اعتقد غاستون الباريسي - أو أنه صدر عن «الرحلة» حسبما اعتقدت الأنسة نورغيت، وما من واحد يمكنه القول ولو للحظة واحدة إن الكتابين مستقلين عن بعضهما، وحتى نحسم الأمور نصل الى محصلة تفيد أن نظريتنا تقدم الشرح الوحيد الممكن للحقائق.

ولابد أن تبقى طبيعة الاصل المفقود مسألة خاضعة للنقاش، وعند السيد ادواردز سببه للاعتقاد أنه قد كتب بالفرنسية، وربما نثراً، وأسبابه التي اعتمدها جيدة بما فيه الكفاية لاقتراح مثل هذه الفرضية، لكنها غير كافية لبرهنتها، ونحن على العموم نميل للاتفاق معه، ونود أن نضيف لما قاله حقيقة مفيدة وموحية في أن عدداً كبيراً من أسماء الاعلام التي ظهرت في النص اللاتيني «للرحلة» وشرطاً كبيراً منها كتب بالصيغة الفرنسية وليس بالصيغة اللاتينية، وهي الصيغة المفترض ظهورهم فيها لو أن الأصل بذلك اللسان، وإذا صح بالفعل وكان النص نصاً فرنسياً قديماً تاريخياً، فهو يشكل نقطة علامة في الأدب، على أساس أنه أول قطعة كتابية نثرية كتبت باللغة الفرنسية، تقدمت بتاريخها بعض الشيء على رواية ذيل تاريخ وليم الصوري وبزمن معتبر على رواية فيلهاردين التاريخية.

السمات الأدبية للشعر

إذا كنا محقين في اعتقادنا بوجود أصل مفقود، كتب — كما هو محتمل

— بالفرنسية، وعنه صدر نص الشعر الحالي، لا بد من الوصول إلى محصلة واحدة: لقد سار مؤلف «تاريخ الحملة المقدسة» على خطاه عن قرب وقلد نمطه، ولا يسمح التشابه القريب بين «التاريخ» و«الرحلة» باستنتاج آخر، وهكذا إن أي تقدير للمحاسن الأدبية للشاعر الذي نمتلك بالفعل كتابه لا بد من إعطائها إلى أبعد الحدود إلى الرجل الذي استقى منه مواده، وبما أننا غير قادرين على تثمين الكتاب الذي لانمتلكه الآن، علينا أن نرضي أنفسنا بتقدير الشعر الذي وصل إلينا، وليس بمقدورنا أن نقرر فيما إذا كان كاتب المخطوطة الموجودة في الفاتيكان هو أو سلفه الذي حمل اسم أمبرويز، لكن من أجل تسهيل العمل استخدمنا ذلك الاسم في تعليقاتنا بمثابة إشارة إلى الرجل الذي كتب الحكاية أولاً، وفي الوقت الذي نؤسس فيه ملاحظاتنا على أسلوب ومحتوى النص الحالي، نحفظ بالقول إن هذه الملاحظات قد تكون أكثر صحة في وصفها للشخص القائم في الظل الذي زود جهده النص بهادته وقضيته.

وعرض غاستون الباريسي مجموعة من الأسباب الرائعة للاعتقاد أن الشاعر لم يكن نبيلاً ولا كاهناً أو عسكرياً، لكنه كان مع جميع الاحتمالات شاعراً محترفاً أو مغنياً جوالاً التحق بجيش الملك رتشارد، وأكدت الأبحاث المستفيضة الفرضية القائلة بأنه جاء من إفرو، وهي مقاطعة في نورماندي، التي أضفى على فرسانها ورجالها المسلحين مدحاً خاصاً لشجاعتهم وثباتهم، ولأن أمبرويز كان واحداً من «الرعايا الأدنى مكانة» بين ذلك الحشد، استطاع أن يعطينا رواية بمثل هذه القيمة، اختوت ليس فقط على ذكر ما حدث، بل على الخلفية العقلية والروحية للأحداث، فقد صور نفسية الصليبي مع جميع أمراضها الغريبة في الفوضى والتسيب، ونادراً ما وصل إلى بلاغة أعلى مما فعله لدى وصفه لسرور الحشود لدى ربحها لمعركة ما، أو لدى تقدمها نحو القدس

واقترابها منها، أو من تصويره لحالة اليأس التي أملت بالحجاج عندما وجدوا أنفسهم مرغمين على الانعطاف عائدين من المدينة المقدسة، ولقد تقبل الأسباب التي أعطاها رتشارد لرفضه الزحف على القدس وانتقد الذين تعارض موقفهم مع موقف سيده، ومع هذا بكى من أجل القرار الذي أغلق الطريق على الحجاج للوصول إلى الضريح المقدس.

وهو لم يكن عضواً في مجالس اجتماعات قادة الصليبيين، مع أنه روى في بعض الأحيان تفاصيل مناقشاتهم بتأكيد وثقة الذي كان مشاركاً بهم، وهذا ليس بذي أثر عظيم على أي واحد يعرف كيف تأخذ الاثنا عشر المزيعة والأقاويل المبهمة مكان التوثيق في أي جيش، وكيف تنتشر بين صفوفه عاليها ودانيها، ولا شك أن تحريض الكاهن للملك رتشارد وحته على أن يتذكر ماضيه الشهير وأمجاده قد نشأت وراجت من خلال حكايات تداولها الناس في المعسكر حول تهوّر انسان تجرأ على هذه الصورة على مخاطبة قلب الأسد، فضلاً عن هذا يحدثنا أمبروز عما جرى داخل اطار مجالس صلاح الدين الحربية بالتأكيد نفسه والثقة ذاتها التي ميزت أوصافه لما قاله قادة الفرنجة وفكروا به، وما لاشك فيه أن الخطابات المعزوة إلى أمراء المسلمين لاتعدو مجرد ماتخيله الفرنجة ورغب فيه تفكيرهم، فصوروا أمراء المسلمين وهم يقولون الأشياء التي — برأي الجيش الصليبي — توجب عليهم التفكير بها وقولها.

ولم يشتر أمبروز إلى نفسه قط وهو يشارك في القتال، وأكد مع هذا أنه زحف مع فوج الحجاج الثاني الذي زار الأماكن المقدسة بعد ابرام الهدنة مع صلاح الدين، وحدثنا عن انفعالاته وهو يسير شخصياً على الطرقات التي سار عليها المخلص، وفي لحظات ذروة الانفعال هذه أو انعدام الانفعال في حياة الصليبيين تحدث بإخلاص واستقامة الانسان الذي شهد الحدث، ثم إن هذا الاخلاص نفسه، وكذلك لهجة شاهد العيان، نراها منتشرة وظاهرة في معظم أجزاء الكتاب، وهي تعطي القارئ قناعة

قوية أنه يصغي إلى إنسان يعرف ما يتحدث حوله.

وفيما يتعلق بلهجة الاخلاص، نجد أن عمل الشاعر — مع هذا — ليس دوماً متساوياً بسماته، فلصفحات طوال نراه مع كثير من الهدوء، يسير بخطى وثيدة، ويعرض صف حقائقه بمثابة مسألة حقيقية، بدون أي حماس، أو انفعال أو حرارة شاعرية، بل يتكلم ببساطة وبشكل مباشر، وبنقطة، لكن بدون التصلب الملكي الذي جعل من نشيد رولاند شيئاً رائعاً جداً، ويعطينا بنظم مزدوج (دوبيت) رواية مباشرة للأحداث، بلا زيادة أو نقصان، وتدفعه الخيالي خفيف، ونادراً ما تجاوز اطار شعراء التروفر Trouvere للعصور الوسطى، ولقد ردد العبارات المعتادة مثل القول: غطت الأسهم والرماح أثناء القتال الجو وملاأت الهواء مثل ثلج ثقيل متساقط في الشتاء، وطارد المنتصرون المهزومين مثلما يطارد الذئب قطيعاً من الغنم لاحول له ولاطول، ولم يتجاوز شاعرنا حدود هذه الجمل وطرائق التعبير.

وتبدو أوصافه لمشاهد القتال محملة بعض الشيء بالنسبة للقارئ المعاصر، مع أن الشاعر بث من خلاهم وباح، كما هو واضح، بشيء من المتعة السادية، التي كان الكاتب في العصور الوسطى يستقيها من تحرك صور أحداث الفيضان وأرض المعركة، وعلى المرء أن يلاحظ بكل بساطة أنه لدى قتال إنسان لآخر على أرض المعركة يتشابهان، وتكون هناك الأعلام التي تخفق في الهواء، والسلاح المشرق، وغيوم من النبال والنشاب، وحملات بلا توقف وضربات قوية وشديدة، وأكوام جثث القتلى، ومع جميع هذه الأمور استطاع الشاعر أن يعطي صورة شفافة ويفترض أنها صحيحة حول التكتيكات وتعبئة القوات وتقلبات تيارات القتال وحظوظ النجاح، ولا تخلو هذه الصفحات من الحيوية، ثم إنها ليست بدون قيمة بالنسبة للمؤرخ العسكري الذي يمكنه أن يقرر الحقائق بقليل من الجهد، والذي افتقد إليه هو شعور التصور الصحيح،

فعلى سبيل المثال أخذ وقوع اشتباك صغير شارك به من على الطرفين عدة عشرات من الرجال فقط عند أمبرويز في روايته كل العظمة والتفخيم التي أخذتها معركة أرسوف وإعادة الاستيلاء على يافا، وسلبت أعمال التكرار التي ظهرت في الرواية هذه المناوشات من أهم سماتها المثيرة.

ولم يكن أمبرويز رحالة صاحب ملاحظات خاصة، وأوصافه لطبوغرافية ومناخ وعمران البلاد التي يفترض أنها كانت جديدة وغريبة بالنسبة له، أوصاف ضئيلة نسبياً، وقد أتى على ذكر بعض الأماكن التي زارها في القدس، وروى لنا بعض الحكايات الأسطورية حول أسوار وأبراج عسقلان، وقدم هنا وهناك بعض التفاصيل العرضية التي استقاها من الأساطير الشعبية أو من أناشيد الأعمال، لكن في هذا المجال لا يمكن مقارنته مع روبرت دي كلاري الذي جمع معلومات ثرية حول الأشياء الرائعة التي رآها في القسطنطينية، وصحيح أنه ذكر حر الصيف والغبار والحشرات السامة والأمطار الغزيرة، لكن أمبرويز أتى على ذكر هذا كله عرضياً فقط، ومجرد خلفية كافحت ضدها الدراما الشخصية للصليبيين، ويشعر الإنسان أن هذه الأمور شغلت في ذاتها قليلاً من اهتمام المؤرخ، على أساس أنها كانت قزمة أمام ما عنته العظمة الروحية للمغامرة.

وعلى كل حال كان بإمكان الشاعر أن يكون دراماتيكياً وحيوياً، وأن يحبك ذلك في حكايته في أبيات سريعة وبارعة، ويحيطها بحزم أرجوانية ملطخة بنار الايمان والسخط، فهكذا كانت على سبيل المثال روايته عن سقوط جسر الرون، وعن الاستسلام المذل لاسحق صاحب قبرص، وبطولة جاك دي أفنس، واغتيال كونراد أوف مونتفرات، وأبيات الهجاء التي قذف بها نحو كونراد لترفعه وابتعاده عما اعتقده أمبرويز أنه طريق الصواب، وفي وصفه لزحف الحجاج خلال فرنسا وهم على طريقهم نحو ساحل البحر واستقبالهم من قبل الشعب حيوية مدهشة وعواطف

شجيرة.

ومع أنه لم يكن رجل دين، قلة من رجال الدين تفوقوا عليه في صدق تكريس نفسه للقضية الصليبية، وهو تكريس فيه كل الأحكام المسبقة لروح تقية ساذجة، ولقد شارك بشكل طبيعي بما فيه الكفاية بما راج في الأوساط العامة في العصور الوسطى من أن الكافر يعاني أساساً من خطيئة وشروع عدم التعميد، وهذه فكرة ردها نشيد رولاند على شكل صيغة مقررة بأن «المسيحية هي الصواب والكفر هو الخطأ»، وبناء عليه كل مافعله المسلمون هو شر، باستثناء ما حدث في بعض الظروف - وهي لسوء الحظ كثيرة - التي اختارهم الله فيها ليكونوا أداة عقاب للمسيحيين الفاسدين الذين ضلوا وابتعدوا عن سبل الصواب، لكن على الرغم من هذا كله لم يستطع الشاعر أن يقمع إعجابه - رغماً عنه - ببراعتهم في الحرب وشجاعتهم، وبفروسية صلاح الدين وأخلاقه، ولقد أسف لكون هذا الرجل لم يكن مسيحياً، «فلو أنه لم يعبد أرباباً مزيفين (كذا) لكان انساناً لامثيل له».

القيمة التاريخية لأمبرويز

أما وقد قدمنا أسباننا للحكم بأن «الرحلة» و «التاريخ» قد قاما على أصل عام مفقود، سنأخذ حريتنا في هذا المقام لاعتبار الكتابين بمثابة كتاب واحد، ولأن نحاول تقدير القيمة التاريخية للأصل، الذي دعونا اعتبارياً ومن أجل تسهيل العمل «أمبرويز»، وأظهرنا من خلال ملاحظتنا التنوع والخلافات بين «التاريخ» و«الرحلة»، ومن الممكن تلخيص ذلك بالقول إنه في حين أن «الرحلة» بشكل عام أكثر دقة بالنسبة للعرض التاريخي، وأعظم صحة بالنسبة لأسماء الأعلام، هناك

عدة حوادث أعطيت بتفاصيل أفضل في «التاريخ»، إنما كوثيقتين تاريخيتين هما المكانة نفسها، وسنحاول هنا البحث في قيمة روايتهما مقارنة بمصادر أخرى مستقلة.

وكما بينا من قبل، لا يمكن عد أمبروز أفضل مصدر منفرد حول جميع أحداث الحملة الصليبية الثالثة، لكنه بدون شك ومؤكد أنه أفضل مصدر لصليبية رتشارد، وقد جرت معالجة الأحداث التي جرت في سورية وقادت إلى الحملة الصليبية، بشكل واسع - لكن ليس بدقة وصحة كاملة - من قبل التاريخ، في حين نجد «الرحلة» التي اعتمدت على «كتاب ذيل تاريخ وليم الصوري»، أكثر تفصيلاً، لكن ليس أكثر موثوقية، ولعل أفضل رواية كاملة حول الحملة الصليبية الثالثة وردت في مصدر واحد هي الرواية التي نشرت قديماً تحت عنوان «تاريخ هرقل» ثم أعيد نشرها فيما بعد باسم «ذيل تاريخ وليم الصوري»، وتقدم لنا معرفة أن هذا الذيل قد كتب بالفرنسية القديمة، وكان أمبروز قد حذف كلياً أخبار حملة فردريك بربروسا، وقد أوليت هذه الحملة بعض العناية الأكبر من قبل الرحلة، حيث جرى استمداد عدة فصول من كتاب ذيل تاريخ وليم الصوري، وكان هذا أكثر مما تلقاه «التاريخ»، ومع ذلك «التاريخ والرحلة» معاً مختصرين تماماً، فضلاً عن هذا جاءت رواية أمبروز عن فيليب أغسطس عرضية ومتعلقة بصليبية رتشارد قلب الأسد، وواضح أن معلوماته عن قبرص - بصرف النظر عن تفاصيل الاستيلاء عليها - خفيفة جداً، ومع هذا لم يقدم أمبروز أفضل رواية عن الحملات في فلسطين، ولا عن القتال في مسينا ولا في قبرص، وكذلك الأحداث التي وقعت في المعسكر أمام عكا.

ليس في نيتنا هنا القيام بتحليل تاريخ أمبروز بالتفصيل، لكن مقارنة مختصرة جداً لهذا الكتاب مع مصادر رئيسية أخرى عن الحملة الصليبية الثالثة تضيف إلى تقديرنا للأهمية التاريخية لمؤرخنا، وعلى رأس الروايات

الغربية ماجرى تدوينه في كتاب «هرقل» وفي «جستاهوفدن» (الذي هو بالفعل نفسه) ولدى ديسيتو، وديفايز Devizes، وريغورد Rigord، وفيما يتعلق بما جرى أثناء حصار عكا مع الأحداث التي وقعت قبل وصول رتشارد، من الممكن أن نجد معلومات إضافية في روايات هيماروس Haymarus، ولبلوس Libellus أما فيما يختص بالمصادر المشرقية: يتصدرها بالأهمية (العماد الأصفهاني) وبهاء الدين، وهناك أيضاً المواد الإضافية لدى ابن الأثير وأبو شامة. وابن خلكان وأبو الفرج ابن العبري، وأما بشأن الخلفية التاريخية السورية فلبلوس وهرقل لديهما المعلومات الأكثر أهمية، ويظهر أمبروز في أسوأ أحواله في هذا المقام، غير أن أمبروز هذا أقر صراحة أن ما أخبرنا به عن هذه الأحداث، تعرف عليه من كتابات الآخرين، وهو لا يمتلك معلومات شخصية حول ذلك، أما تلوينه لروايته بأحكامه الشخصية المسبقة، فأمر سوف يجري بحثه فيما يلي، لكن لا بد من الاعلان هنا أن أمبروز ليس المصدر الذي يتوجب على المرء الالتفات إليه للحصول على المعلومات حول التاريخ الداخلي لمملكة القدس.

كما أن أمبروز ليس الأفضل للاعتماد عليه من أجل التأريخ لرتشارد في فرنسا وانكلترا قبل الحملة الصليبية، ذلك أن مواد ديسيتو، وديفايز، وجستاهوفدن فيها الكثير من المزيد من التفاصيل عما حدث في الغرب، وهي مصادر أفضل حول كل من الاستعدادات للحملة الصليبية ومن أجل الحوادث التي وقعت في فرنسا وانكلترا في أثناء غياب رتشارد، لكن بالنسبة لزحف الصليبيين والحرب في صقلية يحتل أمبروز المقام الأول في الأهمية، فهو هنا قد كتب حول مارآه شخصياً، ومامن مصدر آخر روايته مثل روايته مشرقة وفيها حيوية، ورواية هوفدن مليئة أكثر وفيها دقة أعظم بالنسبة للتأريخ، لكن هذه الرواية تفتقر إلى نقاوة أمبروز وحيوته، وكتب هوفدن اعتماداً على مصادر مكتبته من نقل نصوص المعاهدات،

والأوامر، والقرارات التي اتخذت في المؤتمرات، وهذه معلومات افتقر إليها أمبرويز، وصحيح أن هوفدن أكثر دقة، لكن أمبرويز أكثر حيوية بشوط واسع، فالغابة قد لا تشاهد بوضوح تام، لكن الأشجار أعظم تميزاً، وأوراقها أعظم اخضراراً.

ويقدم لنا أمبرويز الرواية الأفضل تفصيلاً فيما يتعلق باحتلال قبرص، وهنا تحتوي الرواية المدونة على صورة أعمال يحتمل أن أمبرويز قد شارك فيها شخصياً، أو على الأقل رآها تحدث من حوله، وهو صحيح لم يعرف التنظيمات التي وضعها رتشارد من أجل إدارة الجزيرة، الأمر الذي زودنا به هوفدن، لكنه قدم لنا رواية أكثر إثارة حول القتال وحول أسر إسحق.

ومجدداً اعتمد أمبرويز فيما يتعلق بأحداث حصار عكا، على معلومات الآخرين، ولدينا هنا بوضوح حكايات حوادث تناقلها الناس من خيمة إلى خيمة، والترتيب التاريخي في هذا الجزء لدى أمبرويز مضطرب كثيراً، وهناك ترتيب ضئيل لتسلسل المعارك، لكن آفاق الأفراد، ومعاناة الحشد، وأفراحه، وترج الحجاج ويأسهم، رويت بحيوية ودرامية، وتحسن السرد التاريخي لديه بعد وصول رتشارد، وتعادل رواية أمبرويز حول نهاية الحصار الروايات الأخرى.

وصحيح أنه حذف كل المناقشات الهامة ذات التفاصيل الكثيرة، التي نتعرف إليها من المصادر الأخرى، ولعله فعل ذلك لأنه اهتم فقط بتلاوة أعمال رتشارد والأحداث غير المرتبطة بهذه الأعمال، والتي تبعده عن هذه الغاية المفردة هي حتى أقل وروداً في «التاريخ» منها في «الرحلة»، أما رحلة فيليب لدى عودته إلى الوطن فقد تلقت كثيراً من العناية من قبل هوفدن في حين أنها حذفت كلياً من قبل أمبرويز، ذلك أنه اهتم برواية أخبار أفاعيل رتشارد قلب الأسد، ولم يهتم بالأفاعيل الأدنى للأناس الذين رآهم أقل مرتبة، وقدم كل من هرقل وليبللوس وهياروس روايات أكثر صلة بالحصار بشكل عام، لكن أمبرويز تفوق عليهم بما تعلق

بالشأن الشخصي الخاص.

وأمبرويز في قصته عن حملة رتشارد في فلسطين فريد ورائع، وفقط شابه بهاء الدين في ايقافه نفسه على أعمال بطله فقط، ولديه يمكن للمرء أن يجد روايات جيدة عن معارك الحملة الثالثة، وجرى من قبل أمبرويز تدوين تفاصيل الزخوف والمعارك، والصراعات البطولية ومتع وآلام الحجاج عندما ابتسم لهم الحظ أو قطب، بشكل متدفق وحيوي ومتعاطف، ولم تكن المباحثات من أجل الهدن معلومة لديه وبقي جلها غير مذكور عنده ما لم تكن المعلومات قد أصبحت معروفة ومتداولة في أرجاء المعسكر، فلقد كان أمبرويز مجرد واحد من بين حشد الحجاج الذي سار إلى حيث قاده أميره، دون أن يعرف لماذا، وفقط كان يتوقع شيئاً ما حول الدوافع التي دفعت نحو القرار المتخذ، ولقد شرح مثل هذه القرارات ببساطة وسذاجة، وكانت الخيانة، وسوء الثقة، والأنانية تلقى لديه قبولاً أعظم من الأسباب المعطاة حول الأحوال والاستراتيجية التي حركت القادة.

ولاحظنا أن أمبرويز قد لون روايته كلها بتحاملة الشخصي القوي، فلقد كتب بمثابة واحد كرس نفسه في سبيل الولاء لرتشارد ولجميع رفاق رتشارد وحاشيته، وملاحظ هذا بشكل خاص في معالجته لما تعلق بغني لوزغنان وكونراد أوف مونفترات، وهناك اتجاه قوي جداً للقول بأن جميع رواياته عن تاريخ القدس قبل بداية حصار عكا هي شبه مزيفة، فقد حصل أمبرويز على معلوماته كلها حول تلك الأحداث من مصادر ثانوية، وكلياً كما يبدو من الموالين لغني، وهو لم يفهم قط نفسية أو مشاكل الفرنجة السوريين، ولقد عبر أمبرويز تماماً عن ميول الصليبيين الغربيين في معاكسة وتضاد لميول الفرنجة المستعمرين في سورية، وكان المسلمون بالنسبة لهم جميعاً «قطيعاً من الكفار»، وعبر عن متعة سادية في وصف قتلهم وسوء حظهم، ومع هذا كله أتى على ذكر بعض «قائع كرم

صلاح الدين وأخلاقه الرفيعة، وكذلك سيف الدين، ولم يتحدث عنهما بانسراح وإطراء، وبعاطفة ومشاعر تقوى استنزل لعنات الرب ضد جميع المسلمين، هذا ولم يأت على ذكر حوادث إعجازية، كما أنه لم يدون حكايات تعلقت بتدخلات للقديسين لصالح جيش الفرنجة كما فعل بعض مؤرخي الحملة الصليبية الأولى، ولقد رأى في معاناة الفرنجة أدلة على غضب الرب تجاه الأعمال الفاسدة للناس، وكانت محن القدس بالنسبة له نتيجة مباشرة لعدم تقوى سكانها.

وبالمقارنة مع أمبروز علينا أن نتفحص مواد ذيل تاريخ وليم الصوري، التي كانت تنسب من قبل لأرنول وهرقل، فقد كتب الذيل من قبل فرنجي بلدي من فرنجة سورية، وقد مثل الفرنجة «المستعمرين» في تمييزهم عن «الصليبيين البحريين الوافدين»، فهؤلاء لم يوافقوا أمبروز على وجهة نظره، وخالفوه في تفسيرهم الإجمالي للحوادث التي أدت إلى قيام الحملة الثالثة، ففي الوقت الذي كان المسلمون فيه الأعداء بالنسبة لهم، لم يوجد بينهم مطلقاً نوع الكراهية العنصرية التي توفرت في مشاعر الكتاب الغربيين وظهرت في كتاباتهم، فقد كتبوا عن المسلمين مثل انكليزي كتب في تلك الأثناء عن الفرنسيين، أو مثل كاتب انكليزي كتب في العصر الحديث عن الإيطاليين في بداية الحرب الكونية الثانية، وقال عنهم: «جيران معادون فيهم مافيه الكفاية من الشرور، لكن لديهم بعض الفضائل»، ولم يراقب الفرنجة الشرقيون تقلبات حظوظ الحرب بالحرارة نفسها التي شعر بها الفرنجة الوافدون، ولم يشمتوا تجاه محن المسلمين الذين قتلوا في المعارك مثلما فعل أمبروز.

وعرف هؤلاء الفرنجة البلديون شخصياً الوضع في الشرق، وحكموا على الأحداث من وجهة النظر السياسية، وآثروا في قراراتهم مصالح مملكتهم وفضلوها على التعصب للصليب، فهؤلاء الرجال كانوا يدركون نتائج الأحداث والتوريطات، ولذلك كان كل من ريموند صاحب

طرابلس وكونراد دي مونتفرات بطليهما في رواية الأحداث، وليساً نذلين، لكنهما ظهرا لدى أمبرويز خائنين منحطين ومتآمرين شريرين بسبب أحكامه المسبقة ومعلوماته السقيمة، وعندما يدرس المرء الاجماع الذي أبداه بارونات الفرنجة البلدين -الذين امتلكوا الجزء الأعظم من الأرض- في تأييدهم لريموند وكونراد، ثم عندما يتفحص بدقة أخبار حزب البلاط في ظل غي وأرناط، وينسى الأحكام الدينية والمواقف المسبقة، ويقدر المتطلبات السياسية فقط، لايمكنه إلا وأن يدرك أن ريموند وكونراد قد مثلا الحزب الذي ضم أفضل العناصر التي وجدت في مملكة القدس وقاداه، في القدرة وصواب الرأي والبصيرة، ولعن أمبرويز كونراد لتحويله المؤن من المعسكر أمام عكا إلى مدينة صور التي كانت تحت حكمه، وهنا هو لم يقدر مطلقاً حقيقة أن الدفاع عن صور كان ينبغي أن يحتل المقام الأول في اهتمامات الفرنجة البلدين، الذين كان برأيهم حصار عكا مغامرة لديهم أمل قليل بنجاحها، في حين كان الحفاظ على صور يشكل الركن الأساسي في الدفاع عن المملكة، ونسي أمبرويز، أو أنه لم يعرف أن اللاجئين من جميع المدن التي استولى عليها صلاح الدين كانوا في صور، ولقد تجاهل حقيقة أنه على صخرة مقاومة كونراد في صور تحطمت موجة الفتح الاسلامي، وقد أدان بمثابة خيانة المباحثات مع صلاح الدين من أجل الحفاظ على جزء من المملكة بمثابة دولة تابعة، لكن ليس لديه أي نقد لرتشارد عندما عرض هذا الملك فيما بعد الشروط نفسها تقريباً على السلطان، عندما أدرك استحالة إعادة الاستيلاء بشكل كامل، وكثيراً ما عبر غي دي لوزغان عن عدم كفاءة سياسة وعجز عسكري، ولم يثق به لوردات سورية ورفضوا القبول بقيادته، وهم بالحري وثقوا بكونراد الذي برهن على بسالته في صور، لكن لم يخطر ببال أمبرويز قط أن لوردات الفرنجة السوريين كانوا سوى خونة وزائفين عندما أيدوا الحزب المعادي لرتشارد، كما أنه لم يدرك أن فيليب اغسطس قد أظهر فطنة سياسية كبيرة عندما أيد المركز أكثر من رتشارد

عندما ساعد غي، وإذا ما اتخذنا بينات معاملة رتشارد لأخيه جون ولبعض الذين أنابهم عنه، في سبيل الحكم على تاريخ حكمه، نجد عجز الملك في الحكم على السمات أو على الكفاءة، ولم يمتلك أمبروز شكوكاً من هذا النوع، أو أنه كما يبدو لم يشعر بأي تناقض لافي أرائه ولا في سياسة بطله عندما قبل مؤخراً بكونراد ملكاً على القدس، فقد تحول الشرير فجأة إلى حليف البطل وتم الاعتراف به من قبل الجميع على أنه أحسن رجل للمنصب الذي رشح إليه، وبين ليلة وضحاها غدا المركز الزائف المرشح المفضل للعرش، ودون أمبروز هذا التبديل بالمواقف الذي قبله رتشارد بعدما تطور ليعرف حاجات البلاد، واستحالة الاستمرار في تقديم التأييد للوزغان المنعدم الكفاءة والذي كان بلا شعبية، دون ذلك كله دون تقديم كلمة واحدة للشرح والتفسير.

وينبغي أن نتذكر أنه خلال تاريخ الدول الصليبية، كانت هنالك حوادث كثيرة كان فيها الفرنجة البلديين أفضل قدرة في معالجتها مع جيرانهم المسلمين، أكثر مما كانوا مع حلفائهم المسيحيين من الغرب، فعندما عرض كونراد التبعية على صلاح الدين، كان يفكر في إنهاء الحرب التي كانت مستعرة في البلاد من دون أدنى فرصة بالنجاح، ولقد أدرك أن تبعية مشرفة مفضلة على مملكة مدمرة شعنتها سنوات من الحرب المحلّة، وفي النهاية تقبل رتشارد هذا الرأي، ومن المؤكد أن عروض كونراد لم تكن خيانية أكثر من اقتراحات رتشارد في أن يعاد بناء مملكة القدس بمثابة مملكة تابعة، يقدم ملوكها الولاء لصلاح الدين، ويزودوا جيشه بالعساكر وقت الحاجة وحسب الطلب، ولا سيما عندما نتذكر أن اقتراحات رتشارد قد تضمنت أن تتزوج أخته من سيف الدين، وأن تمنح المملكة لها مشاركة معاً. ولم يكن رتشارد أحقاً، ولقد تعلم أثناء الحملة في فلسطين الكثير، فلقد اكتشف استحالة إعادة استيلاء كاملة للمملكة، وتوصل إلى أن يدرك أن حزب البارونات كان يعرف ماذا

يجري وماذا يريد عندما فضل كونراد، وتطور لي قدم إمكانية الوصول الى اتفاقات مشرفة بين رجال انتموا الى عقائد مختلفة، وطور رتشارد الميول الاستعمارية، فقد كان هو نفسه فارساً، ومعلماً في فن الحرب، كما أنه كان قادراً على إدراك هذه السمات لدى خصمه العظيم، ولم يكن أمبرويز قادراً قط على تعلم هذه الأشياء فهو قد تقبل قرارات ملكه بالتسليم الأعمى وبدون سؤال.

وعلى الرغم من أحكام أمبرويز المسبقة، وانحيازه الكامل، وكل تقواه وتعطشه للدماء، وكذلك على الرغم من التكرار الملحمي في رواياته والمبالغات، سيبقى مع هذا كتاب أمبرويز الحاوي للرواية الأفضل من سواها حول صليبية رتشارد، وأهم وثيقة موجودة تكشف عقلية الصليبيين وتعبر عن نفوس هؤلاء الرجال الذين رموا بأنفسهم قلباً وروحاً في حرب مأساوية مخففة، وتحملوا المشاق والاحباطات من أجل هدف ديني ومعنوي، و«التاريخ» أكثر من هذا كله، إنه الملحمة والنشيد، وكتاب أعمال واحد من أعظم الشخصيات المسيحية رومانسية وتدفعاً بالحياة.

- ١٢٢٧ -

صليبية
رتشارد قلب الأسد

الفصل الأول

التبشير بالحملة الصليبية الثالثة

- ١ — الذي لديه حكاية طويلة ليحكيها
لا بد أن يحتاج الى العناية الفائقة والجيدة
خشية أن يبدأ فيأخذ على عاتقه
مهمة لا يمكنه القيام بها بشكل جيد
لذا عليه أن ينصرف جيداً نحو مهمته
حتى يصل بها إلى نهاية جيدة
ولهذا ولكي لا يكون حملي جداً
ثقيل ، سأبدأ بدون ضجيج
عملي وسأوقفه بسرور
على قضية جديرة بالرواية
- ١٠ — رواية أخبار الاضطرابات المحزنة
التي أثرت بنا بشكل مباشر
في سورية في السنة الماضية
حيث كلفتنا حماقة قادتنا غالباً جداً الأمر الذي لا يستطيع الرب أن يفعل أكثر

من أن يجعلنا ندرك بحرقه :
في فرنسا ، وكذلك في نورماندي
وأيضاً الأمر نفسه في خلال ديار المسيحية كلها .
٢٠ — حيث المحصلات كانت كثيرة أو لا شيء
جُعلنا في وقت قصير نشعر
أن الصليب الذي له جميعاً نركع
والذي صار آنذاك في يد كافرة
انتقل الى يد أخرى
غير التي اعتاد أن يكون في حفظها
حيث الرب أنكر أن يولد وأن يموت
وعن الهيكل المقدس والمشفى
حيث سقط كثيرون بأسى وأسف
والضريح حيث وضع الرب
وحيث عنده غفرت الذنوب
وإلينا لم يعد يقال ذاك ذنب
غير أن الرب الذي رغب مجدداً في ربح
شعبه الذي من أجله باع دمه
لكن الذي في الخدمة لم يقترب شيئاً تعرض
لمأساة ذات وزن مرعب

وحلّ الويل بالناس صغيراً وكبيراً
في خلال العالم أجمع والأمير والفقير
نادراً ما عرفا أين يمكن أن توجد الراحة
ولم يعد هناك سرور بالكلمة أو باللسان
ولم يعد الرقص ، يسكت الأغنية

— ٤٠ —

ويسكت السرور ، ويسكت المرح
مرح الشعب المسيحي في الأرض كلها
حتى بابا روما ، الذي من خلاله
أنقذ الرب كثيراً من الناس من الهلاك
(كان الثامن من الذي دعي غريغوري
هكذا روي في التاريخ) (غريغوري الثامن من تشرين أول — تشرين ثاني ١١٨٧)

أعلن نعمة من الحاكم القدير
في سبيل الرب ورغماً عن الشيطان
أنه سيتولى غفران جميع الذنوب
للذين سوف يتولون قتال أعداء السماء
للذين ضلوا عن الحقيقة نفسها

— ٥٠ —

للكبير ، وإلى ملك الصدق النبيل
ولهذا ، ولعدد كبير من الكونتات والملوك
ولرجال آخرين تجاوزوا العدّ والاحصاء

أخذوا ، حتى تتبعوا أوامر الرب
الصليب ، وطلبوا الأرض المقدسة .
لأخذ الصليب لم يكن هناك نقص
من رجال من المراتب النبيلة والأصالة .
رتشارد يأخذ الصليب

كونت بواتو الشجاع

رتشارد ، لم يتأخر مطلقاً

— ٦٠

عند سماعه حاجة الرب ، وخسارة الرب
وحباً بالرب أخذ الصليب

وكان هو الأول بين نبلاء الناس

من أراضينا على هذا الجانب من البحر .

ثم في خدمة الرب اتخذ الملك

موقعه ، وبذل جهداً كبيراً ، ونفقه عظيمة .

وما من أحد ليشتري ميراثه

ولكي لا يتأخر الحج المقدس

كل انسان ، الشيخ والشاب سواء

اعتاد أن يبدي صدق أسارى قلبه

— ٧٠

كما واعتاد على أن يظهر أسفه ويعلنه

وأن ينتقم من أجل العار

- ١٢٣٢ -

الذي أنزل بحق المولى الرب
وعلى الرب الذي لم يقترب خطأ
لأن أرضه قد شعشت
وأصاب شعبه الذهول بسرعة
لأنه تاه وأرشد بشكل سيء
وعليه ينبغي ألا يندهش أي إنسان
إذا كان قد عانى من الهزيمة .
٨٠ — ومع أنهم كانوا رجالاً شجعاناً ومن النخبة
لقد قضى الرب بوجوب موتهم
وأن ينال آخرون نصره .
وهكذا ، في حين مات هؤلاء بالجسد
يعيشون الآن مجدداً في الفردوس
وبذلك عاش كل الذين واجهوا نهايتهم
وفيما وراء البحار ، سيتولى المولى الرب حمايتهم .
العداء بين هنري الثاني وفيليب

بين فرنسا ونورماندي
كانت هناك حرب موروثة
همجية ، ومرعبة وشديدة
٩٠ — ومليئة بالشروع والخطيئة .

وكان فيليب هو الذي أثار هذه الحرب
وهنري كان ملك انكلترا وكان من أصل رفيع
حكيم ، وجدير ، وعاقل ، ولطيف
وأب جيد لذلك الملك الشاب
الذي قام بمبارزات عظيمة
ووالد رتشارد ، البارع كثيراً
والمليء بالحكمة وبجودة القرار
١٠٠ — ووالد غيوفري صاحب بريتاني

شاب جدير بالمكانة والفخار
ووالد جون ، الذي يعرف باسم بلا أرض
الذي جاءت منه حرب عظيمة ومشاكل .
والملك الذي امتلك مثل هذه الأسرة
ويعرف نفسه أنه كان غنياً جداً
يمكنه أن يصمد بالحرب بشكل جيد جداً
إذا ما أحد مضى بسرور ضده الى الحرب
لفعل مثلما فعلوا وبذلوا
لأناس من هذا النوع
ووقع الملك آنذاك في خلاف

١١٠ — وما من أحد استطاع أن يصلح بينهما

حتى وجههما الرب نحو التها دن
وكانت هدنة جديرة بالاستعمال .
المؤتمر في غيسور

فيا بين غيسور وتراي
في مرج جميل ، وعريض وشاسع
هناك جرى التفوه بكلمات كثيرة
وسمع ما كان حكيماً منها وما كان حقاً
وتشوق بعضهم الى السلام كثيراً
وآخرون لم يكن لديهم اهتمام بالسلام
وكان هناك رجال من أنواع كثيرة
١٢٠- ممن ابتغى السلم ، لكن لم يمكن ايجاد سلام
ما عدا إذا شاء الرب ذلك
ثم ارتدى جميعهم شارة الصليب
وفي تلك المفاوضات جرى الحديث
عن كثير من الخلافات حديثة وقديمة :
وكثير من التكبر والتبجح
وكثير من المآسي احتاجت الى علاج
لقد طلبوا كثيراً وقليلأ وجدوا .
وأشرقت الشمس في الوقت نفسه مستديرة مضيئة

- ١٢٣٥ -

والى هناك جاء رئيس أساقفة من صور*

١٣٠ — مشهوراً كان بعقله وحكمته

بعث من قبل السوريين ، الذين عرفوا

صواب أحكامه وصدقها .

رأيناه يحاول بشجاعة

قيادة هذين الملكين الى الطريق القويم

الرب ناضل ليبدد خلافاتها

وكذلك فعل الرجال الحكماء وأهل العلم

وهكذا أوقف الملكان صراعهما

وحملوا الصليب وتبادلا قبلة السلام .

لقد قبلا بعضهما بدموع ثم نهضا

١٤٠ — وقدمت أصواتهما الحمد للرب

لأنهما شعرا بفرح عظيم

وكانا على ادراك ليأس

الرب وكم هو محتاج للعون .

ثم كنت ترى الفرسان يطيعون

النداء ويأخذون الصليب بسرعة

* جوششسيوس Josius رئيس أساقفة صور (١١٨٦ — ١٢٠٠) وهو الذي خلف وليم المؤرخ المشهور

وبدوا أنهم لا يعرفون مذاق الخوف .
وهكذا اصطف حول رئيس الأساقفة
وحول رعاة الديرة والأساقفة أيضاً
حشد عزموا على القيام بالمخاطرة
١٥٠ — (ثم أعانني الرب ، وبأم عيني رأيت)
وسط حر شديد جداً

(أعظم منه لم يعرف قط ولم يرسل)
حتى انقطعت أنفاس كثير من الناس
واقتربوا من الاختناق والموت .
وفاة هنري دون أن يفني بنذره
من أجل السرور بالاتفاقية التي عملت
ومن أجل السلام والحروب الصليبية
مضى الجميع وحملوا الصليب
لأنه ما من واحد يمكنه التخلي عن هذا الهدف
أو يزدي التحليل العظيم

١٦٠ — من الذنب . واللوم ينبغي أن يلقي
على الكسل الذي أدى بهم الى تأخير
المغادرة . ووجد الشيطان سبيلاً
أن يعيد الى الملكيين صراعاً عنيفاً

لا يمكن فضه ما دامت هناك حياة
باقية لواحد . لكن بقي
حتى انقض الموت عليه ، ومات
إنه كان هنري ، ملك انكلترا المسن
الذي وضع الخطط لزيارة
القبر المقدس بناء على أمر الرب

— ١٧٠ —

لكنه منع بيد الموت .

أمبرويز الذي كتب هذا الكتاب شعراً يقول :
كان ذلك الرجل حكيماً ولم يخطئ
وحافظ على عهده وعلى كلمات تعهده
التي أقسم بها للرب ، مولاه .
والآن ومولاهم الملك قد مات
خلف وراءه ولدين أخوين فقط
وكان اسم الأكبر بينهما رتشارد
كونت بواتو ، عظيم في شهرته .
والأصغر هو جون وكان صدقاً بلا أرض
هكذا عرف وقد كان فتى بلا تجربة .

— ١٨٠ —

تتويج رتشارد

ثم الى رتشارد أعطي

- ١٢٣٨ -

التاج ، بحكم ما قضى به العقل
وأيضاً أعطي الثروة والخزينة
والأراضي وأيمان التبعية والولاء.
ثم أخذ الصليب أولاً، بدون تقاعس
وكما أخبرتكم في روايتنا
الى الرب أعطى أعماله ومجهوده
وشرع هكذا للاستعداد للسفر
وأبحر عابراً الى الشواطىء الانكليزية
وقبل مضي أيام كثيرة

— ١٩٠

تلقى التاج في لندن .
ورأيت هدايا أعطيت في تلك البلدة
هدايا عظيمة ، وقدم الطعام بقدر
هائل حتى ما من انسان يدري كم هو .
ولم أر في حياتي ولم أشهد
بلاطاً خدماً بأبهة أعظم
رأيت أوعية فخمة وصحونا غنية
تقدم في قاعة الدولة العظمى
وموائد مليئة بشكل ممتاز
أكثر مما يستطيع انسان أن يخبر .

— ٢٠٠

لكن لماذا أحكي عن ذلك بتوسع عظيم
أنتم جميعاً تعرفون جيداً هذه الأبهة والقوة
والبلاط العظيم الذي يمكن أن يمتلكه
الذي يحكم مملكة انكلترا .

لقد كان الحفل عظيماً وثرياً ورائعاً
واستمر ثلاثة أيام كاملة على الأقل
ومنح الملك كثيراً من الجوائز الثمينة
ورد الى باروناته

الاقطاعات التي استحقوها لنسبهم
وزاد هو نفسه من ميراثهم .

استعدادات رتشارد للحملة الصليبية

وعندما انتهى اجتماع البلاط
عاد كل واحد الى اقطاعيته
وكل واحد، الى ممتلكاته الخاصة
لكن ليس ليملك هناك طويلاً لأن الملك قال الكلمة
وأمره كل انسان سمعه
بأن يستعدوا للقيام بمخاطرتهم
بالاستعارة أو بأي سبيل آخر
لأنه رغب أن يشرع اسطوله

—٢٢٠— وأن يجري تأمين كل شيء كما ينبغي وحسب الحاجة

حتى في صباح أحد الأيام

يمكن لحجه أن يأخذ طريقه .

لأن قلبه تطلع شوقاً ليلاً ونهاراً

نحو الذين انتظروا عودته

في نورماندي وفي أنجو

وفي غسكوني وفي بواتو

وفي باري وفي بيرغندي

من حيث التحق العديد بالجماعة .

وفي كل كنائس انكلترا ، وفي

جميع الكنائس الأخرى في أراضيه

—٢٣٠— عين ، حيث لم يكن هناك أحداً معيناً

لقد رسم أساقفة ورؤساء أساقفة

ولم ينتظر حتى تساقط ثلج الشتاء

بل أمر بأعداد سفنه للذهاب

ووضع فيها خزينة ثرية

ذلك أنه عرف كيف يستخدمها بشكل صحيح .

وعلى شاطئ البحر، بقعة صغيرة

هناك سكن، قبل أن يرسل الرب رحمته

٢٤٠ — بريح طيبة، تحمله مباشرة
وتنقله إلى شاطئ نورماندي.
والتالي يمكن حقاً تصديقه
لقد استقبل بسرور عارم
منذ اللحظة التي كان فيها مرثياً.
وبسرعة جعل جميع الأشياء صحيحة
للزحف، وإلى ليون بعث
للاعداد لحفل، ومرح
٢٥ — كانون أول ١١٨٩ ليوم الميلاد

٢٥٠ — وأقام الملك احتفاله في ليون
لكن غناء أناشيد الأعمال فجأة توقف.
وأمر على الفور بكتابة رسالة
واختار رسولاً مضموناً، وسريعاً، وموائماً
وأعطى هذا الرسول أوامر
بأن يضع الرسالة في يد ملك فرنسا
وأن يؤكد للملك تمام التأكيد
أن كل شيء أعد للترحال.
وهكذا جرى ترتيب الأمور بينهما
في أن يلتقيا، إذا لم يحدث خطأ معيق.

- ١٢٤٢ -

وهكذا اجتمعاً أمام درو

٢٦٠ — على مسافة سبع مراحل من ايفرو.

وفيما الملكان يتفاوضان ويتداولان

ويتحدثان عن الرحلة وعن الطرق والسبل

فجأة، إلى ملك فرنسا

جاء رسول، أخبره

بأخبار سيئة، جاء ورأسه مطأطأ

١٥ — أيار ١١٩٠ وأخبره أن الملكة قد توفيت.

ولسماع هذه الكلمة المحزنة المبكية

وحكاية خبر مخزن آخر سمع

عن وفاة ملك أبوليا (وليم الثاني ملك صقلية، وزوج جوانا

أخت رتشارد، توفي في ١٦ أو ١٨ تشرين ثاني في ١١٨٩)

٢٧٠ — (الخبر الذي أحزننا ومازال يؤسفنا)

وشعر الحشد بانزعاج عظيم

إلى حد أن غالبيتهم تخلى

عن الطريق الذي ركبته الناس نحو سورية.

لكن هذا لم يكن هكذا، بنعمة الرب

فقط تأجل إلى موعد آخر

٢٤ حزيران ١١٩٠ هو يوم القديس يوحنا، الذي يحتفل الجميع به.

إعداد رتشارد وفيليب للقاء في فيزلي

عندما امتلأت الورود بالشذى

صار الوقت جاهزاً عندما يشاء الرب

لا يقاظ شجاعة الحجاج

— ٢٨٠ — حتى يلتحق بهم بقية الناس

ولكي يستعد كل واحد منهم

لحمل ما أراده الرب تحميلهم إياه

وأن يكونوا على استعداد لمعاناة الآلام والجوع

وأن ينطلقوا نحو الأمام في يوم عيد القديس يوحنا.

٢ — تموز ١١٩٠ وبعد ثمانية أيام، وبدون تأخير

التقى الحشد في فيزلي

ووقتها غادر الملك باريس

وودع كنيسة القديس دنس

وكثير من نخبة الفرسان واللوردات

لم يكونوا قد تمنطقوا بسيوفهم بعد

— ٢٩٠ — في حين كان جزء كبير من الصفوف الفرنسية

قد أخذ الطريق ومضى في زحفه.

ووقتها قام دوق بيرغندي

بالانطلاق للالتحاق بالجماعة.

ولم يتقاعس كونت فلاندرز
بل احتشدت كتائبه بسرعة ونشاط
ومع ذلك كان مايزال يرى مجموعات
من الرجال تصل من كل اتجاه.

وتولى بعض الناس في حزن تشييعهم

وبكوا عليهم على طريق أحزانهم

ومن أجلهم حزنوا حزناً عظيماً حتى

كادت قلوبهم أن تتفطر أسفاً

ارسال رتشارد لاسطوله أمامه

وكان الملك رتشارد آنذاك في تور

مع معدات الخيول، والسلاح، وأدوات الزينة.

وحشد عظيم من الرجال داخل الأسوار

كان هناك، حتى بات من الصعب استيعابهم جميعاً.

وأرسل أوامره إلى البحر

لجمع اسطوله بكل سرعة

وأمر اسطوله بالإقلاع مبحراً

والارتحال بدون تقاعس أو تأخير.

وكان عدد سفنه مائة وسبع سفن

وعندما أقلعت جميعاً وركبت (ظهر الأمواج)

— ٣٠٠ —

— ٣١٠ —

من دون السفن التي كانت ستأتي فيما بعد
(وكان الطريق الذي اتبعوه هو نفسه).

ماء ومخاطر ورعب
ومضائق، وجاوزوا ذلك كله بدون أذى
ومروا بمضائق أفريقيا المميّنة
حيث البحر دوماً يضرب ويسلب
مامن واحد واجه أسى أبداً
ولم يكن هناك غرق أو تحطم لشرع.

— ٣٢٠ —

لقد أبحروا بفضل نعمة الرب في السماء
حتى وصلوا إلى ميناء مسينا
وبدأ الملك رتشارد ولورداته
وغادروا تور بقلب منشرح
ثم جاء متقدماً كثير من الفرسان الجيدين
ورماة قسي عقارة مدربين على القتال.
آه، هل رأيت الحشد يزحف نحو الأمام
لقد جعل الأرض كلها تهتز.

وكان الناس جميعاً كئيبين
من أجل لورداتهم الشجعان والبواسل
وهناك كانت أنسات وسيدات ينتحبن

— ٣٣٠ —

مسنات وشابات، قبيحات وجماليات
اقتربت قلوبهن من أن تتفطر حزناً
على الأقرباء والأحباء الذين توجب ذهابهم.
وتشييع لم يكن قط أكثر إيلاًماً
ولأرجال لدى عودتهم أكثر امتلاء
بالحزن، وكثير من الدموع ذرفت
وكثير من العهود التقيّة قيلت.
وأخيراً عاد المشيعون

٣٤٠— وزاد الحجاج على طريقهم من سرعتهم.
وهكذا وفقاً للتاريخ الذي حدده الملك
لأبكر كثيراً ولا أبعد كثيراً
الحشد الذي استولى الرب عليه وأبعده
عن الشيطان، التقى في فيزلي.
استولى؟ لا، لقد أخذه نقيّاً تقيّاً
فمن أجله وفي سبيله احتشد هناك.

اللقاء في فيزلي

في فيزلي، وسط جبال عالية
ستر الرب غطى جماعته
وفي الوديان كان هناك العديد من الذين

—٣٥٠— من أجله حملهم طريقهم إلى هناك

وفي الكروم وعلى سفوح التلال

نام أبناء الأمهات والأمل

وكان النهار دافئاً، والليل لطيفاً

فهاهنا اجتمع في المحنة

مع الرب جماعات كثيرة من أصل نبيل

بشكل لم ير نظيره على الأرض.

وهؤلاء الذين اجتمعوا هنا فعلوا ذلك في سبيله

وهجروا أراضيهم وأسراهم

وأقسموا تدليساً بشكل دائم، أو بمثابة تحد

—٣٦٠— أقسموا وكرسوا ميراثهم العظيم

وحرموا أنفسهم من الأرض ومن مسقط الرأس

حتى يمكنهم شراء محبة الرب.

فما من صفقة يمكن أن تكون أفضل

من التي في سبيل ملك السموات.

وتشارد وفيليب يتفقان على اقتسام ماسيستوليان عليه

في فيزلي كلا الملكان

أقسما كل واحد للآخر قسماً مؤكداً

أنه مهما قدر القدر لهما وجلب

كل ملك سوف يثق بالملك الآخر
ومهما كانا سيربحان
—٣٧٠— سيقسما نه قسمة عادلة
وأقسما قسماً مؤكداً آخر:
على الآخر، إذا كتب القدر له النصيب
انتظار الملك الآخر

وهكذا وقد ارتبطا بأيمان موثقة
أقلعا من فيزي وتقدما مبحرين.
وسافر الملكان وتقدما نحو الأمام
وعن رحيلهما يمكن قول الكثير
وقدما لبعضهما التشریف والحمد
—٣٨٠— وفعلا ذلك نحو بعضهما بعضاً حيثما ذهبا.

وتحرك الحشد وفقاً لهذا الوفاق
ولم تكن هناك شحناء لبالشارات ولا بالكلام
وكان كل واحد لطيفاً نحو الآخر وأديباً
ولم يسجل حادث يذكر.

زحف الحجاج

وهم سائرون على طريقهم بشجاعة
كان بإمكانك أن ترى، عونك يارب

شباب وشابات وزوجات وأتباع
يجلبون أباريقاً، وكؤوساً وأوعية
وطسوتاً ممتلئة حتى الحواف

—٣٩٠—

بالماء لسقي الحجاج العطاشى
وهم ممسكون بالطسوت في أيديهم
اقتربوا من الجماعات الزاحفة
وقالوا: «آه يارب ياذا الجلالة
من أين جاء هذا الحشد؟ وماذا يمكن أن يكون هذا؟
وهؤلاء الشباب، أين ولدوا وإلى أين ذاهبون؟
حرق بوجوههم المتوردة والدافئة!

فكر بحزن أمهاتهم
وأبائهم وأبنائهم وأخوانهم
وأصدقائهم وكل من يمت إليهم بصلة
وبهؤلاء الذين شكلوا هذا الحشد القديراً!

—٤٠٠—

إلى الرب أوصوا بالحشد وأودعوا
وبكوا عندما رأوه يمضي في سبيله نحو الأمام
على طريقه، وصلوا بخشوع
للرب، وسألوه بتقوى
في خدمته أن يقود الحشد

وأن يعيده إلى وطنه بعدما تلبى حاجته
وأصبحوا واثقين بنعمة الرب، وحقاً
كثيراً فعل، وكثيراً يمكن أن يفعل
وبسرور عظيم وفرح

—٤١٠—

وبدون غضب أو انزعاج
أو استهزاء أو غيبة، أوصراع أو نحيب
وصلوا مباشرة إلى ليون على الرون.
الوصول إلى ليون

ثم توقف الجيش في ليون
حيث ازدادت مياه الرون واندفعت
وهناك توقف الملكان بانتظار
الذين كانوا ما يزالون على طريقهم.
ولم يشاهد من قبل مثل هذه الروعة
ولم يرقط مثل هؤلاء الرجال الناذرين أنفسهم:
كانوا مائة ألف، هذا ما هو معروف

—٤٢٠—

نام معظمهم داخل البلدة
واتخذ الملكان محلتين لهما في بقعة
لم تكن في البلدة ولا في إحدى الحدائق:
لقد تركزا خلف أمواج الرون ونصبا

- ١٢٥١ -

خيمهما لانتظار بقية الحشد
وكان ضرورياً أن يبقيا
لأن كثيرين كانوا ما يزالون ماضين على
طريقهم، وقد انتظرا هناك حتى
وصل الحشد واجتمعت عناصره واصطففت
وبعدما انتظرا طويلاً وبعدما
باتا متأكدين أن جميع الحشد
قد اجتمع في المكان المحدد
امتألت قلوبهما بالفرح مجدداً.
وعلى بقعة جديدة نصب خيامهما
جميلة جداً، وغنية في زينتها
ومن حولهما الحشد، فوق الرمال
نصب خيامه، كلها على طول الشاطئ.
الافتراق إلى جماعات
إلى الأمام تقدم الملكان معاً
مادامت سبلهما هي نفسها
ثم انطلق كل منهما نحو مرساه
بفرح عظيم وبمرح كبير.
وكان فيليب ملك فرنسا قد أعد

— ٤٣٠ —

— ٤٤٠ —

من قبل الترتيبات لنيل العون
من الجنويين في الابحار
وكانوا الأكثر براعة بمثل هذه المسائل
بينما رتشارد، الذي قاد حشد انكلترا
طاف حول البحر، على طول الساحل
ووصل إلى مرسيليا، متبعاً
إرادة الرب، الذي يقود كل شيء صحيح.

عبور الرون

عندما علم الحشد أن الملكين قد مضيا
نحو الأمام، نهض بعضه قبل الفجر
وآخرون عندما أضاء نور الصباح — ٤٥٠ —
الطريق، لأنه توجب عليهم جواز الرون.
والذين استيقظوا قبل انبلاج النهار
لم يعانون من أي نوع من الاضطراب:
وعبروا الجسر، بحظ سعيد
بدون أذى أو إعاقة
لكن الذين بعد انقضاء الصباح
تجمعوا على الجسر بشكل كثيف جداً وسريع
لحقهم سوء الطالع وبددهم

٤٦٠ — لأن إحدى قناطر الجسر تحطمت

بسبب أن المياه الخائنة

ازدادت بشكل هائل وخطير

ولأن وزن الناس فاق على المائة

وحملوا القنطرة الصنوبرية فوق طاقتها حتى انهارت

وسقطت القنطرة ، وسقطوا هم في الماء

وكان هناك صراخ ، وأنين ، وعويل .

فكل واحد ، أذهله السقوط الكبير

ظن أنه فقد جميع ذويه

من أخوان ، وأبناء ، وأقرباء ، وأصدقاء .

٤٧٠ — لكن الرب ، قدم الآن عونه

وصحيح أن كثيرين سقطوا ، لكن من بين هؤلاء جميعاً

كان هناك اثنان فقط ، فقدتا حياتهما

أعني أن اثنين فقط اكتشفا

ولكي نجزم ونؤكد العدد مامن أحد يجرؤ

فالماء كان هناك حاداً جارفاً

فقليل مما سقط قد ظهر

وإذا كان هؤلاء ماتوا أمام الرب أنقياء يشعون :

فعلى طريقه ساروا وبأقدامهم خطوا

— ٤٨٠ —

وعندما يلقوه، سينالون الرحمة.
وانهارت قنطرة الجسر وتحطمت
وأصيب الحجاج جميعاً بالذهول وتفرقوا
دون أن يعرفوا إلى أين عليهم أن يتوجهوا
صعوداً ضد مجرى الماء أم هبوطاً.
ولم يجدوا حرفياً ليصلح
الجسر، ولم يكن هناك مجاز
وفوق الرون لم يكن هناك أية سفينة
ولامركب ولا بارجة أعظيمة كانت أم صغيرة.
لذلك لم يكن بإمكانهم اللحاق، ولا
الاتصال بالذين عبروا النهر من قبل.

— ٤٩٠ —

ولأنهم لم يجدوا خطة أخرى
فتشوا عن خير مخرج توفر لهم:
ففي قوارب صغيرة هشة وخفيفة
حيث انضغط الناس بشدة معاً
عبروا، وهم في رعب على حياتهم
فهكذا ينبغي أن يفعل الذي في سبيل الرب يناضل.
وأبحروا نحو مسينا
ودامت أعمال الجواز ثلاثة أيام

وكانت هناك فوضى عظيمة.
ثم مضى العقلاء والحمقى مسرعين
يبحثون عن مكان لرسوهم — ٥٠٠
وإلى مرسيليا، أقرب ميناء منهم
ذهبت جماعات كبيرة رائعة
وكثير من الشجعان المسيحيين، من النوع نفسه
ارتحلوا إلى ميناء البنادقة.
وكذلك طلب كثيرون ميناء الجنوية
ولا يمكن للمرء أن يعد أويحصي هؤلاء
وإلى برلتي Barlette. وإلى برنديزي
استلهم كثيرون التاريخ
وإلى مسينا ذهبت جماعة
— ٥١٠ — لتنتظر حتى رسو الملكين ونزولهما إلى اليابسة.
المكان الذي سوف يلتقون فيه بالملك وبالناس
مسينا هي قلعة
غالباً ماكتب عنها وبشكل جيد
إنها بلدة جيدة وذات موقع جميل
في صقلية، وتطل على
بيت النور(الفاروس) الذي منه يرى الانسان

- ريغيو، التي استولى عليها أنغولاند.
وفي البلدة أشياء طيبة لاتعد ولا تحصى
ووجدنا أهلها أشراراً.
وأخبرنا أن ملكها يدعى تانكرد
—٥٢٠— وأن لديه مخزناً عظيماً من الذهب الخالص
الذي وفره أجدادنا وربحوه
منذ أيام حكم روبرت غويسكارد
وعاش في بلرم آنذاك سيدة
سكنت هناك منذ زمن طويل وبصيت حسن
وكانت أرملة الملك وليم المتوفى
ملكة المملكة أثناء حياته.
وكان شجاعاً ولطيفاً
وتوفي ، وبالأسف، بدون وريث
وكانت الملكة أختاً لملك
—٥٣٠— انكلترا، الذي اتخذ الوسائل، لاستعادة
حقوقها في البائنة—الدوطة—وردها إليها
ولم يتجرأ تانكرد على الاعتراض
مع أنه استولى ووضع تحت سلطانه
كل من شخص الملكة وبائنتها

يامن لديهم العقل والذاكرة
ويامن سمعتم التاريخ بشكل جيد
يحكي كيف أبحرت سفننا في طريقها
وسارت على طول سواحل اسبانيا.
والى مسينا وصل الاسطول

— ٥٤٠ — على مثله روعة لم تلق عيناى التحية

وتوجب عليه الانتظار هناك أوامر
رتشارد، الذي كان ملك انكلترا
وقمىز هناك حشد متنوع

بأعلام، وعذبات، ورايات، وخيم
وعسكروا جميعاً على طول الشاطئ
لأن الدخول الى المدينة كان ممنوعاً
وعلى مقربة من السفن خططوا
للبقاء حتى وصول الملك

لأن أهل المدينة كانوا غوغاء، وحثالة

— ٥٥٠ — المدينة كان بعضهم هجاء اغريق

وبعضهم من أصل اسلامي
وقد غمروا حجاجنا بالشتائم
ومدوا أصابعهم الى أعيننا وسخروا منا

ودعونا بالكلاب التثنه.
وأساءوا إلينا وأذونا كل يوم
وأحياناً قتلوا حجاجنا
ورموا جثثهم في أماكن سرية
وقد تبرهن أن هذا كان صحيحاً.
وصول ملك فرنسا غير اللائق

سادتي، من المعتاد والمعتمد
— ٥٦٠ — أنه عند وصول أمير صاحب تاج رفيع
مثل ملك فرنسا، الذي يستحق
أن يتحدث الناس عنه في أرجاء الأرض
أو مثل ملك انكلترا، الذي هو
مبجل في أنحاء العالم كله،
ودخوله إلى بلد، مهما كان نوعه
أو إلى بلاد مثل صقلية
يتوجب عليه القدوم بمثابة سيد عظيم
ليحصل على كلمات الثناء من جميع الناس
لأنه صحيح القول، كما أقدر:
— ٥٧٠ — «حسبنا أراك، أنت تستحق كما أرى»،
ولهذا، أقول: عندما جاء كل ملك

كان هناك جمع هائل من الناس
والى مسينا جاء أولاً
ملك فرنسا، الذي رحب به
من قبل كثيرين، دنوا من مكان
رسوه، لكنهم لم يروا وجهه
لأنه كان لديه سفينة واحدة، ليس أكثر.
ورأى حشداً هائلاً من الناس على الشاطئ
ولكي يتجنب الاحراج من
الحشد، الى القصر مضى مباشرة. — ٥٨٠

أبهة وصول ملك انكلترا

٢٣— تشرين ثاني ١٩٩٠ لكن عندما وصل الملك رتشارد
كان هناك حشداً هائلاً يتدافع ويتصارع
ليروه وهو يرسو، شيئاً وشباباً
وكان بين الحشد رجال عقلاء وخلعاء
وذلك قبل أن يظهر الملك ويشاهد
وليراه، كان الحشد كله
متشوقاً، الى شجاعته.
ووصل بأبهة وروعة
حتى أن البحر كله من حوله امتلأ

بالمراكب، التي كان عليها رجال بحر بارعين
— ٥٩٠ — ورجال مسلحين، وشجعان، ومندفعين ومشرقين

يحملون العذبات والأعلام الثمينة الخفاقة.
وعندما اقتربت سفن الملك من الرصيف

باروناته وفرسانه ذوي المراتب
التقوا، وقادوا خيوله المعدة للحرب
التي جلبتها من قبل سفن نقل.

وامتطى حصانه، مع حاشيته
والذين رأوه قالوا هذا حقاً

ملكاً قديراً، وواحداً فريداً

— ٦٠٠ — جديراً أن يكون ملكاً مالكاً

لكن الإغريق واللومبارد تدمروا
لأن سيّداً غريباً

دخل الى مدينتهم

بأبهة عظيمة واحتفال كبير.

اللومبارد الأشرار

عندما جاء الملك، القوم من اليونان

لم يفعلوا شيئاً لخلق الاضطراب

وأثار اللومبارد اضطراباً كبيراً

- ١٢٦١ -

وأساءوا إلى حجاجنا وأذوهم
وهددوا بتدمير، أو بالاستيلاء
٦١٠ — على خيمهم وعلى ممتلكاتهم الأخرى.
وكانوا قلقين من أجل نسائهم
اللائي تحدث رجال الحجاج معهن
وفعلوا هذا لازعاجهم وإيلاهم
ولم تكن لديهم نوايا بأن يزيدوا على ذلك.
اللومبارد والسكان

ازدروا دوماً وكرهوا شعبنا
لأنه روي عن آبائهم وقيل
بأن أجدادنا قد سحقوا
أجدادهم. وكانت كراهِيتهم هائلة
٦٢٠ — وهكذا رغبوا في تجويعنا.....

ولكي لانكسب هناك شيئاً
رفعوا أبراجهم وزادوها علواً
وحفروا خنادقهم وعمقوها
وفعلوا هذا كله، وضاعفوا البغضاء
بالتهديدات والتحديات
وانبعث الشر من كل جانب

اثارة الشقاق

- في أحد الأيام، الى وسط الحشد جاءت
امرأة—كان اسمها امّا Emma
وكان معها خبز للبيع، هكذا قيل
—٦٣٠ ولدى رؤية الخبز الطازج والساخن
من قبل أحد الحجاج، استفسر عن الثمن ليشتري
ورفضت بانزعاج وازدراء
السعر الذي عرضه، وكان مثله مثل
المرأة في غضبه الذي وصل الى حد الضرب
وكانت غاضبة، ومضطربة.
وأفلت زمام الأمور الآن وقام صخب عظيم
وكان أهل المدينة غاضبين الى أبعد الحدود
فأمسكوا الحاج بمقابضهم
ونتفوا شعره، وبطحوه، وضربوه
—٦٤٠ وآلموه كثيراً، وأساءوا معاملته
وسمع الملك رتشارد الصراخ فقال: سلاماً
هكذا أمر، وأن يتوقف الصراع تماماً
وأطفأ النائرة
وأجبر رجاله على البقاء بعيداً

لكن الشيطان، الذي بطبعه
يكره السلام أكثر مما يفعل بقية المخلوقات
أشعل الصراع في صباح اليوم التالي
وبالخلاف كل شيء تمزق.

تفجر الاضطرابات مجدداً

ثم ذهب الملكان معاً
الى ما بدا لي، اجتماع عام ضم
أعيان صقلية، والسادة
والنبلاء، والقضاة، ورجال العدل
جميعاً تكلموا عن السبل التي يمكن بها صنع السلام
وفيما هم يتحدثون هكذا، على مهلهم
وفي الوقت الذي قال فيه الملكان كلمات جميلة
حول كيفية إنهاء هذه الخلافات المؤلمة
جاءت أخبار ومعلومات أن رجالنا تعرضوا للهجوم عليهم.
وجلبت الأخبار المحزنة مرتين
بأن كثيراً من الأضرار قد أنزلت
والرسول الثالث الذي جاء
قال للملك: «مثل هذا السلم عار
لأن شعب هذه البلاد يمكن

- ١٢٦٤ -

أن يقتلوا شعب ملك انكلترا
في داخل المدينة وفي خارجها».

وكان صحيحاً بدون أي شك

أن اللومبارد تركوا الاجتماع

بعدما أخبروا كل ملك زيفاً وكذباً

أنهم قصدوا التهدة وإنهاء

الصراع. لقد ذهبوا لجعل الأمور أسوأ — ٦٧٠

جورديان دمر بن Jourdian du pin ومرغريت (*) Margarit

(ضربهما جميع الشياطين، فذلك لهما مناسب)

فهذان فجرا الشجار

وكانا نبعه وأصله

وهناك وقف ملك انكلترا

وتبعه على الفور ملك فرنسا وكان على مقربة منه

وحكى الذي روى الأخبار:

بأن ملك انكلترا وقتها امتطى

فرسه، وتوجه لإنهاء الشجار — ٦٨٠

لكنه ما أن سار وابتعد

حتى تفوه أهل المدينة ووجهوا الشتائم

* — كان جورديان قائد مسينا تحت إمرة تانكرد، ومرغريت هو لقب أطلق على أمير الماء في صقلية.

إليه، وشعر بالاهانة، والافتراء عليه
وأخذ سلاحه، ووجه الملك الأمر
بوجوب الهجوم عليهم من البحر
ومن البر ففي العالم أجمع
لم يكن هناك محارب منه أقدر.
الأمر الذي لم يشارك فيه الفرنسيون
وكان الجيشان عظيماً والاضطراب هائلاً، وعظيماً
كان الصراع، وعاشت البلدة في حالة رعب.
وبحث الفرنسيون عن ملكهم بقلق
في رحاب ملك انكلترا وضيافته
— ٦٩٠ —
لأن البلدة كانت في حال من الاضطراب عظيم
ولم يخيل اليهم أنهم سيعثرون عليه أبداً.
ووقتها كان قد عاد إلى القصر
حيث سكن من وأقام
ثم بادر اللومبارد مسرعين نحوه
وامسكوا به بوساطة ركابه الأيسر
وأعطوه هدايا، ووعدوه بالدفع
ومنحوه شرف النهار
وسألوا راجين حمايته وعونه

- ٧٠٠ — داخل البلدة ، وعن طواعية جعلوا
أنفسهم رعايا لحكمه وملكه .
وهكذا بجهد ، وثمن ، وألم
أقنعوه لحمل سلاحه ،
وأكد واحد جدير بالتصديق
أنه أعطى الصقليين المزيد
من العون أكثر مما يمكن للانكليز تحمله .
وهكذا أطلق مجدداً الاغراء
وازداد الاضطراب داخل الحشد .
وكان الفرنسيون في داخل المدينة
٧١٠ — وادعين ومتحررين من القلق والاهتمام .
ووثق اللومبارد بهم حقيقة
ومع أن الحشد أعطى قليلاً من الاهتمام .
أغلقت الأبواب الآن وسدت
وسكان البلدة ، تسلحوا وما لوا نحو القتال
وصعدوا فوق الأسوار ، للدفاع
عنهم ، ولكن قضت الحاجة بنزولهم فوراً
والذين قاموا بالحملة من المدينة
وحملوا حملة مميتة الى

حيث مولاي هيوج دي برن عمل بشكل طيب .
—٧٢٠ وكانوا يقاتلون يداً بيد ، واختلط الحابل بالنابل

وعندما وصل ملك انكلترا ، عشرون

من الرجال كانوا معه ، ليس أكثر ،

كما أظن ، عندما التحق بالصفوف المتحاربة .

وما أن رآه اللومبارد ، حتى مباشرة

تخلوا عن تهديداتهم

واستداروا على أعقابهم وهربوا.

ولحق بهم الملك الجريء عن قرب وضغط

عليهم ، ويؤكد امبرويز

أنهم عندما رأوه يقدم ، يمكنك

— ٧٣٠ أن تعتقد أنهم شياء هاربة

عندما شعرت بالرعب من الاتهام من قبل ذئب شرير .

أو مثل ثيران هاربة من النير

وركض هؤلاء الرجال نحو الباب الخلفي

المتجه باتجاه بلرم

وهناك هاجمهم ، ولست أعرف

كم عدد الذين ألقاه منهم أرضاً

ونفض الحشد كله ، وامتنى كل واحد منه حصاناً

لأنهم هوجموا بشدة وبقوة
من اللومبارد الذين كانوا غاضبين أشد الغضب
ومن الاغريق الغضابي والغدارين. — ٧٤٠

الانكليز يحملون بعنف من جهة البر
لكن اصحابنا كانوا رجالاً ذوي خبرة وشهرة
ومن الذين حاصروا مدنا كثيرة :
وكانوا نورماندين وبواتفيين
وغسكون ومن مانيسو وأنجو
وعندما جاء الذين هم من انكلترا
كانوا أكثر من أن يستطيع الانسان عدتهم أو تسميتهم
وهكذا هاجمهم، شجعانا بواسل
عندما دفعوهم عن الأسوار وأبعدوهم
وكلهم ركبوا وحول المدينة وطافوا
حتى شقوا طريقهم الى داخلها — ٧٥٠

وأطلق سكان المدينة النشاب، ورموا بالحراش
وسببوا ضرراً كبيراً للذين رموهم
بالجروح من القسي، وبرمايات القسي العقارة
وبكل ماتوفر لديهم، قاتلوا بحدة وشدة
فرموا بالحجارة والصخور من أعلى الأسوار

وآذوا رجالنا بهذا كله أذى عظيماً
وتطايرت الأسهم والرميات مثل المطر المنهمر بغزارة
وتسبب ذلك لحجاجنا بالأذى والألم
وتلقى ثلاثة من فرساننا ضربات قاتلة

—٧٦٠—

وأصيبوا بجراحات بليغة لدى دخولهم بوابة.
وكان بيترتاير بروي Tireproie واحداً ممن
جسده ألقوه ميتاً على

الطريق، وأيضاً ماهيو دي سوکوي Maheu de saucoi

الذي على البقعة نفسها ألقوا بجسده

وجثة رالف دي روفري Rovroi وجدوها

هناك على الأرض (فهذا مات برهن صدقه).

ولأجلهم كان هناك حزن وقداس لراحة أنفسهم؛

يارب امنحهم الخلاص وأنزله عليهم

ولو أن اللومبارد كانوا شجعاناً ومخلصين

—٧٧٠—

لردوا الجنود الملكيين وهزموهم

لكن صفوفهم العليا تصرفت بحماقة جعلتنا

متشوقين ومتسرعين للانتقام

وكان الذين تولوا الدفاع عن المدينة آنذاك

أكثر من خمسين ألفاً من الرجال

على الأسوار وفي الأبراج متخفين
محميين بالدرايىء والترسة.
وكان يمكنك أن ترى هناك حرباً شديدة قد نشبت
من قبل عدد كبير من الرجال الأشداء الغضابى.
محاولة الاستيلاء على المدينة بحرراً

واقتربت الغلايين من القصر

عازمة على تجديد الحملة. —٧٨٠

لكن على الساحل، حيث خططوا
للهجوم، تمركز ملك فرنسا،
ولم يكن يسمح للغلايين بالدخول
الى الميناء، الذي لم يستطيعوا لهذا السبب نيله.
ومن الشاطيء رموا، وقتلوا
اثنين من البحارة—وكان عملاً قذراً فعلوه.
أما من جانب البر فإن هجوم ملك
انكلترا الحاد أنزل ضربة حادة باللومبارد، بهجوم

ميت قاتل ردهم به الى الوراء. —٧٩٠

أما رجاله—وكان مشهداً جميلاً أن تراه—
فقد تجاوزوا كل العقبات
وشطروا أقفال الباب الى شطرين.

وعدداً كبيراً أسروا، والعديد قتلوا،
ومضى بعضهم مباشرة يشقون طريقهم خلال الشوارع
وهم الذين انزاحوا من أمام اندفاعهم؛
ولأنهم من أعالي أسقف البيوت
رموا مثل زخات المطر بالنشاب على المقاتلين.
مع هذا، وعلى الرغم من كل ما بذلوه ومن قتالهم
لم يكن بإمكانهم الصمود أمام هذا الهجوم.
وكل من جلب الساقة بعد ذلك
كان الملك الأول جرأة بينهم
لشق طريقه الى البلدة، ومن ثم
لحق به هناك عشرة آلاف رجل
ووقتها هل سمعت أصوات رجالنا وصراخهم

— ٨٠٠ —

.....
وباقتحام وضرب مع صراخ مشوب بالخوف
وبجرح وطعن ورمي هنا وهناك
بسرعة استولوا على مسينا حتى كثيراً قبل
أن يتلو كاهن قداسه الليلي وينهيه
وكثير هلك في المدينة
لولا أن الملك تلمظ وأشفق.

— ٨١٠ —

- ١٢٧٢ -

ولك أن تعرف بشكل مؤكد
أن كثيراً من الممتلكات قد فقدت
عندما بنجاح قاتلوا
المدينة. وبسرعة سلبت ونهبت
ودمرت سفنهم وأحرقت
التي لم تكن فقيرة أو تستحق الإهمال.
وكان هناك نساء أسرن ، جميلات
ورائعات ولطيفات.

—٨٢٠—

وأنا لم أستطع معرفة الحقيقة كاملة
لكن سواء أكان ذلك معقولاً أم حماقة
قبل أن يكون حشدنا مدركاً
رأى الفرنسيون معلقاً بالهواء
فوق أعالي الأسوار راياتنا وأعلامنا
في كثير من الأماكن وبأشكال متنوعة
الأمر الذي ولد لدى الملك الفرنسي حسداً لن يستطيع الزمان إزالته
وتولد من ذلك أموراً مقلقة مرعبة

—٨٣٠—

عنها نجم تمزيق نورماندي المؤلم وسلخها.
فيليب يأبى القبول بنصر رتشارد
عندما استولى الملك على البلدة

وأعلامه فوق أسوارها خفقت تلقى رسالة من ملك فرنسا
فيها كلمات حسد ورعونة
أنه وأتباعه حزنوا واندھشوا
لأن الأعلام قد رفعت
ووجه وقال: لتنزل الأعلام
وعلى أسوار المدينة لتنصب
الأعلام الفرنسية ولتحل محلها.

— ٨٤٠ — وفي الحقيقة، زاد على هذا وبعث يقول

أن رتشارد بما قام به، بشكل صريح
خرق تبعيته له وعنهما تخلى
ولهذا هو مضطر لاتخاذ اجراء مؤلم ضده.
مولاي، حكمك الآن أنا أطلب:
من الذي له الحق أكثر في نشر أعلامه
الذي وقف جانباً وتقاعس
ولم يرغب في القتال أن يشارك
أو الذي شارك وتجرأ؟
وسمع الملك رتشارد الرسالة، وأرسلها،
ولم يتلطف في مناقشاته المطولة
التي أقامها مع فيليب، الذي بهذا

— ٨٥٠ —

أثير وغضب غضباً شديداً.

ومع هذا قال وسمع

كثيراً من الكلمات الجارحة المقذعة.

لكن ليس لائقاً بالكتاب

وجوب كتابة كل حماقة

ارسال رتشارد سفراء الى تانكرد

وتوسل عندئذ رجال كبار وعظماء من رجال الدين

وثباحثوا، حتى توافقوا

على سلام، تبعاً لشروطه ومواصفاته

يمكن لكل ملك أن يرفع أعلامه — ٨٦٠ —

على برج وعلى شرافة من شرافات السور

ورتبوا أن ترسل رسالة

مباشرة الى ملك صقلية

حول الاعتداءات والاهانات

التي وجهت إليهم والتي رأوها هناك

من قبل السكان والبلدة.

وتوجب على سفراء الملك رتشارد أن يبينوا

باسمه، وأن يوضحوا اتمام الايضاح

أنه بحق قوة القانون

—٨٧٠—

يطلب منه بائنة أخته
وحصتها في الثروة العظيمة
حسبها يمكن أن تدعي وفق المعايير القانونية،
ووفق ما يمكن للشريعة والعدالة أن
تمنحه للسيدة بمثابة حقها الشرعي.
وبكل سرعة وأبهة جرت تسمية السفراء:
رجال نبلاء حقاً معروفين، وواسعي الشهرة
منحدرين من آباء ذوي مكانة عالية جداً
لوردات، ومن أصل رفيع
ذوي كفاءات وقدرات عظيمة

—٨٨٠—

وغادروا للقيام بهذه السفارة.
وكان بين هؤلاء السفراء
دوق بيرغندي، كان الأول
ومثله روبرت دي سابل Sable
وكان شجاعاً، ونبيلاً، وبارعاً في السياسة؛
ولربما ذهب معها واحد آخر
أنا لا أعرف من هو ولا اسمه.
ثم امتطى هذان النبلان فرسين
وعلى الطريق سارا مسرعين

نحو بلرم، حتى يقدم

— ٨٩٠ — ويخبر بالرسالة التي يحملها الملك.

الذي ردّ بكلمات لطيفة

الملك تانكرد الذي كان حكيماً جداً

أعد مجلساً لسماع السفراء

وبكثير من المغامرات قد ملأ

حياته، وكان مدبراً جيداً، وبارعاً

بالكتابة. وكان يعرف ما الذي حدث.

وبدون طویل نقاش

قام به، ولم يتردد أو يتوقف

بل عمل رداً بدون تأخير

الى ملك رجال انكلترا

— ٩٠٠ — إنه وفقاً للنظام السائد في بلاده

ولعادات الملك وليم، مع

لوردات وبارونات بلاده

سوف ينهي الآن هذا الخصام

ويفعل ما يبدو للجميع أنه الأكثر لياقة.

وإذا ماتولى برجاسية مسينا

القيام بعنف غير لائق

لايذاء الملك ولازعاجه
يتوجب عليهم القيام بالترضية.
وعندما الرسل الذين أرسلوا
—٩١٠— من قبل الملك رتشارد سمعوا هذا الجواب

البعض بينهم أعلن، بالحقيقة،
وكثيراً تكلموا، باحتجاج واعتراض
لكن بالنسبة لرسل فرنسا
فقد منحوا الكثير من الكؤوس الجيدة.
ووقتها فقد الآخرون صبرهم وتحلوا عنه.

خيانة فيليب

سوف تسمعون الآن عن خلاف عظيم
دوّنًا أخباره آنذاك وفيما بعد
وهو الذي عمله ملك فرنسا
—٩٢٠— لأنه—كما يبدو—أرسل رسالة الى

الملك تانكرد سرية جداً
(ولست أدري مالذي تأمله منها)
ليفعل كل ما يبدو جيداً بنظره
وأنه هو سيدافع عن حقه
وأنه وهو ملك فرنسا، سوف لن يعلن

الحرب عليه من أجل انكلترا
وأته أقسم على تقديم العون لتانكرد
وإذا صح هذا، لاقى أجره شراً.
والتاريخ لا يضمن ولا يؤكد
أنه أبدع مثل هذه الشرور
—٩٣٠— لكن أصبح هذا أم غير صحيح، الناس لا يجزمون
أنه صدقا قد أرسل رسالة من هذا النوع.
ونكص الذين لم يحصلوا على كؤوس
على أعقابهم وعادوا مسرعين بأقصى سرعة ممكنة
وكانت رسالتهم عالقة في أذهانهم وقد حفظوها
والى مسينا انقلبوا راجعين.

ميتغريفون كان جواب رتشارد
وكان الملك رتشارد آنذاك مشغولاً
ببناء، مع سرور كبير، وفخار
ميتغريفون قوية في شاتو

—٩٤٠— ملأت الاغريق برعب وحسد عظيم.
وإليه وقتئذ جلب الرسل
تقريراً حول الذي طلبوه
من تانكرد، والذي أعطاهم إياه

جواباً على الطلبات التي طلبوها وأنه
ببراءة قال: القانون سيكون دليلاً
وهو مع الذي سوف يقرره بارونات
وعلى هذا رد الملك رتشارد.

ولم يتأخر في إعطاء جوابه:
بأنه لن يرفع قضيته لمثل هذا البلاط
بل سيلجأ الى وسائله الذاتيه.

—٩٥٠—

وعندما أعلنت الأخبار وسمعت في الخارج
أنه لن يكون هناك لاسلام ولا هدنة
الخوف من الحرب بات مرعباً جداً
لأن التأييد الذي قدمه ملك فرنسا
للمومبارد،الذين كانوا أذكيا وبارعين،
قد جعل هذا الملك حليفهم.

وبناء عليه عرض تانكرد تنازلات

ولم يأت الآن الى الحشد شيئاً كثيراً أو قليلاً
من أي نوع من الأطعمة أو الأغذية.
ولولا أن السفن والرب كان هناك

لما كان لديهم سوى القليل ليتبلغوا به

—٩٦٠—

لكن في سفن الشحن في الاسطول

كان هناك مخزناً للخمر والقمح واللحم.
وكانت البلدة محروسة بالليل بشكل جيد
وحشد من الخفراء قد تمركز
وحراس. وافترق الملكان واختلفا
بسبب الحسد، الذي جعل الناس يفترون
ولم يكن ذلك عدلاً أو شيئاً له قيمته.
وسعى الناس ذوي المراتب جاهدين لإقامة
سلم بينهما، ولانتهاء الصراع وازالته
ولهذا كانوا الى القصر يركبون — ٩٧٠

ثم الى ميتغريفون يرجعون
أدراجهم على الطريق نفسه ويعاودون.
ولأنهم جميعاً حاولوا، ومجدداً حاولوا
كانت جميع جهودهم بلا جدوى
حسبما ذكر الكتاب بوضوح وبيان
.....

أمام ملك صقلية
الذي عرف أخطاء البلدة تماماً
أخذ فارسين—أحدهما كان ابن
مستشاره، وكان الآخر — ٩٨٠

ميسيمت Meseemeth صاحب شرطه
وكان رجلاً شجاعاً وأهلاً للإعتماد عليه — والى ملك انكلترا بعث
بهما، يحملان رسالة تقول بأن نيته
لم تكن نحو الحرب متجهة بأي سبيل من السبل
لكن إذا كان الملك رتشارد يقبل بالدفع
من أجل إيقاف جميع مطالبه وأحزانه
فهو على استعداد وراغب في إقامة السلام
وأن يدفع من خزانته عشرين
— ٩٩٠ — ألف وزنة من الذهب الخالص
وإذا كان بالزواج يرغب، وحوله يريد
أن يتحدث، وإذا ماوافق اللوردات
في أن تكون ابنته، وهي أميرة
غير مخطوبة، وجديرة، وجميلة،
انه على استعداد لتزويجها من آرثر كونت بريتاني
وإذا كان موافقاً على تحقيق هذا
فإنه سيقسم يميناً مؤكداً أنه سيدفع عشرين
ألف وزنة ذهبية اضافية
— ١٠٠٠ — غير أنه قال: يجب ردّ هذا المبلغ إذا لم يتزوج آرثر من الفتاة
ومثل هذا بالنسبة لأخت الملك، هو

سوف يرسلها إليه مجهزة تماماً وراضية.

الأمر الذي قبله رتشارد

وما أن سمع الملك رتشارد هذا، لم يضع وقته بالتشاور، أو بالتفكير الطويل بل على الفور بعث بأساقفة آخرين لإقامة سلام صحيح ودائم.

الى رئيس أساقفة مونريال ورئيس أساقفة ريغيو، وكان حليفاً مخلصاً، وأسقف إفرو، جون عالي الشأن

الذي بحقه اقترف خطأ وألحق به ضرر — ١٠١٠

فهؤلاء تباحثوا مع رسل الملك ولقد عرفوا القضية موضع الخلاف ومضى مع هؤلاء آخرون من ذوي المكانة. وكان ما نشده هو السلام، وقد عادوا معهم السلام و جلبوا معهم الذهب

و ثروة، أنا الآن سأحدث عنها.

وعندما عادوا من مهمتهم

ملاً السلام كل انسان بالبهجة

— ١٠٢٠ — وبناء عليه قرأت الآن موثيق العهود وتفحصت

وفصلت وتنوعت ونسخت
وهكذا حصلوا على السلام الذي طلبوه وأقسموا
وجرى ضبط الناس والتأكد من ذلك مرة ثانية
وتم وزن الذهب وتبرهن أنه صحيح
وأعطى هذا الملك كثيراً جداً من السرور
فقد رغب بهذا المال كثيراً وقصد
أن يصرف في سبيل خدمة الرب .
وجلبت أخته عائدة إليه
وشري ارسالها بثمن مرتفع جداً .

وقد رغب الملك بتحريرها وبعثها بدون تأخير
١٠٣٠ — وكل ما سلبه رجاله وأخذوه
من البرجاسية أو من القلعة
توجبت اعادته . ووافقه تماماً
أن يعترف كل واحد لكاھنه
(وإلا سوف يحرم)
كيف أنه أعاد كل شيء . فهذه كانت نصيحة
رئيس أساقفة روان الحكيم .

واستعيد السلام

كانت البلدة الآن في نظام حسن

بلا خصام أو صخب

وكل من خاطر لإحداث

١٠٤٠ — صراع ، شنقوه على الفور ، أو أعدموه .

وتمتع الحشد بعدل حقيقي وهدوء

بارك الرب بروحه ، الذي أقام ذلك هناك

وسافر الناس على الطرق وارتحلوا كما من قبل

ومرة أخرى توفر طعام جيد كثير

طعام للبشر وعلف للبهائم

وهكذا توقفت الاضطرابات

وسكان المدينة الهادئين ، بسرور

أعطوا الحجاج الضيافات .

وتخلى الملكان عن الخصام . مع أنه بالحقيقة

١٠٥٠ — ما لبث بعد ذلك أن تفجر مجدداً

وبعد أمد ، الذهب بعناية

اقتسماه ، وكل أخذ حصته

كرم رتشارد

الفرسان الذين طوال الصيف كله

كانوا هناك ، قالوا : من الخطأ
الاطالة والتأخير ، ورفعوا أصواتهم بالشكوى
لأن الإقامة كلفتهم كثيراً من النفقات .
وذهبت الشكاوي الى هنا وإلى هناك
حتى وصلت الى مسامع رتشارد الذي وعد بكثير من التجهيزات
١٠٦٠ — لكل واحد حتى يرضى .

ورتشارد ، الذي لم يعرف البخل
ثم أعطاهم عطايا ذوات أثمان عالية
طسوت صنعت من الفضة وكؤوس من ذهب حملوها
في حجورهم ، وكل أخذ بقدر ما يستطيع
وذلك وفقاً لتفاوت مراتبهم
ذلك أن توسعته أكسبته المدح والشكر
من العظيم ، ومن الوسط ، ومن الصغير
وكانت عطاياه عظيمة جداً
الى حد ، أن كل حاج ، مع أنهم لم يكونوا من الخيالة ،
١٠٧٠ — تسلم مائة قطعة نقدية منه
وأعطى أعطيات ثمينة جداً
للسيدات ، والنساء ، اللاتي فقدن
أراضيهن السورية ، وأكثر من هذا

- ١٢٨٦ -

ألقي بهن وطردن من الساحل السوري
وبمثل هذه العطايا المبهجة ، الملك
الفرنسي ، أرضى أتباعه وأفرحهم .
وبات الآن الحشد كله مسروراً
للتشريف العظيم والهبات السخية
ولأعمال القتال التي توقفت
١٠٨٠ — وأقيم الآن هناك احتفال عظيم جداً
٢٥ كانون الثاني ١١٩٠ ففي يوم الميلاد

الملك رتشارد ، صاحب الصدق
عمم النداء ، إن على الجميع أفراد وجماعات
وجوب الاحتفال معه
وجلب ، بالجهد ، وبالكلام
ملك فرنسا ليشارك في مائدته

احتفالات عيد الميلاد

وأقاموا هذا الاحتفال المهيّب
في ميتغريغون ، في القاعة
التي بناها ملك انكلترا بقدرة
١٠٩٠ — على الرغم من ارادة جميع سكان المدينة
أنا رأيت الاحتفال والطعام

- ١٢٨٧ -

ولم أشهد هناك منديلاً متسخاً
ولا وعاء ولا طستاً من خشب .
بل رأيت آنية ثمينة وجيدة
محفورة منحوتة بشكل جيد ومرصعة بشكل جميل
وجرى عرض تماثيل غضارية
محلاة بالجواهر الثمينة والمشعة
مما أعطى البهجة وسرور المشهد .
ولقد رأيت خدمات قدمت
١١٠٠ — بشكل جيد ، فأرضت الجميع وسرّتهم .
ولقد كان مهرجاناً جميلاً وبهياً
كما هو لائق ومناسب
وأنا لم أرقط هدايا جمعت بين الثراء
والروعة مثل تلك الهدايا التي
رأيت ، وأعطاهما الملك رتشارد
وبكرم منحها الى
الملك الفرنسي والى حاشيته
في صحنون من الذهب ومن الفضة أيضاً.
إبحار فيليب نحو عكا
١١١٠ — وحن الآن الوقت لجواز البحر

واستعد الآن الرجال الشجعان بحكمة وتدبير

١٨ يول ١١٩٠ شروعاً من عيد سيدتنا في ايلول

آذار—١١٩١ حتى نهاية الصوم ، حسبها أذكر

كانت الاقامة المؤقتة في مسينا صعبة

الحشد ، الذي تشوق كثيراً جداً

لأن يكون في عكا ، ليشارك في المهام

مع الذين تجرأوا على القاء الحصار

حيث كان هناك كثيراً من الأسى والحزن

أكثر مما زودنا به من أخبار وعرفناه

وشقاء وعذاب بالغ القسوة

—١١٢٠ وآلام تحملوها في نصف السنة تلك

والآن عندما باتوا جميعاً مستعدين بشكل جيد

ومن أجل رحلتهم الرب هياً

كل شيء احتاجوه حقاً

وملك فرنسا الذي نحو البحر اتجه

مع رجاله ، قبل قليل

٧ نيسان ١١٩١ من حلول أحد السعف فارق الشاطئ

قدوم بيرنغاريا

ولم يكن ممكناً للملك رتشارد التحرك من هناك

- ١٢٨٩ -

لأن تجهيزاته لم تكن قد اكتملت
السفن والغلايين التي احتاجها

١١٣٠ — لنقل خيوله المعدة للقتال

وأسلحته وعتاده أيضاً

التي بها سوف يقاتل الكفار .

إحتاج تجهيزها الى وقت طويل جداً

مع القيام باستعدادات أفضل

ورافق الملك الفرنسي

ثم أبحرت على طول جانب بيكون

غلايينه ، والى ريغيو ذهب

حيث تسلم رسالة أرسلت

تقول إن أمه الى هناك جاءت

١١٤٠ — وبرفقتها عروسه ، حسناء

وآنسة جديرة ، وصادقة ، وجيدة

ولطيفة جداً في مظهرها النسائي

ومؤمنة ، ونقية من الخطأ أو العار

وبيرنغاريا كان اسمها

وأبوها هو الحاكم في نافار

قد عهد بها الى عناية

- ١٢٩٠ -

أم رتشارد التي جلبتها
سليمة الى جانب الملك رتشارد
ودعيت فيما بعد باسم الملكة ، وقد أحبها
١١٥٠ — الملك كثيراً، واحترمها

منذ أن كان كونت بواتو
ورغباته كانت دائماً راغبة بها
وقد جعل أمه تأخذها
الى مسينا مع حاشيتها
من الوصيفات ، وكل واحد أخبر الآخر
عن سروره وأنه لم يستطع الصبر
عن الاحتفاظ معه بالفتاة التي
أحبها ، وبعث بأمه الى الوطن
لتتولى حكم بلاده في مكانه
١١٦٠ — فهي لن تسيء اليه أو تلتطخ سمعته

وولتر، رئيس أساقفة روان
وكان رجلاً حكيماً ، عليه اعتمد
معها ليتولى الوصاية على انكلترا
حيث قاتل كثيراً وعمل بمشقة
ومعها ، وبرفقتها

مضى غلبت أوف فاسكويل Vascueil وكان هو
الذي ترك غيسور تؤخذ
منا . ولم يؤخر الملك
بعد هذا إعداد غلايينيه

١١٧٠ — لتحمل ، وجهاز سفنه بعناية

وجهاز كل شيء للشروع
ولعدم التأخر أكثر للانطلاق
والى البحر بعث بباروناته أمامه
ومثلهم بعث بخطيبته ، الجديرة بالخير
ومضى عدد كبير من الفرسان النبلاء
إلى جانب أخته وخطيبته
في سفينة كبيرة واحدة ، حتى يمكنهم
مواساة بعضهم بعضاً على الطريق
مغادرة رتشارد لمسينا

وأولاً بعث بهم قبل كل شيء

١١٨٠ — للابحار نحو مشرق الشمس

المراكب من النوع السريع جداً
لم تبق وقتاً أطول في الميناء
وانتظرت الملك حتى يتناول طعامه

- ١٢٩٢ -

ثم أقلع الاسطول وانطلق في صفوف

من السفن والمراكب الرائعة .

وحدث في اسبوع الآلام العظيمة

أن غادر الاسطول ميناء مسينا

لاحضار مجد الرب والتأييد .

١٠ نيسان ١١٩١ وكان اليوم يوم الأربعاء من الأسبوع المقدس

١١٩٠ — عندما عرف الرب الألم وتعذب مجرّداً

ونحن بدورنا ، عانينا من جانبنا

. من السهر ، ومن الخوف ، ومن الرعب

ومسينا حيث على طرف ساحلها

عدداً كبيراً جداً من السفن يمكنها التفاخر والإدعاء

أنه لم يتقدم في يوم من الأيام

أن أقلع من هناك وسافر اسطول بمثل هذا الشراء

الفصل الثاني

عاصفة في البحر

تابع الأسطول ابحاره متقدماً بانتظام
نحو الأرض المقدسة المصابة بالويلات
وبسرعة جازي يكون وبثبات

١٢٠٠ — نحو عكا في داخل البحر المفتوح

للالتحاق بسفن النقل التي أبحرت
لكن رأينا وقتها توقف الرياح الطيبة
لذلك كان على الملك مسروراً الانعطاف عائداً
وتوجب عليه تلك الليلة التوقف ، لانعدام

الرياح ، مهما وقع من أمر وحدث فيما بين كالبيرومونتغبل Montgibel

١١ نيسان ١١٩١ ثم في يوم عيد خميس العهد (الغسل)

والذي أخذ الرياح وأخفاها

إنه هو الذي يمكنه أن يعطي وكذلك أن يأخذ

قام عن طواعية بإعادة الرياح

١٢١٠ — وأعارنا إياها طوال النهار كله

- ١٢٩٤ -

لكنها كانت ضعيفة ، ولهذا فإن السفينة

القوية والغنية توجب توقفها

١٢ نيسان وفي يوم عبادة الصليب

ضربتنا رياح معاكسة هناك

من اليسار ، وكانت شديدة عند فياري Vaires (رأس سبارتفتتو)

وجاش البحر من الأعماق واضطرب

وتضاعفت الهبات الشديدة في قوتها

وانحنت الأمواج تحت قوتها

١٢٢٠ — ولهذا لم نفعل شيئاً سوى أننا فقدنا مسارنا

وتملكنا الخوف وأصبنا بالغثيان

وضربتنا الآلام في الفم والقلب والرأس

وصحيح أننا عانينا من شدائد كثيرة

لقد عانينا منها عن طواعية

وصمدنا وصمودنا كان مسوغاً

وكان ذلك من أجله هو الذي تفضل

فتحمل في هذا اليوم الآلام

في سبيل أن يضمن خلاصنا

وكانت العاصفة قوية حتى دفعتنا بعيداً

١٢٣٠ — حتى حلول المساء

- ١٢٩٥ -

ووقتها لقينا ريحاً طيبة
مواتية جداً ، وجميلة ، ولطيفة
الابحار الى رودس

فعل الملك رتشارد أفاعيل جيدة
وكان نحو الخير سريعاً ومتدفقاً
وكان من عادته كل ليلة
أن يضع على سفينته اضاءه
مصباح مشتعل يرى
بوضوح كبير وبشعاع لامع
ويظل مشتعلاً طوال الليل حتى طلوع النهار
١٢٤٠ — ويرى السفن الأخرى طريقها .

وكان معه بحارة جيدين
عناصر صامدة ، وبارعة في حرفتها
واتجه الجميع نحو مصباح الملك المضيء
ونادراً ما رفعوا أنظارهم عنه
واذا صدف وضلت سفينة وتاهت
بكرم أوقف الملك سفينته
وهذا الاسطول العظيم بسفنه ورجاله
قاده ، مثلما الدجاجة الأم

- ١٢٩٦ -

تقود صيصانها نحو الطعام .
هكذا كانت فروسيته الأهلية
وطوال تلك الليلة أبحرنا ، متحررين
من سوء الطالع ، ومن الأذى

١٣ نيسان وعشية عيد الفصح ، الذي سيكون غداً

الرب قادنا من دون حزن أو أسى
وتلك الليلة أيضاً ، وبدون تأخير

١٤ نيسان وكذلك طوال يوم عيد الفصح

ولمدة أيام ثلاثة كاملة تقدم الاسطول مسرعاً
ولم يتباطىء الابحار أو تنخفض السرعة مطلقاً
الملك نفسه تولى قيادة الاسطول

١٧- نيسان ويوم الأربعاء غدونا على مرأى من كريت

وتوجه ملك انكلترا نحو اليابسة

ليطوق الجزيرة، وليكون على مقربة من الشاطئ.

هناك ومعه اسطوله أقام

لكن خمساً وعشرين مركباً ضاع

تلك الليلة، وجرفوا بعيداً عنا

مما أزعج الملك وأغضبه

وبالأسى وبالحزن تمزق

وتحركت الأشرعة في الصباح

١٨- نيسان و أبحرنا نحو رودس — وكان ذلك يوم الخميس —

١٢٧٠ — وهي جزيرة أخرى لم تكن بعيدة.

وكانت الرياح قوية، والأمواج عالية

وكانت سريعة وبقدر ماتعاضم حجمها طارت

وهكذا سارت السفن بسرعة وبصوار فيها انحناء

والرب قادنا مسرعين بشكل رائع

وعلى طول ساحل رودس أبحرنا

مع رجل بحار لم يخفق قط

علامته أنه بسرور نظر

إلى الطريق الذي أخذه شعبه.

وهكذا مضينا — والحقيقة هي ما أرويه —

١٢٨٠ — مسرعين حتى حل ظلام الليل.

ووصلنا في صباح الغد إلى

مضيق، دخلناه وسرنا به نزولاً

وتملكنا أشرعتنا راحة من الرعب

٢١- نيسان وبقينا هناك حتى مضى يوم الأحد

وإلى رودس وصلنا عند الصباح

وهي المدينة التي فيها ولد هيرود

هم توقفوا في رودس ثم تابعوا نحو أضاليا
كانت رودس بلدة هائلة جداً

وقديمة، وآثارها مشهورة

وكادت أن تكون نظيرة لروما، مع أنه

١٢٩٠ — من الصعب معرفة الحقيقة كاملة.

فكثير جداً من سكانها اندثروا

وخرائب، وأسوار، وأبراج كانت مشعة

وعدد كبير من الكنائس قد بقي

وكثير جداً من الناس سكنوا هنا وعاشوا

سنيماً كثيرة، وكذلك أجيالاً عديدة

وفي وسط مثل هذه المقاطعة الموزعة

لا يمكن لانسان أن يحصي ويدون

من دون انزعاج كبير جداً.

فأوجه أصالتها وعظمتها

١٣٠٠ — تداعت ولفها الالهال

ومع هذا ما يزال يعيش هناك

أناس باعونا طعاماً وأعلافاً

وبما أنه صدف أن كان الملك

مريضاً ويعاني بعض الشيء

- ١٢٩٩ -

وافقت حاجاته التوقف في رودس
وجهد في البحث وليعرف
فيما إذا كانت سفنه الضائعة قد ذهبت.
وغلايينه التي أشرف عليها
تبعته وسارت على مقربة منه إلى اليابسة

١٣١٠ — وسأل هنا، وتقصى الأخبار

حول الملك الطاغية الذي حكم
جزيرة قبرص، والذي احتجز
الحجاج هناك، وعشرة أيام أمضينا
في رودس، ثم، عندما مضينا نحو الأيام
١ أيار ١١٩١ كان ذلك في اليوم الأول من أيار
فيومها أفلح الاسطول وسار على طريقه
من رودس، بأشعة منشورة للهواء
مباشرة نحو خليج أضاليا
حيث الممر مخيف مرعب

١٣٢٠ — ولا يوجد أسوأ منه في أي مكان

فهناك أربعة بحار تتحارب بشكل دائم
وكل واحد منها ينازل الآخر
وما أن أعددنا أنفسنا لدخول

- ١٣٠٠ -

الخليج، حتى هبت ريح عنيفة جدا
وساقتنا إلى الخلف، وإلى حلول المساء
كنا ما نزال عند نقطة دخولنا
ثم غيرت الريح اتجاهها، ومثل هذا التغير غالبا ما يحدث
ويلطف سبلها لانت
ثم من الخلف بشدة وجهة ضربة
١٣٣٠ — نحونا جعلتنا نمتلىء بالرعب
لأن الخليج الذي كنا فيه
أعطانا من الرعب الشيء الكثير
سفينة تحمل أخباراً من سورية
وتولت سفينة الملك قيادة الطريق
حسبها كانت العادة كل يوم
وتطلع الملك نحو البحر الهائل واستطلع
فراى بارجة تقترب من حيث كان
وكانت عائدة من سورية
وبما أنه اشتاق كثيرا نحو سماع الأخبار
اقترب منها ليطلب
١٣٤٠ — الأخبار عن الأرض المقدسة ومنها .
وقد أخبروه بأن ملك فرنسا

- ١٣٠١ -

قد رسا ونزل اليايسة بدون أذى
وهو عند عكا ينتظره هناك
وفي كل يوم يعمل لاعداد
آلات حرب ليأخذ بها المدينة
وفكر الملك رتشارد وخطط لإعداد
خطة مختلفة ورسمها في ذهنه.
أما الآن والبارجة تركت وعنه كثيراً ابتعدت
واصطرع الملك الآن مع الرياح
١٣٥٠ — حتى أذن الرب له بالوصول

إلى أمام قبرص، واقترب من اليايسة،
فالرب قد ألقاها بين يديه.
ووجد أخته وعروسه

كانتا هناك، وكذلك جميع رجالهما.

طاغية قبرص الغدار

أصغوا إلي، يا سادتي، واسمعوا كم من المعاناة
وكم من الاحباطات الهائلة
وكم من الاضطرابات، والعواصف، وغرق السفن
وكم من النكسات والحملات
وكم كانت الرغبات عظيمة، والمآسي هائلة

- ١٣٠٢ -

١٣٦٠ — وكم من الفواجع والنوازل الكبيرة

تحملته أرض سورية هذه

قبل ضمان انقاذها

وكان الألم بلا حدود من أجل

خسارة الامبراطور الألماني

الذي إلى هناك توجه بأبهة كبيرة

فقط ليموت هكذا بشكل مفاجيء

وامتحتت الأرض المقدسة بشكل مؤلم

عندما هنري، ملك انكلترا، مات

هنري الجيد، الذي كان حكيماً جداً

١٣٧٠ — وامتلك ثروات وامكانات كبيرة

كافية لتمكينه من الاستيلاء على جميع

البلاد، وانقاذ بلدة صور.

وقد كان مصدراً لمزيد من المتاعب

عندما مات وليم، الملك الجيد

الذي في غالب الأوقات جلب إليها العون

وعندما توفي، قام حزن عظيم ومناحة عليه.

وألّم بالمملكة سوء حظ عظيم وكوارث

من مآسي مثل هذه وحظوظ عائرة

لكن ما من أحد سبب لها من الأحران العظيمة

١٣٨٠ — والعذاب والتعاسة والشقاء

مثلها جاءها مرسلًا من قبرص

وهي جزيرة غنية قريبة من ساحل سورية

للمملكة بعثت بكثير من العون فيما مضى

لكن الآن لم يعد يأتي شيئاً من تلك الجزيرة

لأن طاغية الآن سكن فيها

مع كل الشرور والمساوىء وتعامل

بالغدر والفساد والخيانة وكان

أسوأ من يهوذا أو جنلون

وعن جميع المسيحيين تخلى ولهم هجر

١٣٩٠ — ولصلاح الدين اتخذ لنفسه صديقاً.

وعنها قيل وبمثابة حقيقة روي

أنهما وقعا فيما بينهما ميثاق صداقة.

بشرب كل واحد منهما لدم الآخر

وقد تبرهن أن هذا ليس زيفاً ولا اختراع

وسواء أكانت دولته امبراطورية أو ملكية

من المتوجب حقاً تحويلها إلى دمار

وهو نفسه أن يدمر ويحطم

- ١٣٠٤ -

فهو إن لم يوقف، بدون ضبط أو ربط
لقوى الشر سوف يثير

١٤٠٠ — وسيصيب بالطاعون الرعايا المسيحيين الطيبين عند الرب

محاولات لأسر الملكتين

من مراكب رتشارد التي تفرقت
ثلاثة ألقيت هنا على الساحل وانشطرت.
الذين نجو من غرق السفن و
وسط المخاطر شقوا طريقهم نحو اليابسة
أمر بانتزاع أسلحتهم منهم ثم جعل
منهم أسرى لديه ومغدور بهم
لأنه من خلالهم ضمن لنفسه
السلامة، لكن لمدة وجيزة من الزمن

لأنه هنا الذي افتقر إلى الصدق وإلى الشرف

١٤١٠ — عرضهم مباشرة للهجوم والحملة عليهم.

غير أنهم دافعوا عن أنفسهم بثبات وبشجاعة
وباعوا بالحقيقة غضبهم بثمان مرتفع جداً
فكل واحد من ثلاثة منهم كان لديه قوس واحد
لم يعلم به الاغريق السفهاء.

وكان هناك رودن دي هيردكورت Herdecourt

رجل الملك، وواحد من أعضاء بلاطه.
الذي على ظهر مهر منهك امتطى
وبسرعة قطعهم وأنقص تعدادهم
ووليم دي بوي Bois وهو نورماندي كذلك
١٤٢٠ — وكان رامياً ماهراً، رمى بنشابه بشكل جيد
فقطعهم وأصابهم بالوجه وبالظهر
ما من آلة، كان يمكنها احداث خوف أعظم.
وهكذا، شقوا بشكل علني طريقهم
إلى حيث السفن كانت راسية بالميناء
فإلى هناك كانت الملكة قد جلبت
وهناك كانت معركة هائلة قوتلت.
وقاتل الأسرى ببسالة.

وصول رتشارد لمقاومته

وعندما علم الملك بهذه الخيانة
أمر بالتوقف في الميناء، وعندما عرف
١٤٣٠ — بالأذى الذي لحق برجاله
ورأى مركب أخته، حيث
انتظرت وصوله في خوف عظيم
ورأى الرصيف كله قد غطي من

قبل هؤلاء الاغريق الحقراء والجبناء
وهم يريدون اقراراف المزيد من الكفر، فمنعهم
وعلى الفور نزل إلى الشاطئ
الذي فكر الطاغية بالدفاع عنه
لكنه لم يتجرأ على مواجهة الملك الأبى
٦- أيار ١١٩١ صباح يوم اثنين كان هو التاريخ
١٤٤٠ - الذي تفضل الرب بتعيينه
للملك ليقوم بتنفيذ هذه الأفاعيل
لينقذ السفن الجانحة في وقت حاجتها
وليحفظ أخته من المساوىء
وليتولى تحرير عروسه.
وكان مكروهاً لكل واحدة من السيدتين
اليوم الذي وصلت فيه إلى هذا الميناء
لأنه كان مؤكداً أن الامبراطور سوف
يعتقلها معاً لو أنه فقط استطاع.
وخطط الملك لمهاجمة الميناء
١٤٥٠ - وبسر كان سيستولي عليه لولا أنه لم يخل
من مدافعين، لأن الامبراطور
نفسه جاء إلى الساحل نازلاً

مع جميع أعوانه وكل
من استطاع أن يستأجره أو يأمره.
وأهين من قبل الامبراطور
واختار الملك رسولاً
وجعله يجذف باتجاه الشاطئ مباشرة
وإلى الامبراطور توجه، ومنه
طلب بكل لطف وأدب
أن يعيد كل ما هو عائد

١٤٦٠ — إلى الأسرى وأن يعوض عن الأضرار

التي ألحقها بالحجاج
والتي جلبت الدموع لكثير من اليتامى.
ورد الامبراطور بازدراء واستخفاف
كان عظيماً إلى حد أنه فاق كل التحمل
وأجاب الرسول

بغضب غير ملجوم قائلاً: « Tprout sir »

ولم يكن يرغب في أن يعطي جواباً لطف
بل غضب وسخر واستهزأ
وعندها على الفور عاد الرسول مسرعاً

١٤٧٠ — إلى الملك وأخبره بما قيل.

وسمع الملك الكلمات القبيحة، ثم التفت
نحو رجاله وقال: «سلحوا أنفسكم»
الأمر الذي نفذوه جميعاً على الفور
دونما توقف أو تأخير طويل.

وتوجب الآن في القوارب الصغيرة لسفنهم
إيداع أنفسهم، وهم شاكي السلاح
وملئت القوارب بفرسان جيدين
وبرماة الجروح البواسل والبارعين
ومثل هذا حمل رجال عدونا قسياً عقارة

١٤٨٠ — واصطف رجاله واتخذوا مواقعهم على الساحل
وكان لديهم خمسة غلايين، أيضاً، وكانوا
مسلحين وجاهزين للقتال.

لكن لدى رؤيتهم لسلاحنا، غير مأمونين
شعروا، وخافوا من سوء المنقلب.

تحقيق الانكليز لانزال بالقوة

في ليماسول، بلدة قائمة هناك
تأصل القتال وهناك اندلع
ولم تكن نافذة أو بوابة هناك تركت
أو سلاح مناسب للممتطوعة

أوبرميل أو وعاء أو ترس أو دريئة

١٤٩٠ — أو غليون قديم، أو بارجة عتيقة

أو لوح أو عارضة خشبية أو سلم أو قطع من أي نوع

كان بإمكانهم إيجادها متوفرة للنقل

إلا وجلبوها إلى الساحل

بقصد إيذاء الحجاج بالقدر الممكن

واصطفوا مسلحين على الرصيف، وشعروا بفخار تجاوز

شعور أي إنسان يعيش في الكون

وكان معهم أعلام خفاقة وصفوف

من المعدات الثمينة والأشياء الزاهية

وامتطوا خيولاً قوية وسريعة

١٥٠٠ — أو على بغال جميلة أو مهرة

ومثل الكلاب نحونا نبخوا ومنا سخروا

لكن فخارهم بسرعة اختفى

ومن البداية كنا نحن معاقين

لأننا من البحر جئنا مباشرة سائقين

وأرسلنا بقوارب صغيرة جداً ، لابل صغيرة الى أبعد الحدود

وبجيشان البحر مزقنا

وقذفنا وتأرجحنا الى هنا وهناك وأنهكنا .

- ١٣١٠ -

وكل واحد منا على قدميه ، انحنى

١٥١٠ — بثقل سلاحه ومعداته

وكانوا هم في بلادهم

لكن بالحرب كنا نعرف أكثر منهم كثيراً

وأقواسنا العقارة أصابت مقاتليهم

وكثير منهم لم ينج منها ، أنا عرفت .

وعلى الغليون رجال ، غير مدربين

على الحرب ، في البداية أمطروهم بنشابهم

وجرحوهم وألوههم كثيراً وطعنوهم

حتى أن كثيرين قفزوا من قواربهم

إلى الماء ، أربعة فأربعة

١٥٢٠ — وكل واحد منهم تعثر بالذي قبله

ثم قلبت غلايينهم

واستولي عليها وشغلها رجالنا

ورماتنا ومثلهم رماة الجروح

أرسلوا سحائب من النشاب على أعدائهم

ونكص الاغريق على أعقابهم أمام الرمايات

ووقتها كان عليك أن تسمع جندنا وهم يسخرون

منهم ، مثلما سخروا منا قبل وقت قصير مضى

قبل أن نبدأ هجومنا
وعلى كلا الجانبين رمى الجند وقذفوا
١٥٣٠ — نشابهم فيما تابع مجذفونا الاندفاع
بشبات ، بينما سحابة كثيفة وسريعة
من النشاب والجروح نحوهم رميت
وكل الشاطئ على طول الرصيف
امتلاً بأناس متوحشين وهمج
وأعمال جريئة كان بإمكانك
أن تراها ، وأن ترى مقاتلين بارعين في القتال
وعندما رأى الملك كم من الأذى لحق
بجماعته ، كان على وشك أن يضع قدميه
على اليابسة ، ومن قاربه قفز
١٥٤٠ — إلى البحر ، وبقوة طعن
الأغريق ، وسار البقية بعده
وتبعوه . وقام الاغريق بالدفاع
وانصب رجالنا وعلى طول الشاطئ انتشروا
يضربون الاغريق ويلحقون بهم الهزيمة .
تمزق الاغريق
ثم هل رأيت انهيار النشاب

- ١٣١٢ -

والاغريق وقد تمزقوا وقتلوا
وبشدة شديدة صدموا وبقسوة ضربوا
والى داخل البلدة سيقوا وأبعدوا
وعساكرنا مثل الأسود بسرعة طاردوهم
١٥٥٠ — وللرجال وللخيول قطعوا وبتروا .

وأمام شعب اللاتين الشجعان
الاغريق والأرمن هربوا وانسحقوا
حتى الى الحقول انهزموا فارين
وطاردوهم رجالنا عن قرب وساقوهم
والامبراطور نفسه ، الذي انهزم
تبعه الملك مباشرة ولاحقه
حتى ، توقف في طريقه وهو يطارده
فقد جاء على ظهر فرس أو حصان
على ظهره بدلاً من السرج حقيقية
١٥٦٠ — وركابات من الخيش امتلك الفرس العجوز .

وبقفزة ، تجاوز السرج ونخطاه
والى الامبراطور المزيف صرخ وقال :
« تعال أيها الامبراطور ، وقارع ، تعال مسرعاً »
لكنه للقراع لم يكن لديه مزاج

وطاردهم في التلال

وأعطى الملك الأمر بالترجل من على
ظهور جميع الخيول ، بعد حلول الظلام
وأمر بجلب جميع غلايينه
وعن الامبراطور كان لا يعلم شيئاً
ولم يدر لأي طريق سلك

١٥٧٠ — ثم تركت الخيول للرعي والاستراحة

لأنها كانت كلها منهكة ومعقورة
ومتيسرة بسبب الشهر المتقدم كله
الذي أمضوه فوق ظهر البحار

حيث لم يكن بمقدورهم الاضطجاع بحرية
وبهذه الاستراحة القصيرة ، كل متاعبهم
بدأت تزول ، وأخذوا يعودون الى طبيعتهم
وفي الصباح مباشرة امتطى الملك حصانه
فهو الذي تولى هذا الأمر شخصياً

وفي داخل بستان للزيتون ، على محاذة

١٥٨٠ — طرف الطريق ، ليس بعيداً كان هناك حشد

من الاغريق واقفين ومعهم أعلامهم
وراياتهم من مختلف الأشكال والأنواع .

ومن هناك طردهم الملك ، ثم وضع
على رأسه خوذة من الفولاذ
وسريعاً أخذ بالمطاردة

ثم كان بإمكانك أن ترى رجال شجاعة وصدق
يطاردون عن قرب من قبل طلائعنا
وقد فروا ، وضغطنا عليهم بسرعة وشدة
حتى تصادم رجالنا مع

١٥٩٠ — حشدتهم الأساسي ، وطاردناهم ، وهربوا
ووقتها أوقفنا مطاردتنا

وهم بدأوا بالصراخ والنباح
وصاحوا وأصدروا صخباً عالياً
(فهذا ما أخبرنا به الذين سمعوا الأصوات)
إلى حد أن الامبراطور في خيمته
سمع — كما قيل — الصراخ والعويل
من مسافة تزيد على نصف مرحلة
مما جعله ينسحب ليقيم

وتغدى ونام بينما استمر الصراع
١٦٠٠ — لكنهم بجرأة انقضوا عليه
فقام وصحبه بامتطاء الخيول

والى الجبال توجهوا وركبوا الطريق
ليروا فقط ما كان بإمكان رجالهم أن يفعلوا
وهم الذين عرفوا الرماية ولم يعرفوا شيئاً آخر .
وظلوا يصرخون ، وحول الحلبة يدورون
ورجالنا لم يتحركوا من مكانهم
رتشارد يطارد دون مبالاة بالمخاطر

والى الملك جاء كاتب غير مسلح
هيو ج دي لى مير ، كان اسم الكاتب
والى الملك أعطى نصيحة ، مولاي
١٦١٠ — قال له : ابتعد من هنا ، وتراجع
إن لديهم قوة عظيمة تتجاوز التعداد
وقال الملك : الى دفاترك
عد أيها السيد الكاتب ، ابتعد واكتب
واجعل نفسك نائياً عن القتال
ودع لنا أمور الفروسية والنضال
من أجل الرب ومن أجل القديسة مريم
هكذا قال هذا الرجل مع آخرين
لدى رؤيتهم الأعداد بهذا العدد الهائل
لأنه في تلك الساعة وقف أمام ذلك الحشد

- ١٣١٦ -

١٦٢٠ — أربعين فقط ، أو إذا بالغنا قلنا

خمسین ، من الفرسان الجيدين وراء الملك
ولم ينتظر الملك الشجاع أن يُهاجم
بل انقض عليهم بإندفاع
أسرع من ضوء أي برق .

مثلاً ينقض على قنبرة طائر صيد
(وكل من رأى الانقضاض ذلك اليوم أثنى عليه)
وهكذا انقض الملك واندفع نحو الأمام
وطعن الحشد الأغريقي الشرير
ومزق وفرق جمعهم

١٦٣٠ — ورماهم بالرعب وضربهم بالفرع

وسبب لهم الفوضى واليأس
وفي الوقت نفسه تجمع رجاله هناك
ومع ازدياد قوته بالعدد
أسروا كثيراً من الأغريق أو قتلوا
ودون احصاء للذين بدناءة فروا
ما من انسان يمكنه أبداً أن يحصي القتلى
لأن الذين منهم كانت لديهم خيول
صعدوا تلالاً وهبطوا ودياناً دونها توقف

في حين الرّجالة ، الجماعات المتواضعة والبسيطة
١٦٤٠ — أخذوا جميعاً أسرى ، أو قتلوا

الاستيلاء على العلم الامبراطوري

وكان القتال شديداً ، وحيثما ذهب
كانت هناك خيول ملقاة على الأرض .
ودروع وأعلام ، ورماح وسيوف
ملقاة هنا وهناك ، شذو مذرف فوق سطح الأرض
بينما تمايلت خيول محملة وتأرجحت ووقعت
ولدى رؤيته أن رجاله لن يستطيعوا إيقاف
حملتنا وأن أكثر فأكثر
قوتنا ازدادت ، الامبراطور
الى ذروة الجبل انسحب

١٦٥٠ — مع طاقمه من الأغريق والأرمن .

متخلين لنا عن البسائط
وعندما رأى رتشارد ملك انكلترا
أنه هكذا فرّ وهرب
تاركاً عساكره في مأزق صعب
أقدم الملك على الرجل الذي حمل
راية الامبراطور

وضربه فألقاه أرضاً ، وتلقى بيده
الراية ، وأصدر أوامره
بأن تحرس بكل عناية

١٦٦٠ — ورأى قواتهم المقهورة تنهزم

مثل ذبابات في وسط العاصفة ، وكثيراً من الرؤوس
وكثيراً من الأجساد المجروحة تنزف
ولم يعط أمراً بالمطاردة :

فقد عرف ، أنه لن يستطيع أسرهم
وكان فرنجتنا شجعاناً وأقوياء
قد طاردوهم مرحلتين كاملتين

الأسلاب الثمينة

ثم ببطىء عاد أدراجه ، وعطف
طريقه ، أما جنده فلم يتوقفوا
عن الاستيلاء على صحون ثمينة
١٦٧٠ — من الذهب والفضة ، غالية ، ومزينة

تخلى عنها الامبراطور
وكانت هناك خيمته المضروبة من قبل :
وفيها جهازه وثيابه وفراشه الشخصي
وكثير من الملابس الحريرية وأقمشة لونها أحمر

وخيول وبغال محملة الى أبعد الحدود
وكأنها كانت سوق البلدة
وهناك كانت دروع وخوذ وسيوف أيضاً
ملقاة جانباً هنا وهناك
وثيران وأبقار ، وماعز ، وأوز

١٦٨٠ — كلها حيوية ، وجميلة ورائعة

وأكباش وشياه وخرفان كانت هناك
وكثير جداً من المهرة والأفراس
والديوك والدجاج وديكة مخصية سمينة
وبغال سمينة تماماً قد حملت على
ظهورها القوية ألحفة جميلة مطرزة
وثياباً ذات مظهر جميل وثمانين
وخيول جيدة تساوي أكثر بكثير
من خيولنا، لكنها الآن منهكة ومعقورة
ومثل هذا أسروا ترجمانه

١٦٩٠ — الذي اسمه — كما سمعت — جون

واغريق وأرمن بأعداد كبيرة
حتى أنهم أعاقوا الطرق العامة
وخمور جيدة وأطعمة بكميات هائلة

- ١٣٢٠ -

مامن أحد قادر على احصائها أو الحديث عنها.
وأمر الملك باعلان منع وتوقف
وأعطى الأمان بالطول والعرض
لجميع الناس سكان البلاد
الذين ليس لديهم رغبة بالحرب، و
الى الذين ليس لديهم رغبة بالسلام
١٧٠٠ — لم يعدهم لابهة ولا بكف عن القتال
قدوم الملك غي من سورية
١١ — أيار ١١٩١ في يوم السبت من ذلك الأسبوع نفسه
الذي أحلّ بالاغريق الولايات الهائلة
وصل الى ليماسول ثلاثة غلايين
من قبرص عائدة بطريق البحر
مع ملك القدس
وعدد كبير من شعبنا حذقوا به
إنه غي لوزغنان، فهو كان الملك
الذي عانى كثيراً من الآلام والمصاعب .
للدفاع عن أرض ربنا ومولانا
١٧١٠ — وقد توجب عليه مغادرتها أخيراً
لأن ملك فرنسا كان يسره —

- ١٣٢١ -

الأمر الذي سبب لقلبه الكثير من الآلام—

الاساءة إليه وطرده وخلعه

والى المركز أن يعطي التاج

ولهذا ترك البلاد وفرّ

والى ملك انكلترا بارد مسرعاً

لينقذه، خشية أن يسقط

وكان الملك مسروراً أنه جاء

وعلى الفور مضى للقاءه واستقبله

١٧٢٠ — ويمكنك أن توقن تماماً وتعرف

أنه استقبله بكل حرارة

لأنه كان من أسرة عظيمة

وحمل أقرباؤه كثيراً من الأسماء النبيلة

وكانوا معه عندما جاء

وكان واضحاً تماماً

أنهم لم يكونوا من أصل دنىء

وأظهر الملك سروره بقدومه بشكل واضح جداً

وأكرمه وشرفه بمختلف الأنواع

وأعطاه من ممتلكاته

١٧٣٠ — (وصدر ذلك عن حكمة ولطف زائد)

- ١٣٢٢ -

كما أعتقد، ألفي مارك تماماً
(وهي هدية ليست ذات قدر صغير)
وأعطاه عشرين كأساً، كما أخبرت
اثنان منهن صنعتا من الذهب الخالص
زواج رتشارد من بيرنغاريا

١٢- أيار وفي اليوم التالي لذلك اليوم

كان زواجه من عروسه الجميلة
وحدث في ليماسول أن جرى تتويج
أجل عروس يمكن أن توجد
في أي وقت وفي أي مكان .

١٧٤٠- ملكة فاضلة مع وجه جميل

وبات الملك الآن الأكثر روعة
لأنه كان المنتصر
ولأنه تزوج من الفتاة
التي كرس لها حياته وعاهدها بلسانه
رتشارد ينظم قوته

والآن وقد جاءت غلايينه، التي
انتظرها بفارغ الصبر
وظهرت وهي مسلحة بشكل جيد

- ١٣٢٣ -

حتى أننا لم نر لها نظيراً
وكان مع السفن الأخرى، الخمس
١٧٥٠ — التي ربحناها، ومعهم وصلت
ومع الأخرى التي كانت في الميناء
والتي التجأ إليها التجاء كاملاً
سلح من السفن أربعين سفينة تماماً
ساوت بالقيمة خمسين سفينة، وربما أكثر
واستولى فيما بعد على السفينة
الرائعة مع طاقم بحارتها الكبير من الرجال الشجعان
وكان تعدادهم ثمانمائة رجل، فهكذا قدروا
وكانوا جميعاً من الترك والفرس، غير معمدین
وأردا الملك انزال المزيد من ضرباته الغاضبة
١٧٦٠ — على الأرمن الملعونين والاغريق
وأعد حشده للقتال
وطلب من حراسه الحراسة أثناء الليل
على أمل أسر الامبراطور
في قلب أملاكه الشخصية
الامبراطور يتوسل للسلام
بعد هذه المتاعب وإثرها

- ١٣٢٤ -

عندما تحمل الاغريق عاراً عظيماً
كان الامبراطور في نيقوسيا
هو شخصياً ومعه جماعته الكبيرة
وقد أصيب بحزن عظيم، وبغضب، واذلال
١٧٧٠ — لأنه فقد جميع رجاله في القتال
ولأن قواته هربت وفرت
ولم يجد مواساة
فقد نظرت بلاده إليه نظرة كراهية
وكان خوفه من ملك انكلترا عظيماً
ولهذا بعث إليه برسول
يعدّه بتقديم تعويض.
وأكد أنه سيقدم إليه
وسوف يقسم بلسانه على الولاء له
والى سورية سوف يرسل

١٧٨٠ — مساعدة أعدها للملك هي خمسمائة
رجل من الخيالة، سوف يقفون بثبات
في سبيل الرب، وسيطيعون أوامر الملك.
وزيادة على هذا وافق
على إعطاء الملك المزيد من الضمانات

من ذلك ضمانة وضع قلاعه تحت تصرفه
ومعها ميراثه الغني
وتعويضاً عن الرجال الذين قتلوا أثناء الاضطراب
سيدفع ثلاثة آلاف وخمسمائة مارك.
وإذا ما أطاع أوامر الملك وخدمه
١٧٩٠ — بأمانة، سوف يسترد منه بلاده.

إقسام أيمان التبعية لرتشارد

ولم يكن الملك غير مهتم بالصفقة
وكذلك مثله كان الامبراطور، وكلاهما
حددا بسرعة موعداً ومكاناً
حيث يمكن خلاله وفيه التباحث
وكان المكان بستان تين وقع
فيما بين الشاطئ والطريق العام
المؤدي الى ليماسول، كما يبدو لي
وهناك اجتمعوا مع وفدين كاملين
وكانت هناك مسائل قيل عنها وأخبر
إنها أفضل مما كان قد أنجز

١٨٠٠ — وجمع الملك اليه مستشاريه
تساور مع أكثر رجاله عقلاً وحكمة

وقال للذين جلسوا هناك
والذين كثيرا رغبوا بمثل هذا السلام وإليه تطلعوا:
« سادتي اللوردات أنتم ذراعي الأيمن. انظروا
فيما إذا كان مثل هذا الاتفاق ممكناً
وانظروا أن ذلك لن يلحق ضرراً
بشرفكم، الذي هو هنا موضع رهان
لأنه إذا كان يرضيكم، سوف
١٨١٠ — يتم، لكن لن يكون إذا ابدا لكم سيئاً». فقالوا: «مولاي، نعتقد أنه جيد
وبوساطة مثل هذا السلام نحن مشرفون»
وبناء عليه عادوا، وفي الحقيقة
وافقوا على جميع شروط السلام.
والى الملك، الامبراطور
أقسم الآن يمين الولاء
وأعطاه ضمانه، وبوقار
قبله قبلة الولاء والاخلاص
وتلقى الهدايا
وقام الملك بتعويض الحشد
١٨٢٠ — الذي تضرر، وكان على الفور هناك

وأعطى وعداً صادقاً أنه سيضاعف ثلاث مرات ثرواته
والخيام الثمينة جداً، التي
استولى عليها أثناء الهزيمة
التي أنزلت بالاغريق الأدياء
(وكانوا من أفخر القماش، كما كانوا
كما أعتقد، خيم الامبراطور الخاصة)
وصحون ثمينة بكميات هائلة
أرسلهم برفق كبير وبحكمه
الى الامبراطور، الذي لم يستخف أبداً ولم يرفض

١٨٣٠ — الصحون، وأعاد الخيم

الى البقعة التي كانوا فيها قبل
المفاوضات التي عنها تحدثنا.
الامبراطور يهرب بغدر

في ساعة صلاة المساء نفسها
عندما اتخذوا قرارهم حول هذا السلام
حدث أن كان لدى الامبراطورين رجاله
فارس صاحب لسان شرير
كان اسمه بيان أوف كيفاس (صاحب حيفا)
أقذر من كلب كان

- ١٣٢٨ -

لقد جعل الامبراطور يعتقد أن الملك
١٨٤٠ — سوف يتخذه أسيراً، وكانت المسألة
ليست أكثر من مجرد كذب مخجل.
فانطلق الامبراطور، وقام بالفرار
وامتطى ظهر حصان سريع، وتقدم
نحو الأمام— وكان فوفل Fauvel اسم حصانه—
وسار مسرعاً بعيداً وكأنه الى فريج متجه
وسار بعيداً غير قادر على ضبط نفسه
وترك الجهاز والخيام خلفه
مثل انسان فقد عقله تماماً.
وخلف فرسين سريعين وقويين
١٨٥٠ — وفر وهو يائس بلا توقف.

مطاردته من قبل رتشارد وغي

وعندما علم الملك رتشارد بخبر فراره
لم يمكنه اللحاق به أو مطاردته
لأنه لم يرغب في أن يحدث خرقاً
للهدنة، ولم يكن لديه فرس يمكنه من الوصول
إليه، ومع ذلك، عندما سمع بفراره
لم يرغب له الذهاب بهدوء

من دون ثمن، وبناء عليه أمر بالتماسه
براً وبحراً، والبحث عنه
من قبل غلايينه، التي كانت تبحر تلك الليلة
١٨٦٠ — نفسها، ومالبث أن وصل الى فيياغوستا
وتوجه الملك نفسه معهم الى هناك
وهو قلق وراغب في تسوية الأمور
وأخبر ملك القدس بوجوب
أن يتبعهم على طول الشاطئ وأن يسايرهم
ليرى فيما إذا بإمكانه العثور على الخائن
هذا الامبراطور، هذا المعتدي الناكث
ليمينه الذي أقسمه. ودونها تأخير
انطلق الملك غي وأخذ طريقه
وبعد مسير ثلاثة أيام
١٨٧٠ — وصل الى فيياغوستا، بدون شك
التي منها سكانها هربوا.
وهناك ألقى الملك رتشارد بمراسي
سفنه، وأمرهم بالمراقبة
بعناية البوابات، وأن يتشوفوا
حتى لا يتمكن رجلهم من الفرار بلا عقاب

- ١٣٣٠ -

ويتخذ طريق نجاته عبر البحر.
وترك الغلايين حيث مضت
ولمدة ثلاثة أيام مكثوا في البلدة
رفض رتشارد التماس فيليب بالاسراع نحو عكا
في أثناء استمرار إقامته
١٨٨٠ — قدم الى هناك رسولان من فرنسا.
أحدهما درودي ميلو، هكذا قالوا
ومعه أسقف بوفياس
وقد جاء باصرار لحث
الملك — وضغطا عليه ليتجنب
الإهانة — للاسراع بالذهاب الى عكا
لأن ملك فرنسا لن يزحف
للقيام بأي نوع من القتال
حتى ينال دعم رتشارد وتأييده.
وضغطا عليه وشددا، وحاولا
١٨٩٠ — إيلايه وما كانا ليتوقفا
حتى أثارا غضب الملك
ورفع الى الأعلى حاجبيه
وتفوه بكلمات غير موائمة

لتكتب هنا وتدون
وعبثاً كانت المحاولة في حثه على الاسراع
وكانت الكلمات التي تفوها بها مجرد ضياع
وهو نفسه قام بعمل سريع
وبما أنه مع الاغريق بدأ
نصف ثروات روسيا لن يعبأ بها
وسوف لن ينعطف لنتجه نحو سورية
حتى يسحق القبارصة

الذين من جزيرتهم يمكن الحصول على ميرة كثيرة
ولن يتخلي عن مغامرته
حتى ينال عنها جائزته
ومع هذا سعى هذان السفيران
الى حثه للتخلي عن تقاعسه
الزحف نحو نيقوسيا

وهكذا، مع حشده المجتمع، هو
تحرك مباشرة الى نيقوسيا
وحمل كل واحد سلاحه، وكل واحد
حمل من الطعام مؤونة كاملة.

والامبراطور الذي اختبأ قريباً من هناك

- ١٣٣٢ -

على الجيش الزاحف تجسس
وقاد الملك قوات الساقه، خوفاً
وخشية أن يأتيها الأذى من الخلف.
ثم من الكمين حيث اختبأ
قام الامبراطور بهجوم سريع
مع قوة سبعمائة رجل
الذين جنبهم سبب، أماً محيراً.
فقد أرسلوا رماياتهم نحو رجال الطليعة
الذين تركوهم يتقدمون مباشرة - ١٩٢٠ -
نحوهم، واشتبكوا معهم على الاطراف
ومثل توركيلي سريع، ركب
الامبراطور، وبسرعة عدا
نحو الساقة التي قادها رتشارد
وباتجاه الملك رمى بنشابتين
كانتا قد غمستا في سم مخمر
واندفع الملك من وسط قواته
وكاد أن يأخذ انتقامه من
هذا الامبراطور الشرير الذي شعر بالخطر
لكنه كان ممتطياً فوفل السريع - ١٩٣٠ -

- ١٣٣٣ -

وهرب بدون توقف على ظهر حصانه
مثل مهر عدا بأقصى سرعته
وعن ملجأ بحث، برعب شديد
في كانتارا، قلعتة الحصينة
وحيث أن الملك لم يستطع أن يمنعه
توجه الى نيقوسيا مباشرة.

على الرغم من الامبراطور نيقوسيا تعلن الولاء لرتشارد

استولى رجالنا على عدد كبير من الخيول
القوية، وأسروا حشداً من
الاغريق- وكان بعضهم مجروحاً أيضاً-
الذين اقتربوا كثيراً من الجيش.

- ١٩٤٠ -

وزحفوا الآن وراء الملك
لايخشون من أي شيء
وهكذا وصلوا عند أول النهار
الى نيقوسيا، وهناك السكان
خرجوا مباشرة بارادة واحدة
وأسرعوا لدعوة الملك على أنه مولاهم
وبمثابة أب احتراموه
شخصياً. وأمر بأن يخلق كل رجل لحيته.

١٩٥٠ - ولدى سماع الامبراطور بهذا غضب غضباً عظيماً واكتأب

واقترب من الجنون، وأساء معاملة

رجالنا، ورجاله بطرائق غير لائقة:

من رجاله الذين أقاموا سلاماً

معنا، ومن رجالنا كل من استطاع أخذه

وحيثما كان بإمكانه الإمساك بهم

قطع أيديهم وبتراً أرجلهم بوحشية

وجدع أنوفهم، واقتلع أعينهم

حيث لم يجد وسيلة للانتقام غيرها.

وفي الوقت نفسه تسلم الملك الولاء

١٩٦٠ - من أكثر الناس جدارة ومن الحكماء

الذين عن طواعية تبرأوا

من الامبراطور، الذي كرهوه

استيلاء غمي على كيرينا cerines وأسرته ابنة الامبراطور

وانقسم الآن حشد الملك الى ثلاثة

أقسام ليعمل كل منها على حده

وبذلك ألقى الحصار على

ثلاث قلاع، واستولى بسرعة على اثنتين.

وتوجه أحد الجيوش نحو كيرينا

- ١٣٣٥ -

وكان الملك من وراء البحار هو الذي

١٩٧٠ -

تولى بنجاح القيادة هناك

فعلى مقربة من الحصن سلح أتباعه

وحاصره من جانبي البر والبحر

وحمل عليه حملات شديدة

وحيث أن الرجال في داخله افتقروا

الى التأييد والضمان، لم يستطع

المدافعون أن يفعلوا سوى الاستسلام.

ولهذا استسلموا وسلموا بسرعة وطوعية

القلعة الى الملك غي الشجاع

مع ابنة الامبراطور

١٩٨٠ -

الأمر الذي أخافه وآلمه إيلاًماً شديداً

حتى أنه فقد شعوره وخرج عقله من رأسه

ولم يعثر على مواساة من أحد

وهكذا على البرج أعلام

الملك غي رفعت عالياً.

وفي القلعة مركز حراساً

والى ديودامور قاد الجيش.

حصار ديودامور (قلعه القديس هيلاريون)

- ١٣٣٦ -

كانت ديودامور ذات حصانة عظيمة
حتى يمكن أخذها عنوة أو قتالاً
لكن الذين كانوا يدافعون عنها كانوا مذهولين
١٩٩٠ — ومخبولين جداً ومندهشين
بوساطة الأخبار التي رويت
إليهم، أنه من الصعب عليهم الصمود
والحفاظ، ومع ذلك قذفوا بين حين وآخر
بصخور عظيمة نحو رجالنا
ومع أنهم كانوا آمنين داخل
الأسوار، كان هؤلاء الناس مرعوبين
ومع رجاله حاصرها الملك غي
لعدة أيام، حتى الامبراطور
أعلن أنه لن يتابع الدفاع
٢٠٠٠ — عنها، وأمر الذين كانوا بداخلها بالنزول.
وعندما استسلموا الى الملك
حسبما سمعت الناس يروون الأخبار
أعطيت الى الملك غي
الذي أمر بالاهتمام الزائد والعناية
بحراسة الفتاة في داخل البرج

حتى لا يمكن سرقتها أو اختطافها
وابعادها. ثم قاد قواته عائداً
غير أنه وجد البلاد عالية التكاليف
استسلام الامبراطور

الملك رتشارد في نيقوسيا

٢٠١٠ — رقد مريضاً يعاني من علة.

وعندما شعر بالمعاناة، توجه نحو
حصار قلعة بوفانتو Buffavento
وكانت حصنا واسعاً جداً وحصيناً.
وحكي هنا عن المغامرة الغريبة
للامبراطور المزيف، الذي
الذي جلبت له شروره نهاية مؤسفة
وإلى داخل أسوار كنتارا جاء
ليستسلم للحزن والعار
وعندما علم، أنه سقط في الشرك،
وبأن بوفانتوباتت مطوقة
وأننا قد اتخذنا أسيراً
داخل البرج ابنته، التي
أحبها أكثر من أي كائن حي

- ١٣٣٨ -

وجعله هذا متشوقاً لبذل الجهد
لإقامة سلامه، مهما كلفه ذلك
لاخراجه من ورطته وتخليصه
وكان الثمن مخزناً ومؤملاً
وهو أن يفقد القلاع التي امتلكها
وكل ممتلكاته ومقتنياته
٢٠٣٠ — بسبب ظلمه وجوره.

وكان أعظم ما حدث له وأثر عليه
أن رجاله تخلوا عن قضيته.
وتحت ضغط الحاجة لم يتابع المقاومة
بل نزل من كنتارا وأخذ
طريقه الى الملك رتشارد مقدماً
نفسه، قانطاً من الحماية أو الوقاية.

لكنه التمس الرحمة من رتشارد

وما أن جاء الى هنا حتى بعث يلتمس
الرحمة من رتشارد، ووافق على أن يمنحه كل شيء، وأن يُجرم
٢٠٤٠ — من كل شيء، وأن لا يترك لنفسه شيئاً
لأرضاً ولا بيتاً، أو قلعة في أي مكان
والذي فقط تمناه فضلاً منه هو

أن لا يصفد بسلسلة من حديد
حتى توفر كرامته وهذا الألم الكبير.
واستجاب الملك فأمر بأن يصفد
بسلسلة من فضة، وبذلك أسكت
جميع الصرخات، فقد جثا على ركبتيه
وطلب رحمة والتمسها حسبما يتفضل
الملك، الذي رأى أنه كان مخلصاً

٢٠٥٠ — ورأى أغلاطه وخسارته بشكل واضح

ورأى أنه لم يعد يمكنه أن يفعل شيئاً أكثر لنا
وأن الرب شاء أن تكون الأمور هكذا
وهكذا، ولكي ينهي هذه المغامرة
جعل الامبراطور ينهض
وأن يجلس الى جانبه وعن يمينه
وأن يرى ابنته ويشاهدها.
وبرؤيته لها، كان سروره أعظم كما لاً
مما لو أمسك الرب من قدميه.

وبكى، وقبلها ثم زاد تقبيلها

٢٠٦٠ — أكثر من مئة مرة. لكن لماذا أحكى أكثر؟

فبوساطة خمسة عشر يوماً من التأخير

استولى الملك على قبرص كلها، والذي أقوله
لأشياء غير الصدق، للرب كل الشكر
يعطى، فقد غدت تحت سيادة الفرنجة

أسلاب قبرص

عندما حصل الملك على سيادة
قبرص، في سبيل الصالح العظيم للرب
استولى على القلاع والحصون الحصينة
التي طرد منها الاغريق ونفاهم
ووجد هذه الحصون مشحونة بالأشياء بدون حصر
٢٠٧٠ — وبكل نوع من الثروات والكنوز:
وبقدور من فضة، ومراجل، وأباريق
وبطسوت وأوعية من معادن ثمينة
وبأحواض وكؤوس وأكواز من ذهب
وبألجمة، وأسرجة، وبركابات
وبأحجار كريمة ذات أثان عالية، وبأشياء
لها قدرة شفائية ضد المرض
وبأقمشة حريرية وأرجوانية ذات لمعان جميل
(مثلها أنا لم أرقط في أي مكان)
وأشياء أخرى ذات سمات
٢٠٨٠ — تليق بالنبلاء.

وكان في سبيل الرب وسبيل مملكته

أن استولى ملك انكلترا على هذه الاشياء وتملكها.

وأرسل الحشد الى ليماسول

وحث رجاله، وطلب منهم جميعاً

أن يستعدوا للابحار بسرعة

و ألا يبددوا ساعة أخرى من الوقت.

وأمر بحراسة الامبراطور

من قبل الملك غي الشجاع جداً.

أما ابنته الشابة، والجميلة جداً،

٢٠٩٠ — والفتاة الرائعة ذات الحسن النادر

فقد بعث بها الى الملكة، حتى

تتولى تعليمها بشكل جيد ولاثق*.

*- كانت حوادث حياة هذه الاميرة التالية مثيرة وخيالية الى أبعد الحدود، فقد رافقت الملكة الانكليزية والاميرة في طريق العودة الى أوروبا بعد انتهاء الحملة، وعاشت لسنوات عدة في شينون، وجاء اطلاق سراحها ضمن الشروط التي وضعها هنري السادس لاطلاق سراح رتشارد، لكن هذا لم ينفذ، وقبل قليل من عام ١٢٠٢ تزوجت من ريموند السادس صاحب طولوز، لكن ما لبثت أن انفصلت عنه عندما رغب الامير بالزواج من جوانا بلانتغنت، وكانت في سنة ١٢٠٢ في مرسيليا عندما تجمع هناك حشد صليبي من أجل الحملة الرابعة، وقابلها صليبي فلمنكي من أقرباء بلدوين صاحب فلاندرز، وتزوجها مع نية المطالبة بوساطتها بعرش قبرص، وذهب الى قبرص وطلب العرش من الملك عموري دي لوزغنان، وحثوه على أن يعطيها إياه على أساس أنه ليس بحاجة إليه لأنه كان ملك القدس، وأخفقا في اقناعه، ورفض طلبها، واضطرا وهما يشعران بالاحباط الى الفرار الى كليكي الخاضعة للأرمن حيث اختفيا عن مسرح التاريخ.

مغادرة قبرص

وهكذا زحف الجيش الآن
عائداً الى الاسطول، وقام بكل سرعة
بتحميل السفن، حتى يمكنها
الاقلاع والابحار عندما يغدو كل شيء مناسباً وصحيحاً.
وبعدما صعدوا الى ظهور السفن، الاسطول
سار في البحر، في الساعة المقررة
وأبحرت الملكة أيضاً مع السفائن
٢١٠٠ — وجميع الدرmonats كانت هناك
وفي الجزيرة ترك الملك رجالاً
بارعين جداً في القتال، وإثر هذا بعث هؤلاء
الرجال إليه بالمؤن، وبحزم
القمح والشعير، وبالأغنام والأبقار
التي وجدت عندهم بوفرة كبيرة
والتي أفادت في سورية فائدة كبيرة.
وأخذ الآن رجال يجلبون عبر البحر
أخباراً، تولوا روايتها الى الملك
وتحدثوا فيها كيف أن أعمال الحصار بدأت بداية
جيدة عند عكا، وما الذي يمكن حدوثه
٢١١٠ —

قبل أن يصل، وقد قال:
« ليس من اللائق بدوني
أن يستولي رجل آخر على هذه البلدة »
ومنذ الآن قرر عدم البقاء أكثر
من الوقت الذي يحتاجه رفاقه
للتجمع هناك لمرافقته واصطحابه.
أنا لست أدري كم عددهم
الابحار نحوسورية

من فيماغوستا سفينة أخذ

٢١٢٠ — وأعطى الأوامر بتجهيز

غلايينه. واتخذ هو نفسه مكانا
في سفينة قوية جدا، وكبيرة وواسعة.
مامن ميناء تحت السماء لن يكون
مرعوباً، ويعاني من الدهول
أمام سفن حرب بمثل هذه الروعة
ورجال حرب أشداء بمثل هذه البسالة.
انتبهوا، الغلايين تغادر الميناء
كلها لائق ومن أفضل الأنواع
وكان الملك كالعادة مشرقاً مسروراً

رشيماً مثل ريشه، قاد الطريق
وسريعاً مثل أي غزال شرع
يعبر البحر وهو مسافر
ثم انه رأى المرقب، على طرف
بلاد الرب الحقيقية
ثم إنه رأى طرطوس من بعدها
مبنية على طرف البحر شديدة وللأمواج مقاومة
وجاز مسرعاً في طريقه
طرابلس، والبترون، وانفه
ورأى بعد ذلك جبلة
٢١٤٠ — ببرجها القائم فوق القلعة

سفينة مسلمة كبيرة
قرب بيروت، بلاصق لساحل صيدا
وباتجاه الملك كانت هناك سفينة
مشحونة برجال من جند صلاح الدين.
ومجهزة من قبل سيف الدين
فيها رجال من خيرة الترك، انتخبوا من
بين أحسن جميع المسلمين
ولم يكن بإمكانها الدخول الى عكا، ولذلك

أبحرت خارجها ذهاباً وإياباً
حتى يتسنى لها الدخول بأمان الى الميناء.
٢١٥٠ — لكن الملك انطلق في سبيل تعطيل
خطة رجالها، وبسرعة ساق
غليونيه، حتى وصل
الى حيث كانوا، فرأى مركبهم
كان عريضاً، وعالياً، وذو قدرة عظيمة
له أشعة ثلاثة طويلة: إنه لم يكن
مركباً صنع وجهاز بشكل سريع.
ومن قبل المسلمين كانت السفينة
مغطاة، من أحد الجوانب، بلباد أخضر
مع لباد أصفر، حسبما وصفوا
٢١٦٠ — كان يغطي الطرف الآخر.
والسفينة كلها كانت هكذا
مفروشة مزينة كأنها عروس مجلاة
وكانت مليئة بالسلاح
بدون تعداد أو قياس :
وتحدث رجل وأكد ما فوق الاشاعة
(وهو كان موجوداً في بيروت

عندما وضعوا على ظهر هذه السفينة هذه
الحمولة نفسها ، لترسل بشكل معيب (
أنه رأى سلاحاً أودع في المخزن
حمولة مائة جمل وأكثر منه :
القسي والرماح والقسي العقارة والجروح
(حزم ، ودواليب ، أو فتائل ، وعدّ ما شئت)
وثمانمائة من خيرة نخبة الترك
أرسلوا من قبل الشيطان للعمل لصالحه
والمزيد من الأطعمة والمؤن
مما يستطيع انسان أن يفصل أو يجمل
ومثل هذا في قوارير كانت هناك
نفوط ، تكلم الناس عنها كثيراً
وخزن في السفينة جانباً
٢١٨٠ — مائتي أفعى شريرة وسامة
(هكذا دّون ، وأخبر الذي
ساعد على وضعهم في الخزائن)
خططوا لاطلاقهم على
حشدنا ، ولتسيب الفوضى ونشرها .

إثارة شكوك الانكليز

وجد ف غليوننا واقترب منهم كثيراً
حتى كاد أن يلامسهم
وقدم رجال غليوننا لهم التحية
ذلك أنهم كانوا لا يعرفون من يواجهون
وسألوهم من أين جاءوا
وما هو اسم أميرهم
وكان معهم مترجم فرنسي
وأعطوا جواباً بأنهم انكليز في طريقهم الى صور
وريح ثارت وقتها من أرسوف عالياً
فساقتهم وأبعدتهم عن جانب الغليون
وكان على ظهر الغليون رجل راقب عن قرب
السفينة والبحارة ، ولاحظ كم
كانوا حريصين راغبين في التجديف
بعيداً ، فقال للملك : « إنه لواضح
يا مولاي العظيم ، وإذا أخطأت اشنقوني أو اقتلوني ،
٢٢٠٠ — أنك تقابل خدعة تركية ، وبناء عليه
قال الملك : « أو أنت متأكد من ذلك ؟
» حقاً يا سيدي تمام التأكيد

أطلق الآن وبسرعة قصوى
غليوناً آخر يتولى المطاردة
وأصدر اليه الأمر بعدم تقديم التحية
لرجالهم . ثم انظر ما الذي سوف يفعلون
وفيما إذا كان إيمانهم مزيفاً أو حقيقياً
وأعطى الملك الأمر ، والغلايين
٢٢١٠ — أسرعت نحوهم ، لكنها لم ترمهم
مهاجمة السفينة

ولم يتمهلوا إلا قليلاً في تعاملهم مع رجالنا
وشرعوا في إطلاق نوابهم
من القسي العقارة والقسي الدمشقية
وانقض الملك ورجاله على الأعداء
بهجوم سريع وفعال
وذلك عندما رآهم يرموننا
وقد دافعوا عن أنفسهم بشكل جيد
ورنت أوتار القسي وتساقط النشاب
أكثف من البرد ، وكان العراك
على الجانبين شديداً متواصلاً
وسارت سفينتهم بسرعة بطيئة ، بسبب ركود الرياح

ووصل رجالنا اليها وحاذوها بسهولة
وغالباً ما أرادوا ، لكن لم يتجرأوا على الصعود
عليها ، كما أنهم لم يتمكنوا من سحق الحشد المسلم
وأقسم الملك يميناً مؤكداً، أنه آنذاك
وهناك، سوف يشق رجال الغليون
إذا ماتوا أو ضعفوا، أو إذا
ما سمحوا للترك بالنجاة والابتعاد.
ومثل عاصفة انقضوا عليهم
٢٢٣٠ — وبدون انتظار غاصوا في الماء
تحت السفينة، ومن الجانب الآخر
عادوا يسبحون، وبرشاقة ربطوا
الحبال التي كانت مشدودة الى مقود دفعة
سفينة المسلمين، وبذلك كانوا يعطلون
المسلمين، ويسببوا انعطاف سفينتهم.
وبناء عليه تسلقوا عليها
ومباشرة تدفقوا على قلب السفينة.
ولم يقف الأعداء مكتوفي الأيدي، بل
٢٢٤٠ — انقضوا على رجالنا، لتقطيعهم وقتلهم.
ورجالنا الذين جرى اختيارهم

لهذه الأشياء، قفزوا بنشاط
الى داخل السفينة، في حين قطع المسلمون أيديهم
وأرجلهم، وألحقوا بنا ضرراً بالغاً
واغراقها

وقاتل رجالنا معركة كبيرة الى حد
أنهم ساقوهم الى داخل الميناء
والمسلمون الذين الى أبعد الحدود
خافوا الموت، قاتلوا بشكل يائس
وعلى شكل فرق صعدوا على ظهر السفينة
٢٢٥٠ — وأعدت فرقة بعناية وقدمت

عساكر جديدة للمعركة الدائرة تقدموا
بصفوف جريئة، مسلحين بشكل كامل
وهكذا قاتلوا، وتبادل الطرفان الطعنات
والضربات العظيمة داخل مركب المسلمين.
وأقلع المسلمون بهجوم كان
قويا الى حد أنهم ردوا بحارتنا الى الخلف
لكن الذين كانوا في الغلايين أعادوا جمع
صفوفهم، وأقلعوا بهجوم جديد
وأخبرهم الملك بأن ينطحوا ويصدموا

٢٢٦٠ — السفينة حتى يخرقوها

ونطحوها مراراً، وهكذا خرقوها بشدة
حتى أنها خرقت في عدة أماكن.
وفتح قائدها ثغرة كبيرة في أسفلها
منهياً بذلك هذه المعركة الشرسة
وهكذا توقف المسلمون عن القتال
وقفزوا الى الماء عشرة بعد عشرة.
وقتل كل واحد من رجالنا منهم حسبما استطاع:
وكان بإمكانكم أن تروا هناك ضربات عظيمة، وتعامل
الملك رتشارد بارادة

٢٢٧٠ — حادة ليدمرهم وليقتلهم.

وعلى كل حال، كان هناك خمسة وثلاثين
منهم أبقاهم على قيد الحياة
حيث كان بعضهم مهندسين جيدين
بارعين في الآلات، وبعض الأمراء:
وجرى اغراق البقية: فهكذا كانت نهاية
الفرس، والترك، والمرتدين.
ولو دخلت السفينة الى عكا، إنه لو اوضح تماماً
أن البلدة ما كانت لتسقط

ذلك أنها جلبت امكانات للدفاع هائلة
٢٢٨٠ — لكن الرب، الذي يعين عباده، هكذا كانت مشيئته
ثم إن ملك انكلترا، جيد، وشجاع
في الحرب، ومغامر.

حزن صلاح الدين العظيم وأساه
المسلمون من فوق أحد التلال شهدوا
هذا الحدث الذي جلب لهم سوء.
وهم ممتلئون بالغضب والغم
أرسلوا خبر ما حدث الى صلاح الدين بذلك
فبما حدث، ثلاث مرات نتف لحيته لغضبه
ثم مثل رجل بلاوعي، قال:

٢٢٩٠ — «يارب، الآن ضاعت عكا مني
ورجالى أيضاً، الذين ظننت أنهم بأمان
سببوا لي حزناً، صعب تحمله»
وصدر عن الجيش المسلم نواح عظيم-
وحكى الذين سمعوا ذلك ورووا-
بأن الترك نتفوا شعورهم
حزناً، ولثيابهم مزقوا
لأنهم في داخل هذه السفينة فقدوا

قادتهم والذين رعوهم كثيراً.
متابعة الاسطول ابجاره الى عكا
الملك، عندما هذه السفينة ذات القوه
٢٣٠٠ — وبحارتها استولى عليهم في القتال
كان متشوقاً للتحرك نحو عكا
والى ذلك الاتجاه حول مسار
غلايينه جميعا في نظام جميل
وهي التي ربحت المعركة من السفينة.
وعندما مع اسطوله ساق نحو الأمام
الرب أرسل له ربحاً طيبة من الشمال
وهكذا أمضوا تلك الليلة أمام صور
وكان كل من الملك والعساكر راضين كثيراً
الملك النيل، قلب الأسد
٢٣١٠ — رأى في الصباح اسكندرونة
ثم جاز قلعة الزيب، ثم مباشرة
ظهرت أمامه عكا ورآها
وزهرة العالم كله وجدها
معكسة هناك، وملتفة حول بعضها بعضاً
ورأى الجبال والوديان

والسهول المفتوحة والتلال والمنخفضات

مكسوة بالسراقات وبالخيام

ورجال امتلأوا حقداً وضغينة وخشية

أن يلحق سوء بالمسيحيه

٢٣٢٠ — وكانوا يشكلون حشداً جباراً

ورأى خيام صلاح الدين

وخيام أخيه سيف الدين

وكان المسلمون قريبين جداً الى حد أنهم كادوا

يركبون أكتاف الحشد المسيحي.

تقي الدين، على الجانب الآخر

المحامي عن ديار المسلمين

حرس ساحل البحر والشاطئ

وعلى حشدنا شن حرباً مستمرة

وكان دوماً مستنفزاً وجاهزاً للقتال

٢٣٣٠ — ولل هجوم علينا وارغامنا على التراجع.

رسو رتشارد عند عكا

ونظر الملك الى كل شىء، وتفحصه

وعمل خططاً، وخططاً عمل.

وعندما جاء لينزل الى البر، كان بإمكانك

- ١٣٥٥ -

رؤية حشد البارونات العظيم كله
الذي جاء مع الملك الفرنسي لاستقباله
وبشوق عظيم رحبوا به وحيوه.
وكثير من الناس كانوا على الرصيف
لرؤيته. ووضع قدمه على الأرض:
وسمعت وقتها البوق يصدح
٢٣٤٠ — ليحيي رتشارد، الملك الذي لانظير له.

والحشد المسيحي كله
كان سعيداً، لأنه جاء.
لكنه عندما جاء، الترك في داخل
بلدة عكا كانوا مرعوبين.
كان معه سفنا كثيرة، وقد عرفوا
أنه سيضع حداً ويوقف
خروجهم من البلدة ودخولهم إليها
وهو ما كان يسبب لنا الأذى والنكد
والآن الملكان جنباً الى جنب
٢٣٥٠ — ركباً معا وتسايرا طوال طريقهما.
ودخل الملك رتشارد الى خيمه
وعلمه بكثير من اليقظة

ما يمكن أن يكون السبيل المؤكد
للاستيلاء على عكا، بأقل تأخير.

بهجة الصليبيين وسرورهم
السرور كان عظيماً وواضحاً تلك الليلة:
مامن ابن امرأة يمكنه قط ادعاء
رؤية أو معرفة مثل هذا الترحاب
الذي قدمه الحشد للملك.

فقد قرعت الأجراس وصدحت الأبواق
٢٣٦٠ — والنفر، والنايات، وبقية أدوات الموسيقى
وكان بإمكانك رؤية أناس من كل نوع
وقد امتلأوا بالمرح والسرور يلهون هم
أنفسهم مع الموسيقى والأغاني
وحملة كؤوس يحملون الخمرة ويقدمونها
بكؤوس جميلة خلال الشوارع لجميع
الناس سواء أكانوا كباراً أم صغاراً.
ذلك أن استيلاء الملك على قبرص، قد
جعل الجيش كله مسروراً
لأنه من هناك سوف ترد الأطعمة
لتبقي الحشد الهائل حياً

- ١٣٥٧ -

وامتلأ الناس بالأمل وكانوا مسرورين؛

وكان الوقت مساء السبت

حيثما كان من الممكن أن تذهب أو تكون

أعتقد أنه ماكان بإمكانك أن ترى قط

أضواء أو مشاعل مثل التي أشعت

ولهذا بدت الأمور للترك

كأنها الوادي، جمعية بلا استثناء

قد أنير بنار مشتعلة

وعلموا أن سرورنا ومرحنا

٢٣٨٠ — كان بسبب مجيء الملك

وملأوا الوادي بعرض عظيم

للقوات المقاتلة عندما جاء النهار:

هؤلاء القوم الكفرة، الدنسين القذره

هاجمونا، وقاتلونا حول خط خنادقنا

وأطلقوا الشباب، وأغاروا بدون توقف

على حشدنا، وعليه شددوا الضغط عن قرب.

الفصل الثالث

عودة الرواية الى حوادث أبكر

سوف ندع الآن الرواية لبرهة
(وعندما يأتي الوقت المناسب والمكان
إذا ما تابعتموني وسائرتوني، أنتم
٢٣٩٠ — سوف تسمعوني أتناولها من جديد)
عن قدوم الملكين اللذين عنهما أنا كتبت أشياء كثيرة
واللذين جلبتهما الآن الى عكا.
اسمعوا الآن، وضعوا في اعتباركم
أنني أرغب، ولا بد أن أبذل جهدي
لقطع سياق روايتي
لكنني سوف أعود لربطه مرة جديدة
وأعيد مجرى السياق محكما كما كان من قبل :
لأن الملكين لم يكونا الأول، بل بالحري
٢٤٠٠ — كانا آخر من التحق بالحصار
ولهذا بالنسبة للذين سوف ينسرون
ليعلموا، أمبرويز سوف يشرح الآن ويبين

- ١٣٦٠ -

من الذي تولى القيام بالمخاطرة
للاستيلاء على عكا، والذي حسبها كما هو معروف
بنفسه لم ير شيئاً من وقائعها
لكنه قرأ الذي كتب عنها.
والذين حاصروها أولاً، والجرأة
بالمحاولات التي تولوها سوف الآن عنه نتحدث
لقد سمعتموني أقول -ومن المفيد
٢٤١٠ — أن أروي مرة أخرى وأن أحكي -
عندما بدأت هذا التاريخ
إذا ما كنتم تتذكرون
كيف نزل بنا في سورية
أعظم ضرر محزن، وأذى، وعار.
وكان ذلك في أيام الملك غي
الذي عانى كثيراً من ذلك
لكن الرجال الذين يعرفون الطريق
الذي تولى الحسد فيها خيانة الملك.
أسرة حكم القدس
ملك نشأ وتربى فيما وراء البحار
٢٤٢٠ — ملك كان اسمه عموري:

- ١٣٦١ -

منه جاء ولد، كان هو الملك التالي
وبلدوين المجذوم كان اسمه
وعاش الملك بلدوين طوال حياته
حتى نخره المرض ومات.
وقد امتلك اختين، سيدتين جميلتين،
ذواتا فضائل، وجدارة، وجودة نادرة:
وهاتان السيدتان تزوجتا، احدهن - ايزابلا -
من البارون همفري دي تيرون
والأخرى من سيد نبيل - سييلا -

٢٤٣٠ — هو الكونت وليم الملقب بصاحب السيف الطويل

وصاحب يافا القائمة على الشاطئ
وأخ لمركيز مونتفرات
ومنه السيدة أنجبت
وريشاً ذكراً: بلدوين كان اسمه - بلدوين الخامس -
وعاش الطفل الصغير، لكن الكونت مات
وكان هذا مريضه القدر وقرره.
ورغب غي لوزغنان وتمنى
الكونتيسة، ومنها تزوج
وكان الطفل ملكاً، لكنه لم يملك

٢٤٤٠ — لأن الرب هكذا قضى بكل شيء
فعندما سوء المصير استولى على الطفل
إنه إلى السيدة بالحق وصدقاً
آلت إليها المملكة، وكان هذا صحيحاً
وفق منطق جيد، وسبب معقول.
ثم كان أن أخذ الملك غي التاج
وكثير من الصراع والخصام نجم عن ذلك
خيانة ريموند صاحب طرابلس
بين الكونت ريموند المزيف والساقط
وبين صلاح الدين، الذي عنه تحدثت
قام تحالف مديد منذ أمد طويل
٢٤٥٠ — عنه سورية تحدثت كثيراً.
تاق ريموند لتسلم المملكة، التي
اعتقد أنه سيحوزها، لأنه كان غنياً
ولأنه كان كونت طرابلس
لكنه لم يستحوذ عليها، الشكر هو
للرب. وعندما توج غي ملكاً
واختير من الرب للتشريف
دعا باروناتهم كلهم بلا استثناء

- ١٣٦٣ -

ومن بينهم بعث يستدعي
٢٤٦٠ — كونت طرابلس، لكن يمكنكم
أن تسألوا عبثاً عن نوع استجابته
وعن الجواب الذي قدمه
وعاد الرسول بالفعل
وسار الكونت على الفور
ليعلن شكواه لصالح الدين
قائلاً إنه لن يستطع البقاء في
أرضه، بسبب أن غي الذي جلس
على العرش يكرهه كراهية
عظيمة. وقال كثيراً من الأقوال وكذب
٢٤٧٠ — بأن المسيحية تأذت بسبب ذلك....
وسأله، من أجل خاطر حبه العظيم له
أن يعينه حتى ينتقم انتقاماً كاملاً.
ياسادتي، لقد تم في مكان الاجتماع ذاك
التخطيط هناك للخيانة الدنيئة
التي جلبت للمسيحية تلك الخسائر العظيمة
وجعلتنا نفقد الصليب المقدس.
واستدعي الكونت مرة أخرى

الى البلاط، وإليه توسلوا كثيراً
أن يأتي. فقال إنه لن يفعل ذلك
٢٤٨٠ — ومن الملك غي لن يأخذ شيئاً وبه لن يعترف
ومرة ثالثة أرسل إليه الملك، مع عهد موثق
بأن يتخلى له عن كل حقوقه.
وهكذا جاء. ومقدم سوء كان
لأنه كان واثقاً من أنه سوف يتدبر
تدمير البلاد. وبناء عليه
جعل العمل الشرير يبدأ.
غير أنه عندما مات، لحق عار كبير
به، حسبما يروي التاريخ.

صلاح الدين يغزو المملكة

سمعتهم مراراً كثيرة من قبل
الحكاية، وسمعتموها مرة تلو مرة
كيف، عندما الملك غي جرى تتويجه
لم يدع شهرين يمران وينقضيان
قبل أن أمر بالاستنفار
لأتباعه في جميع أرجاء سورية
وأن يجتمعوا ليقدموا له العون

- ١٣٦٥ -

لأن رجال صلاح الدين قاموا بغزو
البلاد، وبناء على أوامره
تدفقوا وانساحوا بقوة كاملة في البلاد
وأنزلوا برجال غي هزيمة مؤلمة
٢٥٠٠ — مائة فارس من النخبة

وجاك دي ميلي هناك قتلوا
مما سبب للداوية آلاماً مبرحة.
وكانت هذه الفاجعة
بداية للانتكاسة
التي جلبت كثيراً التعاسة وأنزلتها
بالمسيحية المقدسة
وقدم كونت طرابلس تعهداً -
شفته دوماً معلقة مبهوزة باستياء -
بأنه سوف يسير إلى الملك غي وبه يلتحق

٢٥١٠ — ليقدم له المساندة وقت حاجته

وإليه جاء، ومعه عمل اتفاق
لكن الناس تذكروا بعد ذلك
أنه كان اتفاقاً مزيفاً الذي عمله
وأنه فجأة خانته وتخلّى

عنه في أشد ساعات القتال
عندما كثير من الناس الجيدين ماتوا.
ومن الممكن أنه فعل ذلك، مع أنه
من الممكن أنه لم يفعل كذلك.
لكن معظم الناس يشهدون. ويقولون
٢٥٢٠ — بأنه خدعه وغشه في المعركة

وإذا صح هذا، لقد استحق نهاية تعيسة
والآن صلاح الدين حشد
رجاله ليأتوا من ممالكه التسعة
مع قسي، ومع دروع، ومع خوذ
ووصلوا في جمع هائل
وما من واحد تراجع لامن ضعيف ولا من قوي.
وعدد كبير من الأمراء من أعلى المراتب جاءوا
ورجال نبلاء ذوي أسماء ومكانة جبارة
استعدوا لمغادرة بلدانهم
٢٥٣٠ — لتدمير المسيحية.

سحق الجيش الصليبي في حطين
الآن الملك غي، مع مسيحييه
ومعهم بعض البنادقة

شكل قواته في قسمين
من عساكره الرجال، وعساكره الخيالة
واحداً الى ميناء طبرية
بعث، ووحداً الى صفورية
وتلك القوة مضت نحو حظها السعيد
والذين انحدروا نحو طبرية
مع أنهم فقدوا أجسادهم هناك
٢٥٤٠ — مباشرة أرواحهم توجهت نحو الرب.

كونت طرابلس، الذي خطط
للقيام بغشهم وخداعهم، هو الذي تولى قيادتهم.
ورجالنا لم يرتابوا به، وهم
فقط أصغوا، وأطاعوا
وهكذا فعل، وهكذا بذل جهده
لأن يتولى جيش العدو سوق
جيشنا نحو بحيرة طبرية
حيث لم يمتلك رجاله ماء، ثم جعلهم
يشربون، بخداعه وغشه

٢٥٥٠ — من ماء البحيرة، الذي كان حلواً وجيداً.
وعندما حان الوقت له ليشرع

- ١٣٦٨ -

الرمح، وأن يبذل غاية جهده
انهزم بعيداً، والذين تركوا
حرموا من أرواح أجسادهم.
من الذي طعن من أنا لا أعرف
ولامن نجا، ولامن تمدد مقتولاً
بسبب أنني لم أكن حاضراً ذلك المعترك
لكن صدقا، وهذا أقوله لكم
الرب هياً ما حدث هنا ووقع
لأن لديه كان واضحاً — ٢٥٦٠

ان في العالم الكثير من الذنوب
وكان الناس يعربدون هناك ويقصفون
حتى أن هذا لو لم يحدث،
من خلاله كان سيأتي لكن قليلاً جداً.
وكان أن حدث عند لويية Marescallia
القائمة على مقربة من طبرية
انشاب الملك غي ورجاله القتال
وقد قتلوا عدداً وافياً من المسلمين
لكن رجالنا عانوا من كثير من الجراحات
فارتقوا أرضاً ميتين وبلا رؤوس. — ٢٥٧٠

ولم يكن هناك أمل بالنجاة
لأن الأعداء انقضوا على الملك
وجرحوه، وألقوا
به الى الأرض، وضربوه بشكل مؤلم.
بذراعه الأيمن صليب الصليبوت
حمل وأمسكه بشدة، لأن الاهانة تعاظمت
وكان يمكن أن يفعلوها، لولا وجوده
لكن الرب، كما يبدو، جعلها له عبرة.

اجتياح صلاح الدين للبلاد

وعندما جاءت نهاية العراق

٢٥٨٠ — الذي قضى الرب بأن ينتهي على هذه الشاكلة

ووقع كل من الملك والصليب بالأسر
والجيش كله تقريباً قتل
(ولهذا أخذت أعداد كبيرة جدا الطريق
وتخلوا عن ثرواتهم وعن قوام حياتهم)
ثم ان صلاح الدين حسبما رغب وكما ارتضى
به، تمكن من الاستيلاء على جميع البلاد
باستثناء صور وعسقلان (الرب هكذا
أعطى لنا أرضه، ثم أخذها منا)

وباستثناء القدس، لكنه

٢٥٩٠ — مالبث أن فتحها بكل سرعة. (٢- تشرين أول ١١٨٧)

وألقى حصاره على عسقلان

ظانا أنها بسرعة سوف تفتح

لكن من فيها ثبتوا بشجاعة

ضده، وقاوموا بعناد كبير.

ومات عدد كبير من المسلمين هناك

ولم يتمكن من الدخول إليها

حتى أمر رجاله أن يجلبوا

ويعرضوا أمام أسوارها ملكهم

وعرض مقابل القلعة

٢٦٠٠ — اطلاق سراح الملك، الذي بعث يخبر

المدافعين عن البلدة أن لا يقوموا

بأي استسلام من أجله:

لكنهم، وهم الذين لم يعد بإمكانهم الاستمرار،

كان لابد من أن يرتضوا بأية شروط يمكنهم تحصيلها.

ومن أجله تخلوا عن عسقلان

وبرفقه مقتنياتهم وجهازهم غادروا البلدة. (٤- تشرين ثاني ١١٨٧)

اطلاق سراح غي وموت ريموند

وبناء على هذه الشروط، الملك غي

قال الكتاب، أطلق سراحه:

على أن يوافق على التخلي عن المملكة

٢٦١٠ — وأن يسافر على الفور الى ما وراء البحار.

وركب وسافر بالبحر بشكل صحيح

حتى يمكنه الوفاء بيمينه

وإلى جزيرة (أرواد) طرطوس جاء

الأمر الذي أثار سكانها كثيراً

وإلى هناك بعث صلاح الدين برسالة —

ومسلماً عاقلاً وذكياً

هو كان، ويعلم أن الملك قد

كان سيء الحظ، لكنه ليس صلفاً ولادنيئاً

ولم يرغب أن يجلب الى نفسه

٢٦٢٠ — مخاطر ملك آخر —

أنه سوف يحلله من قسمه.

وعاد الملك الآن أدراجه

الى طرابلس، على شاطئ البحر

وهناك وجد زوجته، الملكة

- ١٣٧٢ -

والكونت، الذي كرهه، والذي
قال الناس إنه قد خانه أيضاً.
لكنه الآن أعطى الملك، كل ما
فكر به وتمناه، وبحفاوة تلقاه.
والفائدة هي قليلة في تقديم بيان
عن هذا الكونت الفاسد والخائن
الذي جعل عدداً كبيراً من الأطفال يتامى
والذي جلب العار للمسيحية:
ودفع الثمن غالياً من أجل خيائته
ولما اقترفه من خسة ونذالة
فهذا أحل به، بنعمة من الرب، وجلب
موتاً سريعاً، وموتاً مع عار وشنار.

حصار صور

كما أنني لن أتحدث عن حصار صور
الذي سبب لصلاح الدين الأزعاج والايلام
وحيث وليم دي لي شابل chapel

٢٦٤٠ — قاتل بشجاعة عظيمة وبشكل جيد

وحيث الأخوة الطبرانيون*

الذين حموا المدينة ببسالة

*-الأخوة الطبرانيون هم: هيوچ، ووليم، وأوستي، ورالف صاحب طبرية، أولاد وولتردي سينت أومر واسشيفي Eschive صاحبة طبرية، التي كانت متزوجة من ريموند الثالث يوم حطين، وكان أولادها هؤلاء مع ريموند في حطين، أو أنهم كانوا برفقته عندما هرب من حطين في سنة ١١٧٨، وقد قصدوا مدينة صور حيث ساعدوا في الدفاع عن تلك المدينة، وأصبح هيوچ الثاني في القيادة لكونرادد بعدما استولى كونراد على شؤن صور، لكنه ذهب مع غي الى عكا في ١١٩٠-١١٩١، ورافق رتشارد في حملته على يافا سنة ١١٩٢، وبعد انتهاء الحملة الثالثة صار الأخوة بين أتباع ومستشاري هنري أوف شامبين، وصار رالف نائبه المسؤول عن القدس في ١١٩٤-١١٩٨، لكن موت هنري جلب مأساة للأسرة، فالملكة ايزابلا، تركت أرملته، وأخذت تبحث عن زوج، وكان رالف صاحب طبرية واحداً من المرشحين لطلب يدها، ففي سنة ١١٩٧ كان هيوچ قد أعطى لوردية طبرية الى رالف، ليمنه وضعه كمرشح للعرش، لكن جرى تجاوز رالف لصالح عموري لوزغان الذي كان أكثر قوة، كما كان ملك قبرص، وتطور عدااء فيما بين عموري ورالف، وأدين رالف بالتآمر ضد الملك الجديد، وأرغم على مغادرة البلاد، ويبدو أن وليم صاحب طبرية قد توفي في هذه الآونة، فقد ظهر اسمه لآخر مرة في عام ١١٩٢، ولم يرد ذكره في رسالة جاءت من البابا انوسنت الثالث الى هيوچ وأخويه أوستي ورالف في سنة ١١٩٩. وهرب هيوچ ورالف وأوستي الى أرمينيا، والتحق أوستي بريموند روبن وليسون، وورد خبره معها من ١٢١٠ الى ١٢١٦، وورد ذكره لآخر مرة في قبرص عام ١٢١٨، وذهب هيوچ ورالف الى القسطنطينية في أعقاب الحملة الرابعة وتأسيس الامبراطورية اللاتينية، ومات هيوچ هناك في حوالي سنة ١٢٠٥، لكن رالف عاد الى عكا وباشر عمله القديم من ١٢٠٧ الى ١٢١٠، وشارك في الحملة الصليبية ضد دمياط، وورد ذكره للمرة الأخيرة في عكا سنة ١٢٢٠، وكان رالف قانونياً بارزاً في أيامه، ومنه تعلم فيليب دى نافار علم القانون، ومن المحتمل أن رالف هو الذي نقل قوانين القدس الى القسطنطينية، التي شكلت القاعدة لرومانيا اللاتينية، وألت لوردية طبرية الى يودس مونتبليارد الذي تزوج من اسشيفي ابنة رالف.

- ١٣٧٤ -

وكانوا مكرسين تماماً ومخلصين جدا
للرب ولمملكته الأرضية.
ولن أتحدث عن المركز
الذي هناك بدأ بصمود ونجاح.
وكانت البلاد كلها مغزوة
عندما جاء، وبشكل ما أعان
عمل الرب، وبدأ ببسالة
وانتهى بزيغ وخيانه.

— ٢٦٥٠ — وأنا لن أبتعد كثيراً، ولن أتحوّل

عن الملك غي، الذي هو موضوعي
والذي من سجنه وأسرّه الآن
تحرر، وعليه تركّز تفكيري.

استعداد غي لاستئناف الحرب

أما والآن قد عاد إلى طرابلس
فقد سرت عودته الناس من المراتب العلية والدنيا
والآن نال الفقر والبؤس كثيراً
من غي، ملك القدس، وجعله
مثل واحد جاء خارجاً من السجن.

— ٢٦٦٠ — ولم يأخذ أكثر مما استحقّه

لأنه لم يكن لديه شيئاً ليأخذه
واحْتَاج إلى بعض النفقة التي توجب عليه تدبرها
وقد عرف أن العدو
قد استولى على عكا، التي كانت المفتاح
لبلاده، وأنهم منها طردوا قواته
ولم يكن يعرف إلى أين س يلتجئ.
والى الرب التجأ بأحزانه
والمولى الرب تماماً عوض عليه.

فعندما قرع الناقوس، صباح أحد الأيام هناك

٢٦٧٠ — أمير أنطاكية قدم، وتجشم وتكلف

وبحثاً عن الملك غي هوذهب

ليسأله ويطلب منه أن يوافق

ليذهب معه، وليعود

إلى انطاكية، وليقيم هناك

حتى يستطيع أن يجمع ويوحد

رجاله، ويسلحهم من أجل القتال

وليعرف أين الأفضل له لينقض على

على الترك، وأين الممكن ربح شيء ما

منهم وذهب الملك غي مع الأمير

٢٦٨٠ — الى انطاكية التي هي مقاطعته.

ووقتاً قليلاً أمضاه هناك
وبالوقت نفسه ذرف كثيراً من الدموع
وعندما ذكره دمعته بالمناخ وبالطقس
الذي كان لصالحه، وأنه الآن يضيع وقته.
عندها ذهب عائداً الى طرابلس
وجهاز رجاله وأعدهم وسلحهم
وجمع وحشد ووجد كل
الرجال الذين تمكن من دعوتهم
مع ما استطاع جمعه من ديون، لأنه
لم يرغب بالتأخير أكثر.

٢٦٩٠ —

والتحق به أخوه غيوفري

وأثناء اقامته هناك، كل اهتمامه تركز
على جمع الرجال والسلاح
غيوفري دي لوزغنان أخوه
شخصياً، قدم الى هناك، وكان معروفاً جداً
على أنه الاقطاعي الأقوى في البلاد، لأنه
نشأ وتربى بشكل جيد على الحرب.
وعند صور توقف أولاً

- ١٣٧٧ -

لكنه لم يجد هناك مأوى لنفسه
لأن المركيز وأتباعه
حرموا عليه الدخول الى الميناء.

٢٧٠٠ — وهكذا وقد رفض وطرد

عاد الآن الى طرابلس
وهناك أخوه وجد الملك غي
الذي رحب به ترحيباً صادقاً جداً.
وعندما الملك استعد استعداداً جيداً
للحرب، جنوده أخذوا طريقهم وزحفوا.
وجاء الى صور عبر الساحل:
وكانت جماعته تتكون من مجرد قليل من الفرسان والرجال.

ووجد الأبواب والمنافذ كلها مغلقة

٢٧١٠ — بوجهه وبوجوه رجاله بوساطة الحراس:

وكان المركيز منحطاً وحقيقاً
وعلى السماح له بالدخول، لم يكن ليوافق
وأوعز بتصرفات سيئة
حرم بها الملك من مملكته الشخصية.
وهكذا، فإن الملك الذي سلب من حق الدخول
أعلن أنه لن يستطيع بشكل دائم تحمل

مثل هذه الالهانة. وبناء عليه اتخذ موقفاً صلباً
وأمر بخيمته فنصبت فوق الرمال.

على الرغم من كونراد عدد كبير التحق بغني
خارج صور تجمع الحشد

— ٢٧٢٠ — وأنتم تعلمون بأنه تألم ألماً عظيماً

لأن المدينة حظرت عليه

وهذه المواجهة كلها قد خطط لها

من قبل مونتفرات، المركيز المزيف

وكان هذا ابنا لكونراد الشجاع

الذي أسرفي القتال الكبير.

وهذا ماكان قط ليعمل مثل هذه المراغمة:

لأنه كان مخلصاً، وفارساً خلوفاً

بينما كان ابنه خائناً

ورجال صورالذين أحبوا كثيراً

رهبهم، وأحلوا مصلحة الرب فوق

٢٧٣٠ — كل شيء آخر، غادروا المدينة مباشرة

وطلبوا الالتحاق بالملك بدون تأخير

وكان هناك نبيل ألماني، عمل

تلك السنة وخدم باخلاص وصدق

وكان أيضاً الأخوة الطبرانيون الجيدون،
والذين كانوا أكثر مجموعة سورية اخلاصاً
والبيازنة،الذين خدمة منهم للرب
قدموا بشجاعة العون والسيف
وعن بيوتهم تخلوا ولها هجروا
٢٧٤٠ — وكذلك عن كثير من الثروات. وقادوا
أزواجهم وأولادهم أيضاً، ليسافروا
الى عكا، حيث كان المسلمون هناك.
الزحف لحصار عكا
أما وقد جلب عون أخيه
سروراً عظيماً الى الملك
وحكت الروايات الصحيحة أنه أقام
أربعة أشهر قبل أن يعود
إلى صور فوق الرمل، وهي البلدة
التي بكل مقتضيات العدل بلدته.
وعندما جلب من الديار كلها ووضع
٢٧٥٠ — العساكر تحت امرته
مع قوات أخيه —
التي شكلت شطراً كبيراً من موارده —

بات لديه أربعمائه فارس، وأحصى وجود
سبعة آلاف راجل لأكثر
للقيام بحصار عكا. والذي خلصتُ إليه
أن مامن أحد سواه كان سيتجراً على مثل هذه المخاطرة
ورائع أنه بمثل هذه البراعة حاول
فيما عدا أنه عرف أن الرب الى جانبه-
قتال قوة كان تعدادها أكبر من تعداد
٢٧٦٠ — قوته، بمقدار مائة مقابل أربعة
لكن الرب أراد هذا كله، ووقع الأمر وحدث
ووصل الحشد الى أسوار عكا
التي بقدرة هائلة صلاح الدين
سعى الى تحصينها
لأنه كان متأكداً من وقوع هجوم
من قبل الذين سرهم استردادها.
وقدم الملك خدمة الرب على كل شيء
الرب الذي عن ثقته به لم يتزحزح.
والذي توفر لديه من الرجال، مع أنهم كانوا قلة،
٢٧٧٠ — قادهم عبر الطريق الذي جيداً عرفه
وجاز الحشد سريعاً خلال المخاطر

لقد جاز ما قام بين عكا وصور
وعرف المجاز هناك باسم ممر اسكندرونة، وهناك
اقتيد الحشد من قبل الملك غي.
لكن صلاح الدين لم يكن على دراية
بهذا، ولو أنه عرف الأمور
لجرى تدمير الحشد بكل سرعة
وذهب روسيا كلها ما كان ليجنبه
مثل هذا المصير، لكن الرب أراد مصيراً آخر.
— ٢٧٨٠ — وهكذا بدأت المخاطرة التي استهدفت

انقاذ المسيحية
والتي تطورت بسرعة كبيرة
فالآن باسم الجسد المبارك
نحن الذين بالمسيحية نؤمن، الى هنا
جاء جيش الملك الى عكا. وبناء عليه
صعد الملك الى ظهر احدى التلال.
والآن الحشد المسيحي الذي توجه
من صور الى عكا صعد الى
ظهر التل. ويمكنكم أن تعرفوا يقيناً
أنهم صعدوا الى هناك في ظلام الليل:

٢٧٩٠ — ولم يتجرأوا على البقاء في الشعراء
ولهذا توجب امتلاكهم لأعلى البقاع.

دفاع صلاح الدين عن عكا

وعندما حان وقت الفجر تحرك الترك وزحفوا
خارجين من البلدة، ورأوهم هناك
يا للهول، البلدة كلها اضطربت
واستثير فرسانها وقلقوا وتشوشوا.
وأرسلوا يخبرون صلاح الدين، أنه قد
حدث أن قليلاً من رجال الفرنجة
بحماقة تحركوا نحوهم ليهاجموهم
٢٨٠٠ — وأنه ينبغي أن يقدم مسرعاً

ليقطع رؤوسهم عن أجسادهم ولكي لا يبقى حياً
ولا واحداً منهم، لأنهم لن يتجرأوا على
الدفاع عن أنفسهم، وإلى أقصى الحدود
ابتهج صلاح الدين بهذه الأخبار؛
وكان عند الشقيف، التي عليها ضغط
بفعالية، وأراد أن يحاصرها.
واستدعى الاحتياط، وأعطى أوامر
أن عليهم في جميع أطراف بلاده

- ١٣٨٣ -

وجوب التوجه إلى سورية وأخذ

٢٨١٠ — الطريق فوراً، من أجل النهب

وجاءت أعداد كبيرة جداً، علّ الرب يخزيهم

إنه الرب الذي خلق الأرض والسماء من حولها.

ولو أننا قطعنا إنشاً فإنشاً

مامن واحد كان سيجد مأواه.

وبعد مضي اليوم الثالث على وجود رجالنا على

القمة العالية للتل

(حيث طوال الليل احتفظوا بسلاحهم

خشية من عمل مفاجيء من قبل المسلمين)

خذوا حذرهم، إن رجال صلاح الدين

٢٨٢٠ — من فرس وترك وبداءة

الذين قدموا، عقدوا العزم على

احتلال الأرض كلها بلا استثناء.

وفي اليوم الثالث من الاسبوع

جاء صلاح الدين نفسه ليقوم

بانتقام سريع اشتهاه

وأن يقطع رأس كل فرنجي

بداية الحصار

وليست المسألة مدهشة

إذا توجب عليهم المراقبة بأعين مفتوحة

وإذا كانوا قد تحملوا الرعب والآلام

٢٨٣٠- في محاولتهم لحفظ رؤوسهم وحمايتهم

لأنهم عندما كانوا على قمة التلة

هاجمهم الترك في الليل وفي النهار

وحلوا عليهم مراراً وتكراراً بشدة

بلغت حداً أنهم نادراً ما تمكنوا للتوقف للأكل

وصنع غيوفري دي لوزغنان أعظم

الأفعال الكبيرة لحماية الحشد.

من قبل كان شجاعاً وبأسلاً

والآن ذاعت شهرته أكثر.

ومن الاثنين حتى الجمعة هكذا

٢٨٤٠- عاشوا في خوف وفي هول عظيم

وستسمعون الآن خبر ما أولاه

الرب من عناية لهؤلاء الذين قرر حمايتهم

فما من شيء يمكن أن يؤذيه أو يضره

الذي أوقف نفسه على خدمة ارادته

وصول جاك دي أفنس مع نجدات

وبينما عاشوا هكذا في رعب وقلق وشك

نظر الملك والذين معه وتطلعوا

نحو أعالي البحار في آخر الأفق

وصلوا للرب بإخلاص وبحرارة

من أجل صيانتهم وحمايتهم حسبما

— ٢٨٥٠ — يشاء، وهم في ذلك، تطلعوا فرأوا قادماً مسرعاً

أسطولاً رائعاً بسفن مشحونة بالرجال

وفيهما قوم قادمون إلى البلاد

جاك دي أفنس كان هناك، وهو صاحب فلاندرز

أنا لا أظن أن الاسكندر

أو هكتور أو أخيل كانوا

رجالاً أكثر نبلاً منه في أخلاقهم

لقد كان جاك هو الذي باع، أو ضمّن

أو رهن، ميراثه ومقتنياته

وباع كل ممتلكاته

— ٢٨٦٠ — ووهب بحكمة لانظير وبإخلاص عظيم

القلب، والنفس، والجسد وأعطاهم

إلى الملك الذي انبعث إلى الحياة من الموت.

وأربعة عشر ألفاً معه جاءوا
رجال شاكي السلاح ومعروفون ولهم شهرة
وكانت هذه المراكب هي الاسطول الدانياركي:
وكانت هناك أعداد كبيرة من كاستيلا كان من الممكن رؤيتهم
ومن كورنول، ومن التخوم أيضاً
فهكذا الذين عرفوا الحكاية تحدثوا ورووا.
وخيول رائعة من خيول الحرب، كانت
— ٢٨٧٠ — قوية وسريعة، بنية وكستنائية
وعندما باتوا على وشك الرسو، يمكنكم
رؤية الترك وقد اقتربوا من حالة الجنون
وبعنف، نحو الشاطئ اندفعوا
لابل بعضهم حتى في الماء خاض.
وأصيب الذين كانوا بالبلدة بالجنون
فرموا بزخات من النشاب وأسقطوها
لكن الذين كانوا على ظهر التل انحدروا
ومن كل جانب واتجاه مضوا
حيث حملوا، وقاتلوا قتالاً عنيفاً.
— ٢٨٨٠ — لكن الترك — على كل حال — صدوهم، وإلى الخلف أعادوهم
مع رمايات كثيفة. ومع ذلك

نزل رجالنا إلى اليابسة بنجاح.
وعندما رأى صلاح الدين الحشد قد جاء، انشرح
وقال: «الآن غنائمنا قد ازدادت».

المناوشات الأولية

عندما الملك العالي، الذي له نركع
للتعبده، رأى جيشه يزداد
حتى غداً ثابتاً بعض الشيء، وقوياً
قوة لم يعد بإمكانها الصبر أكثر...
وامتلك رجاله جميعاً الجرأة بوثام

— ٢٨٩٠ — وأخذوا طريقهم منحدرين من التل
وأقاموا ستائر لهم، ونصبوا الخيام
وشرعوا بحصار عكا.

بينما على الطرفين عدوهم، تحرش
بهم، كما أنهم تعرضوا لضغط مريع.
وتماسكوا وثبتوا بأنفسهم على طرف البحر.
وثبت البيازنة وقاوموا مقاومة شجاعة
وبيسالة تولوا حراسة سيف البحر
ضد رجال قطيع الكفار المتوحش
حتى لا يتمكنوا من تدمير، أو

- ٢٩٠٠ — الاستيلاء على السفن القادمة إلى الشاطئ.
وفي صباح أحد الأيام — وكان اليوم يوم جمعة —
جرى اشتباك عنيف
على بعد، باتجاه تل المصلبين
ووقع قتلى من الجند على كلا الطرفين.
والذين في البلدة قاموا بغارة
وإلى داخل عكا أدخلوا عنوة
قافلة ذات حجم كبير
من الجمال المحملة بالميرة والمؤن
وإلى صلاح الدين جلبوا
٢٩١٠ — الأسلاب والغنائم التي من أجلها قاتلوا.
وكانوا يدخلون إلى البلدة ويخرجون منها تماماً
بكل يسر، مثلهم مثل الذين امتلكوا القدرة.
والذين تمركزوا في عكا لصدنا
لم يكونوا فلاحين، اعلّموا هذا جيداً
ولم يجلبوا من وراء العربة أو المحراث
لأننا مؤخراً علمنا وتجددت معرفتنا
أن هؤلاء جميعاً الذين لا يطيعون
الرب، مامن أحد كان أكثر أهلية وشجاعة

منهم لاقتحام القلاع، ومامن أحد أكثر شجاعة
٢٩٢٠ — منهم لحماية المدن والدفاع عنها.

الصلبييون الغربيون يزدادون قوة

ولم يكن قد مضى أكثر من أربعة عشر يوماً عندما
وصل إلى هناك كونت بريين (ايرارد الثاني ١١٦١ — ١١٩٢)
وأخوه أندرو كان قد جاء معه،
وهو ابن لسيد جيد ولسيدة جيدة.
وكافل مقاطعة فلا ندرز الذي (هلين دي بريين)
جلب عشرين بارونا بالثام أيضاً
والأمير (لنغريف) الألماني (لويس الثاني لنغريف ثورنغيا ١١٧٢ — ١١٩٠)
وكان معه خيولاً جيدة من اسبانيا —
وكذلك أسقف بيوفياس (فيليب دي درو)
٢٩٣٠ — وكان رجلاً مسناً، وضعيفاً، وأبيض الرأس.
لامعاً، ونشيطاً، وثابتاً لا يتزعزع.

ووصل كونت بار إلى هناك (هنري الأول كونت بارلى دوك ١١٧٠ — ١١٩١)
وهو الذي لم يكن بين الناس من هو أكثر لطفاً منه؛
وكثير من الآخرين الأشداء والحكماء
رجال جاءوا للالتحاق بالمخاطرة.
ومثير للدهشة أنه كان كلما ازداد عدد القادمين، الأقل

من الخوف أو اليأس أعطوا للأعداء
الذين صدوهم وهاجموا دفاعاتهم
٢٩٤٠ — وزاد عليهم الضغط ولاحقوهم حتى إلى خيمهم

وقام رجال البلدة بحملات علينا
والآخرون ازدادوا عدداً

كل يوم، وملأوا البلاد. وتقريباً

أحاطوا بحشدنا الشجاع؛

الذي رجاله — على كل حال — لم يتزحزحوا

بل وقفوا ثابتين في سبيل ملكهم السماوي.

وبينما القتال العنيف دائر أمام عكا

مامن أسقف، أو كاهن، أو كاتب، كان بإمكانه أن يكتب

أو يتحدث عن الأهوال والآلام

٢٩٥٠ — التي توجب على العساكر الفرنجية تحملها

ولاعن شقائهم ونيلهم الشهادة حتى وصل الملكان إلى هناك

وهما ملكا انكلترا وفرنسا

ورجالهما ذوي الشجاعة البالغة

الذين أحبوا الرب بكل إيمان وصدق

والذين حولوا أسوار عكا إلى رماد.

هجوم الأتراك وصددهم

في يوم جمعة من أيام شهر أيلول

حدث حسبما أتذكر جيداً

أن نزلت بنا نازلة قاسية

— ٢٩٦٠ — وكانت شديدة الإيذاء ومفجعة.

ففي كل يوم المسلمون هاجموا

رجالنا، ومامن يوم واحد تخلوا فيه عن ذلك

وسلح الفرنجة أنفسهم ليأخذ كل

واحد منهم مكانه، تبعاً لأوامر

قائد القوات والعساكر

الذين توزعوا على فئات

والاستبارية والداوية أيضاً

كانوا على شاطئ البحر، حيث الجماعات

المسلمة المحتشدة كانت كثيرة

— ٢٩٧٠ — وبدأ القتال هكذا دائماً:

في القلب كونت برين

أخذ موقفه مع رجاله

وهناك لنغريف ألمانيا

أخذ موقفه مع جماعته الكبيرة

قرب البيره Mahomerie للحراسة
العمل الذي أدوه أدوه بنجاح واستحقوا المكافأه.....
والعساكر التي جاءت من بيزا، وعساكر الملك غي
مع آخرين ذوي شجاعة كبيرة وبراعة
على اليمين وقفوا، لإدامة المراقبة
٢٩٨٠ — للقوات التركية، المعسكرة في النطرون.
وجاء المسلمون بشدة وعدة، وكان ممكنا
لكم رؤية عدد كبير من الوحدات الجيدة.
الداوية والاستبارية
حملوا وعلى قوات المقدمة انقضوا
ولصفوفهم خرقوا، وفعلوا بهم أفاعيل
وطاردوهم عندما شرعوا بالانهزام.
ومثل هذا فعلت بقية قواتنا. ومن جميع الجهات
تمزق المسلمون، وتخلوا عن مواقعهم.
لكن الأعداء كانوا في أعداد هائلة
٢٩٩٠ — الى حد أنه مامن فرنجي كان يمكنه أن يعرف
أي طريق سيسلك وإلى أي اتجاه سيتحول
كما لم يكن بإمكان الترك عرقلة الانهزام.

حتى حدث حادث حول التيار لصالحهم

الى جانب الجبل هم كانوا

عندما الشيطان، دخل الى المعترك

فقام بأعظم أفاعيل الشر، مما كلفنا

حياة عدد كبير من رجال حشدنا

والذي حدث أن فرساً لألماني

هرب منه وركض بعيداً، وبسرعة قصوى

لحقه هو وأتباعه

لكنهم لم يستطيعوا إمساكه واللحاق به الى حيث فر

٣٠٠٠ — ذلك أن الفرس هرب باتجاه المدينة، وهنا

مائة ألف من المسلمين

ظنوا أننا كنا منهزمين. وبناء على هذا

لقد اعتقدوا أن صفوف الفرنجة قد تمزقت

فحملوا علينا. ونحو المعترك

انعطفوا، وأنزلوا بنا هزيمة ساحقة في ذلك اليوم

حتى أن الذين تعودوا على قيادة

الحشد هم أنفسهم تعرضوا لمحنة قاسية.

وقاتل الأعداء بشدة، وتفوقوا

٣٠١٠ — علينا: وكنا واحداً مقابل أربعة وعشرين.

والذين منهم أجادوا استخدام المراوات أو العصي
تركوا أعداد كبيرة من الأموات على المعترك.

خسائر الفرنجة

هناك لاقى أندرودي بريين مصرعه:

علّ روحه لن تعاني في الآلام

ولم يتوف قط فارس مثله شجاعة

أو مثله سرعة في تقديم العون للآخرين

وضيق المسلمون الخناق على مركز

دي مونتفرات وشدوا الحملة حتى

بات مصيره الفناء، لولا أن

— ٣٠٢٠ — الملك غي بادر للتفريغ عنه.

ولاقى مقدم الداوية مصرعه

وسط حمأة القتال وشدته

ولقد كان هو الذي تفوه بالكلمات النبيلة

ذلك أنه تعلم في مدرسة الرب الجيدة

عندما أثناء تلك الهجمة، أناس خائفون

وكذلك أناس لا يعرفون الخوف، توجهوا

إليه بالخطاب: «تعال، ياسيد تعال، ودع القتال»،

ولو أراد ذلك، لكان بإمكانه تماماً

الرجوع، غير أنه قال: «لاسمح الرب

٣٠٣٠ — أن أكون قط في مكان آخر

أو أي انسان يشتم

الداوية، ويقول إنني هربت خائفاً».

هو لم يهرب، لكنه هلك، بعدما

غُلب وألقي أرضاً من قبل الترك الذين كانوا كثرة كثيرة

وخمسة آلاف من أوضع الناس وأدناهم قتلوا

وتبعثرت أجسادهم وتناثرت فوق البسيط.

وبطولات

ثم عندما الأعداء داخل المدينة

علموا أن رجالنا قد ألحقت بهم الهزيمة

امتطوا ظهور خيولهم العربية

٣٠٤٠ — وساقوا نحو الأمام، وانقضوا على قواتنا

بسرعة هائلة وباندفاع شديد

وكان مقدراً لهم سحقنا

لولا أننا قاتلناهم بعزيمة وصددناهم؛

فقد صمد رجالنا أمام الحملة الحادة،

وفعلوا أفاعيل طيبة، وضربوا ضربات جبارة

وأجادوا التعامل مع أعدائهم المبعوضين

وقاتل الملك ببسالة وجودة
أعني الملك غي ،الذي سمعتموني عنه أتحدث.
ومثله أجاد الفعال غيوفري دي لوزغنان
٣٠٥٠ — الذي عانى وتألم كثيراً أثناء هذه المخاطرة
وجاك دي أفس،الجريء،الذي يده
صنعت أفاعيل جبارة في البلاد
والآخرون أيضاً،قاتلوا وناضلوا جيداً
حتى تمكنوا من صد الأعداء وردهم الى عكا.
الصلبييون يخذقون حول أنفسهم
هكذا حدث في ذلك اليوم ونزل بنا
عندما الحظ أشاح بوجهه عنا.
وتجددت أفراح المسلمين وزال الكرب عنهم
(الرب يلعنهم وأنا ألعنهم أيضاً)
لأنهم آذوا هنا وأهانوا
٣٠٦٠ — جنودنا الفرنجة،وشددوا الضغط
وأغاروا على رجالنا وهزموهم أكثر من ذي قبل.
وعندما وقع هذا،وصار قادتنا واعين
لما حدث،تحدث البارونات بحكمة وقالوا:
«أيها السادة،قليلاً من المرباح مانلناه.

دعونا نبدع نوعاً من التكتيك، يكون جيداً
لصد أبناء الشيطان هؤلاء وإبعادهم
الذين طوال النهار فرضوا علينا الإذلال
ويستولون على خيولنا ويسرقونها في الليل»
وكان هذا هو القرار الذي

٣٠٧٠ — اتخذوه: لقد أمروا بخندق هائل

أن يحفر عميقاً—وأن يكون عريضاً وواسعاً—
وأن يقام الكثير من الستائر الدفاعية الى جانب
الخندق، وحواجز خشبية وترسة
وهكذا قسموا مساح العمليات وفصلوها
لكن المسلمين تابعوا التحرش
برجالنا، ولم يدعوهم ينعمون بالراحة
أجساد الموتى تلوث المياه

اسمعوا الآن عن اضطراب عظيم

نجم عن المقتلة التي أنزلت

بالفرنجة، المسألة التي أنا عاجلها

٣٠٨٠ — للتو، عندما هزموا هزيمة ساحقة.

وفي اليوم الذي جاء تاليا

لكوارث ذلك العراك الهائل

عندما جميع نخبة الحشد سحقوا وتمددوا
أرضاً، وقواهم زالت وتبددت
وعندما كثير من فقراء الناس الذين أخفوهم
هناك خدمة للرب وطاعة، ماتوا؛
أمر صلاح الدين بجثة كل مقتول
أن ترمى في مجرى ماء
عكا، وبذلك أعيدت رسالة إلينا
٣٠٩٠ — ولقد كان منظراً مرعباً جداً

الأجساد، طافية، ثم قذفت
إلى الشاطئ بوساطة تيار الماء، فصارت بين الناس
وازدادت أكوام القتلى وتعاظم حجمها، ومنها
جاءت روائح نتنه وامتلاً الجوبروائح الأجساد المتفسخة
ولهذا هرب الجيش كله من هناك
حتى تم دفن القتلى، ومع ذلك
حتى بعد مضي وقت طويل توجب تجنب
النتن الصادر عن التفسخ

حرب الخنادق

أكمل الجيش الفرنسي الآن حفر
٣١٠٠ — الخندق الذي أفاد بمثابة حاجز

لحماية الجند ووقايتهم، عندما
يقاتلون من قبل قوات المسلمين
الذين هاجمهم في كل يوم، سواء
أكان المناخ ملتهباً أم قارصاً.
وحول الخندق جرت المعارك القتالية
بين رجال الرب وقطيع الكفار
وتركزت جهودنا في سبيل بقاءه
في حين ناضلوا من أجل طمه وتدميره.
ولهذا كان من الممكن لكم أن تروا في تلك البقعة
٣١١٠ — خمسمائة ألف نشابة وأكثر
حملها حفرة الخندق وناولوها هناك
إلى الذين قاتلوا دفاعاً عنهم،
وكان بإمكانكم أن تروا على كلا الجانبين
رجالاً ذوي شجاعة عالية وقلوب صامدة
وكان يمكنكم رؤية رجال يسقطون، ويتدحرجون تحت
الآخرين، ويتمزقون، وأطرافهم تتبعثر.
ووجهت ضربات شديدة وتبدلت خلال القتال
الذي لم يتوقف حتى حلول الظلام.

نزول الحجاج الى اليابسة

فيما بين الوقت الذي تولى فيه الحشد الأول
٣١٢٠ — إلقاء الحصار على عكا القائمة على الشاطئ

والاحتفال المقدس في يوم عيد جميع القديسين

إنني أعلم، وغالباً ما سمعت يقال

أن رجالاً قدموا الى هاهنا بلا انقطاع

كل واحد منهم مستعد لتقديم العون.

وجاء كونت فيرير، الذي بواسطته (وليم فيرير، إيرل دبري، وصل في ١١٨٦ ومات في ١١٩٠)

أكثر من مائة تركي واجهوا حتفهم

وكان رامياً بارعاً الى أبعد الحدود

حتى أنه لم يوجد من كان أسرع منه في رمي النشاب

وغني دي دامبير جاء، وهو الرجل

الذي امتلك قلاعاً جميلة، مبنية بالحجارة (في شامبين في فرنسا) ٣١٣٠ —

وجاء أسقف فيرونا (أدلرادو كاتانيو - أسقف ١١٨٨ - ١٢١٤، كاردينال ١٢١٤ - ١٢٢٨)

الذي كان جيداً وامتلك شهرة عالية.

وجميع هؤلاء الناس الذين جاءوا الى هاهنا

كانوا شهداء، ومعترفين أيضاً.

ذلك أنني يمكنني التجرؤ بالقول بأن هؤلاء بيسر عظيم

عانوا من شهادة مأساوية

مع تيقظ مستمر ومع رعب دائم
وإنهاك بلا نهاية، ليلاً ونهاراً
لأنهم لم يتجرأوا على الاستراحة، كما لم يكن بإمكانهم
التوقف للحظة واحدة عن العمل — ٣١٤٠

حتى اكتمل الخندق كله تماماً
وهو الذي شهد كثيراً من البراعات الدموية
وصول اسطول اسلامي من مصر
قبل يوم من عشية عيد جميع القديسين
وقعت هناك واقعة سببت الأسى
للحشد، وتعاسة مدهشة
ومؤلة جداً ومأساوية.

فيما العساكر الفرنجية منحنية
تحت وطأة ثقل اليقظة بلا توقف
والذين تمركزوا على ظهر التل
— ٣١٥٠ — حولوا أنظارهم باتجاه حيفا.
فأرأوا اسطولاً عملاقاً قادماً من هناك
مكوناً من غلايين مسلحة أعينهم قدمت لها التحية.
وجاء هذا الاسطول من مصر
التي ناضلت مع عكا بوحدة وانسجام

وتحرك الاسطول بنظام حسن
وأخباره على الفور
انتشرت في أوساط الجيش الفرنجي
وحكت كيف أنه قادم بسرعة وبجرأة.
وهناك كان بينهم بعض من اعتقد-
٣١٦٠- مع أن مامن واحد في الحشد عرف شيئاً مؤكداً-
أنه كان اسطولاً بيزياً، واعتقد بعضهم
أنه جاء من جنوى،
أو من البندقية، أو من صقلية
لتقديم العون لهم لنيل نصرهم
ولاقتحام البلدة. وفيما هم هكذا يخمنون
ازداد اقتراب الغلايين أكثر
ثم ازداد أكثر، وبرهة قصيرة
شقوا طريقهم الى داخل ميناء
عكا. وقبل أن يصلوا الى البلدة
٣١٧٠- جعلوا إحدى سفنتنا ملكاً لهم
وكانت محملة بالجنود والمؤن
وبسرعة ساقوا غنيمتهم
الى ماوراء حواجز المدينة، ثم

استولوا على الميرة، وقتلوا الرجال

عمل تركي مروع

واستمعوا الآن أنتم الى أخبار الأعمال الخبيثة
التي اقترفها بحق ربنا هؤلاء الترك الساقطين.

في يوم العيد المبجل

عندما تذرّف الدموع التقيّة بغزارة.

ففي اليوم الذي نحتفل فيه بالعيد

عيد جميع القديسين الذين باركهم — ٣١٨٠

في السماء ، أولئك التعساء المرغمين

الذين علقت أجسادهم على أسوار عكا في أعاليها

إنها أجساد الفرنجة الذين أخذوا

من داخل السفينة وبدناءة قتلوا

ويمكن للوعاظ أن يعلنوا بكل تأكيد وأن يصرحوا

أن مثل هؤلاء لهم نصيب

في المباركة السرمدية التي تبرز

ما سواها ، وإنها بلا نهاية

تبريكات هؤلاء الذين اليهم نقدم

— ٣١٩٠ — التبجيل في ذلك اليوم المقدس

بناء آلات الحصار

هذا الاسطول الذي سمعتموني عنه أتحدث
تولى حراسة الميناء والطريق بشكل جيد
ضد رجال الرب ، وبحراسته
للطريق والميناء كلاهما منعاً
وهكذا ما من نجده بات بإمكانها أن تصل
الى الذين في سبيل ربهم ناضلوا
ونظراً لحلول الشتاء

لم يكن لديهم ميرة ولم يتمونوا
وحفروا خندقهم ، لكن بوساطة القوة
البرية ، طم فيما بعد مجدداً

— ٣٢٠٠ —

وصنعوا في ذلك الشتاء برجاً خشبياً
ومجانيقاً وآلاتاً لرمي الحجارة الكبيرة
وقلاعاً متنقلة ، وسواتراً ، ودروعاً كبيرة وقوية
وبذلوا في سبيلها جهداً عظيماً وطويلاً
وفي الوقت نفسه العمال في الجهة المقابلة
وكان عددهم ثلاثين ألفاً، حصنوا
البلدة بأبواب وأبراج أيضاً
وبعراوات ثابتة وجديدة

لقد صنعوها قوية جداً وعلى درجة عالية من الثبات

٣٢١٠ — الى درجة يمكنهم فيها ردّ العالم كله وصدّه .

وصلاح الدين الذي لم يدخر جهداً حتى

لا يفقد المدينة ، أقام هناك

عدداً كبيراً من المجانيق ، ومخزناً عظيماً

لحجارة الرمي ، ولآلات الحرب

وكثيراً من الحرفيين ذوي أيدي رشيقة بارعة

من الأجانب ومن أهل بلاده

وجراراً مليئة بالنفوط ، لا تعد ولا تحصى

وكميات هائلة من الأسلحة الفتاكة

الى درجة — كما علمنا فيما بعد وعرفنا —

ما من مدينة قط أو قلعة

٣٢٢٠ — حوت سلاحاً كثيراً جداً وجيداً مثلها

أو مثل ما كان فيها من كميات عظيمة من الميرة والطعام

وهكذا مرّ الشتاء على هذه الصورة

حتى الربيع الحلو جاء أخيراً.

ووقتها — حسبما عرض أمبروز

الحكاية — في أثناء الصيام

استخدم الجنود الألمان براعتهم

لبناء أول طاحون هوائية

عرفتها سورية

٣٢٣٠ — بينما حذق الملعونون من الرب من داخل البلدة وراقبوا

ما كان يجري فأصيبوا بالخيرة

وامتلأوا بالرعب وبالخوف .

الأسى بسبب وفاة فردريك بربروسا

والآن الى جيش الرب الموجود هنا

جاءت أخبار في البداية كانت جيدة

لكن فيما بعد كانت محزنة جداً

غير مرحب بها ، ومرعبة ، ومؤلمة :

امبراطور ألمانيا

رجل جيد ، مع حشد قوي

زحف نحو الضريح المقدس براً

٣٢٤٠ — ليلتمس النعمة من يد الرب .

قد توفي ، وكانت تلك خسارة مؤلمة

عند نهر بزل جهد لعبوره

عبر مخاضة غير معروفة وغير مجربة

هكذا إرادة الرب فعلت وقررت .

وعندما الذين في داخل عكا

تلقوا هذه الأخبار كانوا مسرورين جداً
وما عادوا يفكرون بشيء آخر مطلقاً ، لقد قرعوا
الطبول وقفزوا ورقصوا في الشوارع
واندفعوا نحو أبراج المراقبة واعتلوها
—٣٢٥٠— هناك ، وإلى رجالنا ألقوا

بالأخبار التي سمعها صلاح الدين
وأعطاهم لهم ، كلمة فكلمة .
وأعلنوا من فوق أعالي الأسوار
وصرخوا الينا بأصوات عالية وخافتة
وشتائم تكفير أرسلوا الينا ، ومجمعين
قالوا لنا : « امبراطوركم قد غرق »
ثم بدأ جيش الفرنجة يبكي وينوح ،
واستبد الحزن برجاله ، واستولى عليهم يأس عظيم
وشعروا بكآبة كبيرة وبأمل صغير للحملة الصليبية
—٣٢٦٠— باستثناء الأمل بالعون القادم

ومع استثناء الوعود بالصمود
وفي أوساط الجيش انتشرت أخبار حول
اقتراب وصول الملوك العظماء الآن
الى البلاد ، وحول سيدينا القويين العظميين

ملكي انكلترا وفرنسا
اللذان جلبا التفرج والعون فيا بعد :
وبهذا اطمأن الحشد وشعر بالراحة .
وصول اسطول فرنجي من صور
انتبهوا ، انتشرت الأخبار الآن
بعد عيد الفصح بوقت قصير
٣٢٧٠ — وتحدثت عن اسطول كبير كان على طريقه
من صور ، وما لبثت الأخبار أن وصلت الى الميناء
ثم لكم أن تتخيلوا حشداً كثيفاً
من النمل ، أخذ يتدفق من عشه
عبر كل بوابة ، من الأمام ومن الخلف .
من داخل البلدة ، لدى سماع النفير
تدفق الترك إلى خارجها ، مثلهم مثل سرب جراد .
عشرة آلاف رجل مسلح ظهروا للعيان ،
مُغطين ، هم وغلايينهم أيضاً ،
بالسجاد ، وبثياب من خالص
٣٢٨٠ — الحرير ، وبالقباطي والمخامل .
و ضد الاسطول أبحروا متقدمين
الاسطول ، الذي أسرع أمام الريح

شمالية، وتقدم مثل لمح البصر نحو الرصيف
حيث الآخرون انتظروا ليصدوا
الحملة . وباندفاع فعال

تقدمت كل قوة نحو الأمام للاشتباك
وانقضت كل واحدة على الأخرى
وتقاتلنا بشجاعة قصوى وبشكل جيد
وكان تحت إمرة مركز صور

٣٢٩٠ — خمسين مركباً مسلحاً ومشحوناً برجال
مع معداتهم كلها كاملة

وهؤلاء تحركوا ضد الاسطول التركي

وهزموا اسطول المسلمين

وكان بإمكانكم أن تروا هناك كثيراً من الرايات
ورجالاً عليهم سيماء الشجاعة والثبات
ذوي سرعة جاهزين لأعمال الفروسية ومغامراتها
وأطلق الأعداء في البداية جروحهم .

وهكذا الاشتباك والقتال بدأ

الذي ما لبث أن احتدم بين الاسطولين
والآن القوم الجبناء من أمثال :

٣٣٠٠ — البياضة والجنويين

جرى اقتحام سفنهم وبوارجهم
من قبل رجال يحملون القسي العقارة والترسة
وحصلوا على مقربة من رجالنا
ثم شرعوا يرمون بالنشاب وبالجرّوخ
حتى رددنا اسطول الترك الى الخلف
واستولينا إثر قتال عنيف ، على
غليون ، جلبناه الى الميناء
وكان بإمكانكم سماع أهازيج عالية
كما كان بإمكانكم رؤية فتيات وزوجات

٣٣١٠ — يحملن في أيديهن سكاكين كبيرة

ويمسكون الأتراك من شعورهم ومن ضفائيرهم
وينزلون بهم آلاماً مبرحة
ومن ثم يقطعون رؤوسهم ويحملونها
عالياً عائدين منتصرين الى الشاطئ .
وعلى الاسطولين ظلت المعركة
مستمرة ، وكان كل واحد منهما يتقهقر
ثم نحو الآخر يتقدم
ثانية ، وكلاهما رميا بالنفوط
وكلاهما احترق ، وكلاهما تراجع لإطفاء

٣٣٢٠ — اللهب ، وعندما صدمها بعضاً
قاتلا واصطربا بشجاعة منقطعة النظر
حتى سيقا الى داخل الميناء
ما من انسان قط شاهد
معركة كانت على هذه الشاكلة

وقاتل الأتراك من جهة البر
وكان حشدنا المحاصر حشد
الرب هو الذي دفع الثمن الغالي جداً
لأن الأتراك كانوا أكثر عدداً
كانوا كل يوم أكثر غضباً
وقد امتلأوا بحقد عظيم وخشية
أن يخسروا سفنهم في القتال
٣٣٣٠ — وعليه بينما القتال كان محتدماً

في البحر ، أقلعوا بهجوم حاد
على خندقنا، حتى أن مامن واحد بين
الفرنجة، عالياً كان أودانياً، أو شاباً
أو عجوزاً، وإن كان ذا شهرة وثبات
في الحرب، لم يستطع حماية نفسه، من دون بذل
جهد عظيم، من الترك الذين اقتحموا

الخنديق، لأنهم مثل الذباب احتشدوا
مستخدمين كل ما امتلكوه من وسائل

٣٣٤٠ -

لطم الخندق وتدميره

وكان بإمكانكم أن تروا هناك كل السهل

مثل حقل قمح حديث النضوج

من هاهنا إلى بدايات التلال

مغطى ومظلم بعشائر

الترك، التي بدون توقف نحو الأمام تقدمت

بدون لحظة توقف أو راحة:

وإلى عمق الخندق رجالها اندفعوا

بشكل كثيف جداً، حتى أنهم سقطوا وسحقوا

بعضهم بعضاً. رجال سود يتصببون عرقاً

كانوا هناك، إلى الرب مبغوضين

وإلى الطبيعة، يرتدون على رؤوسهم قلانس حمراء:

وحوش، أو أكثر قبحاً

الرب لم يخلق قط، وكانوا كثرة كثيرة

وكانوا همجاً لا يعرفون الرحمة.

وبدوا وهم يتحركون بشكل مخيف

وعلى رؤوسهم قلانس حمراء عالية،

مثل أشجار كرز ممثلة بالحبوب الناضجة.

ومزيد من الترك كانوا مع هؤلاء—

خمسمائة ألف رجل هناك اجتمعوا،

—٣٣٦٠— حسبما قيل. ومن المدينة حمل وتقدم

الترك الآخرون، وكانت أعلامهم تخفق

في الأعالي. وعلى كلا الجناحين حملوا على

رجالنا، وكان المعترك مميتاً جداً

إلى حد أنه أثناء النهار، مراراً

كان جند الفرنجة في حالة شك لا يدرون

هل يمكنهم المناورة لكي يصمدوا.

لكن الفرنجة كانوا المنتصرين

الأعداء، الذين على رؤوسهم قلانس حمراء

كان لديهم راية واحدة حولها التفوا جميعاً

إنها كانت راية محمد (صلى الله عليه وسلم)

—٣٣٧٠— تحمل على رأسها تمثالاً (كذا)

فباسمه جاءوا إلى هاهنا

ليسحقوا الفرنجة ويدمروهم

وقاتل القوم الأوغاد والأشرار وحاربوا

مستخدمين أحجار كبيرة كانوا قد جلبوها.

هكذا كان القتال الذي بصعوبة بالغة قاتله

حشدنا على الجانب البري.

في حين القتال في الجانب البحري

استمر حتى حلول الظلام،

لكن، برحمة الرب، أخيراً

نال اسطولنا النصر — ٣٣٨٠ —

لأن فريقاً من البارونات، يوماً تلو يوم

اتفقوا ورتبوا أن يتناوبوا

فيما بينهم في السفن، وكانوا فريقاً تشكل

من رجال شجعان جداً، ومسلحين بشكل جيد

وقد قاتلوا بشجاعة، وبموارد وبدهاء

ودفعوا برجال العدو وهزموهم بالقوة في

داخل سلسلة الميناء، وهكذا

تمكن اسطولنا من إلحاق أضرار بالغة جداً

في داخل أسوار المدينة بين

الترك — ٣٣٩٠ — ثم ماذا، أربعين ألفاً أشداء —

لم يعد بإمكانهم التقدم والخروج أو الحصول

على العون من البر أو البحر

وبما أن موارد أطعمتهم أخذت تتناقص

عرفوا مجاعة شديدة وضيقاً عظيماً
الصلبييون يهاجمون الأبراج

في خميس الصعود
أثناء مسيرتنا المقدسة
في ذكرى كيف أن ربنا صعد إلى السماء
وحسبها جاء في نص مقدس صادق أعطي لنا
باسمه الذي نحن نعبد، جميع
٣٤٠٠ — رجالنا سوف بسرور يقتحمون أسوار عكا
ضد الأعداء امتلكنا ناراً اغريقية
وأبرجة مغطاة بالحديد وبالجلود بشدة
وكان هناك ثلاثة من هذا النوع، ذوات حجم هائل
بنيت من قبل ثلاثة نبلاء بالتعاون المشترك:
المركيز مع الجنويين
الللغريف، والملك غي، كانوا هناك
وعندما حان الوقت للاقلاع
بالهجوم، كان هؤلاء النبلاء الثلاثة في
أبراجهم، وإلى الأسوار فوق
٣٤١٠ — المدافع تسلقوا، في حين إلى الأمام زحفت
عساكر الرب، وواجه الهجوم دفاعاً قوياً

من الذين كان لديهم قليلاً من الصمود
والذين دافعوا بثبات وشجاعة
جعلونا ندفع ثمناً عالياً مقابل تعاستهم.
لم يقاتل مدافعون قط بمثل هذا الجبروت
وقاتل أطراف الشيطان هؤلاء كما يلي:
ضرب بعضهم الكوسات، وبادر بعضهم الآخر مسرعاً
للاندفاع إلى حيث توفرت الحاجة الماسة.
٣٤٢٠ — وتدافعت على خنادقنا عساكر تلو عساكر
وانقضوا عليها، وقفزوا إلى داخلها
عندما شهدونا فيها متمركزين
وهاجمونا بشدة. وهكذا توجب علينا آنذاك
خرق الأسوار، والقيام بالدفاع
وبشدة وحدة هاجمنا الأسوار لوقت طويل
من انبلاج الفجر حتى حلول الظلام.
وتوجب علينا التوقف في المساء
ذلك أن المسلمين قاوموا مقاومة هائلة
وعلى الأبراج الثلاثة رمى الأتراك
٣٤٣٠ — النفوط والمواد المحرقة وأحرقوها، وهكذا أخيراً
بالقوة توقفنا وتراجعنا. فلقد أحرقوا

الأبراج وحولوا طاقتها إلى رماد.
مجاعة في المدينة جرى التفريغ عنها
في عكا الكفار، أولاد
الكلاب عانوا مطولاً من قلة الطعام
ومع مرور الوقت، ازدادت المعاناة
وازداد النقص، وتحملوا مجاعة عظيمة
وباتوا في حالة مرعبة جداً
وصاروا قانطين بسبب العوز والمجاعة
واضطروا لذبح حيواناتهم، وأكل
٣٤٤٠ — لحومها، ورؤوسها، ورقابها، وأحشائها، وأقدامها.
وخارج أبواب المدينة ألقوا
بالأسرى من ضعفاء وشيوخ، أما الشباب
وذوي القدرة والنشاط، والمراهقين
فاحتفظوا بهم لتشغيل مجانيقهم.
وعانوا من مأساة حادة جداً
وآلام، وعوز، ومجاعة
من غير الممكن وصفها
بالتفصيل، وذلك حتى مابعد عيد القديس يوحنا؛
ثم الشيطان، حتى يجمعهم

٣٤٥٠ — بعث بثلاثة مراكب، جرى اغراقها

مع قتل كثير من الأتراك

لكنهم أنقذوا المخزونات التي ملأت

السفن. وزودهم هذا بميرة جديدة

وبهذا استردوا شجاعتهم وعلاهم السرور

وقاموا بإغارة جديدة وهجوم

وقطعوا أطرافنا من الأمام ومن الخلف

الفرنجة يستدرجون بحماقة إلى هزيمة

وجاء يوم كلف غالباً

رجال الحشد المكرس للرب:

وكان هذا اليوم عيد القديس يوحنا (الصحيح عيد القديس جيمس ٢٥ — تموز)

٣٤٦٠ — لكن الشيطان، الذي لم يوقف قط

أعماله، كان قادراً على ارهاق

الجيش وانقاص عدده.

أنا كذبت، إنه لم يكن الشيطان.

الرب قضى الأمور هكذا، هذا ما عرفته،

لأن إرادته قضت بالحصول

على مزيد من الشهداء لمملكته العلوية.

خيرة السير جنديّة ونخبهم

أحسن مارؤي من الرجال وماسوف يرى على الاطلاق
أولئك القوم المساكين، الذين كان نصيبهم المصاعب
٣٤٧٠ — انطلقوا بدون حراسة كافية.

لقد استهدفوا وضع حد لشقائهم وآلامهم،
وأعطى الجيش الناس قليلاً من الراحة.
كانوا عشرة آلاف رجل جيدي التسليح
الذين انطلقوا، وكانوا جميعاً في نظام حسن
وساروا على شكل وحدات شديدة الاتصال
ببعضها، في سرايا وأفواج
ونحو خيم الأتراك توجهوا
وإليها قصدوا، وعليها جهودهم ركزوا.
وعندما الترك رأوهم قادمين مباشرة
٣٤٨٠ — نحوهم، لم يتجرأوا على الانتظار.

ووصل رجالنا، والأفضل من جميع
ما وجدوه هناك تملكوه
لأنفسهم، وبهذا باتوا مثقلين بالأحمال
وبذلك باتوا صيداً سهلاً للأتراك
الذين بسرعة انصبوا عليهم وانقضوا
وبذلك سبعة آلاف رجل، لابل أكثر

١٤٢٠ -

تركوا، وكانوا بدون حماية
فيما عدا بعض الفرسان الذين سارعوا إلى هناك
لكن لقلة عددهم، عبثاً بددوا جهودهم
٣٤٩٠ - وهكذا جميع الرجال قتلوا
وإنه هناك مات ثوريل دي مسنيل
الذي قاتل بشجاعة وغيره
ولقد بكيناه، وعم النواح والأسى
الحشد كله، وعدد كبير إلى جانبه.

الفصل الرابع

هنري أوف شامبين يجلب النجديات

على حشد الرب، المسلمون
قاموا بكثير من الحملات الجريئة، وانقضوا،
والرب، من خلال جماعته
عانى هناك من كثير من الانتكاسات.
الرب وضع شعبه أمام الاختبار
٣٥٠٠ — ومثلما امتحن القديسين، بارك هؤلاء
الذين تحملوا كثيراً من المحن
مثلما في القرن الذهب يمتحن.
وهؤلاء الرجال الذين إلى المخلص قدموا
أنفسهم، عانوا من كثير من المصاعب
ووسط هذا كانت المعاناة المرة
انتبهوا، لبارونات فرنسا.
شرعوا في آب، عندما الوقت
كان موائماً، قبل صقيع الشتاء
وإلى هناك جاء الكونت هنري أوف شامبين

- ١٤٢٢ -

٣٥١٠ — مع جماعة عظيمة من الرجال
وجاء أيضاً كونت ثيبوت أوف بليوس
غير أنه لم يعيش مايتجاوز الثلاثة أشهر
وكذلك كان حال الكونت ستيفن الذي لم يعيش طويلاً
هو جاء، ثم مالبث أن مات.
وكونت أوف كليرمونت، الذي فروسيته (رالف ١١٦٢ — ١١٩١)
إلى الرب وإلى العالم بدت جيدة
وجاء كونت أوف شالون، وكان قوياً (وليم الثاني ١١٦٨ — ١٢٠٣)
ونبيلاً ثابتاً، وطويلاً، وأعطى بسطة بالجسم.
وعدد كبير جداً جاء من ذوي الشهرة الواسعة
٣٥٢٠ — تعدادهم لم يعرف قط.

معجزة

أمام عكا، في خلال ذلك المتسع حدث
أن هؤلاء الرجال المخلصين ذوي الأصل النبيل
من أجل خلاصهم هناك سكنوا
ومن أجل حب الرب، الذي شعروا به جميعاً
وقعت هناك وقائع فيها شجاعة وثبات
ومخاطرات، وحقق الرب
بقدرته كثيراً من المعجزات

- ١٤٢٣ -

تولى المؤرخون تدوين أخبارها.
وكان لدى الحشد مجانيق لرمي
٣٥٣٠ — الحجارة، وكان الناس دوماً يمشون
نحو الأمام ونحو الخلف وهنا وهناك. وقائع
هناك وقعت، وحوادث غريبة
في الساعة التي وقعت فيها، بدت
مثل معجزات، وهكذا عدت.
في داخل المدينة وفيما وراء الأسوار كان هناك
حسبها ذكر الرواة
آلة رماية للحجارة كاملة
مثلها لم ير من قبل ولم يشهد
وكانت هناك واحدة هذفت بشكل جيد جداً
٣٥٤٠ — حيث كانت تسبب دماراً كبيراً، وأينما سقطت
قذائفها كانت عن بعد تحطم
آلاتنا، ومعدات الحرب لدينا
لأنها قذفت بصخور كبيرة جداً
طارت كأنها على أجنحة حملت
وأنها احتاجت إلى قوة رجلين
لشد وترها ومد ذراعها، هكذا قال الكتاب

- ١٤٢٤ -

وعندما أرسلت القذائف بسرعة
ضربت الأرض التي عليها نزلت
وغطست القذيفة في الأرض
٣٥٥٠ — مقدار قدم عمقاً، وهناك وجدت.
هذه الآلة نفسها هي التي ضربت
رجلاً على ظهره. لاحظوا
أن شجرة خشب لم تستطع قط
أو عمود من الرخام أن يصمد
أمام مثل هذه الضربة، إلا وكان سينشطر إلى قسمين
فقد طارت القذيفة بشكل مستقيم وكانت قاسية.
لكن الرجل لم يعرف حتى
أنه قد ضرب. فالرب هكذا أراد.
ويحتاج الانسان إلى وجوب الايمان بالرب
٣٥٦٠ — الذي يمكنه تحقيق مثل هذه المعجزة.

القوة المنقذة لكتابة مقدسة

مع مضي الوقت بخطواته على الطريق
حدثت حوادث كثيرة.
ففي الوقت الذي تحول فيه نيسان إلى أيار
حدث حادث كان مغامرة عجيبة

- ١٤٢٥ -

مع سيرجنت كان في الحشد
الذي اتخذ موقعه في الخندق
وقد ارتدى سابعة من الزرد على رأسه وصدره
وصدرية مطرزة بشكل غني لبس
وواحد من الأعداء ممن ازدري اسم الرب
٣٥٧٠ — حدد هدفه من وراء فتحة الرماية

وأرسل بجرح سريع من قوسه العقار
فأصاب رجلنا إصابة كاملة على الصدر
وقطع الزرد، وخرق الصدرية أيضاً
ثم نفذ من خلال الدرع.

وحول رقبته السيرجنت ارتدى،
حمداً للرب، تعويذة أنقذته من مصائب
سوء الحظ، لأنه كتب عليها

اسم الرب، وأكد الذين شهدوا
أنهم رأوا بشكل واضح كيف أن الجرح

٣٥٨٠ — انحنى عندما ضرب هذه التعويذة.

أعمال الرب حكيمة: أولئك الذين
يحميهم لا يحتاجون إلى الخوف من أي عمل شرير.

مفارقة غريبة

مع مضي الوقت بخطواته على الطريق
حدثت حوادث كثيرة.

في أحد الأيام حدث خارج
الخنديق أن كان فارساً مشغولاً
بالاستسلام لحاجة طبيعية

شعر بها كل مخلوق حي.
وفيما هو منحني نحو الأسفل ليطنفئ
حاجته ولينال الراحة

واحد من الترك من الساقة
هو لم يوله أدنى اهتمام

ساق نحوه بسرعة كاملة
وكان هذا عملاً جباناً وذنيباً

يقترب بحق فارس غير منتبه
لانشغاله بمثل ذلك الأمر.

وخلف الساقة وابتعد عنها

وامتطى فرسه، وشرع رحمه، وسدد

نحو الفارس، عازماً على قتله

٣٦٠٠ — عندما رجالنا بدأوا يقولون

وبأصوات عالية يصرخون: «خذ حذرک، یاسیدی خذ حذرک».

ولم یکد یمتلك الوقت ليقوم

لکنه تدبر الوقوف على قدمیه

وترک واجبه دونما اکمال

وأسرع العدو بقدر ما استطاع حصانه

وحمل ظانا أنه سيلقيه أرضاً

لکنه أخفق، حمداً للرب، لأن الماهر

والرشيق، أي الفارس قفز جانباً.

وتناول في كل يد حجراً

٣٦١٠ — (اسمعوا كيف ينتقم الرب لأتباعه)

وعندما عطف التركي حصانه

ونحو الفارس حول اتجاهه

أخذ الأخير حذره الكامل منه

وعندما التركي نحوه جاء

صكه، تماماً مثلما كان قد خطط

بحجر كان يحمله بيده

تحت خوذته، وعلى رأسه:

فوقع التركي في مكانه ميتاً.

ثم تناول الفارس بيده مقود

٣٦٢٠ — فرس الرجل الذي قتله

ثم إن الشخص الذي حكى
القصة لي رآه يمتطي الفرس
هناك، ويركب عائداً إلى خيمته
وقد احتفظ بجائزته برضا عظيم.

امرأة بطلة

مع مضي الوقت بخطواته على الطريق
حدثت حوادث كثيرة
ومجدداً حدثت هناك حادثة
محاسنها علينا حكايتها بعناية.

كان عدد الرجال كبيراً الذين هاجموا

٣٦٣٠ — الأسوار، ومرات كثيرة أخفقوا.

وبعضهم حتى يطم الخندق، جلب كميات
من الحجارة، حملوها بحماس واندفاع
بينما بخيول الحرب وبيغال التخميل
ساعدهم البارونات، حسبما قضى القانون؛
وكثير من النسوة حملن حصصهن
وكن مسرورات في حمل الأثقال.
وشعرت امرأة بمتعة خاصة

بالعمل في هذا المجال.

وواحد من رماة المسلمين من وراء

٣٦٤٠ — الأسوار رأى هذه السيدة مشغولة

بوضع حملتها أرضاً، وعندما

أرادت الانتصاب ثانية والوقوف

أطلق عليها رمية، أصابت

هدفها، فوقعت إلى الأرض.

وأصيبت السيدة بجرح مميت

وكل الناس بسرعة

تجمعوا حولها، حيث انبطحت

فريسة آلام مميتة.

وجاء زوجها على الفور، وعندها

٣٦٥٠ — للسيدات والرجال الجديرين دعت

دعاءً مهيباً وصلت، ورجت

من أجل الرب ومن أجل خلاص أرواحهم

أن يستخدم جسدها لطم

الخنديق، حيث بإرادة طيبة

عملت. ذلك أنها لن تقدم

جسدها إلى أي مصير آخر.

وحملت هناك بحزن وأسى
حيث الرب أخذ روحها بعيداً
وحسبها تقول الحكاية، مامن انسان
٣٦٦٠ — قط عليه أن ينسى مثل هذه المرأة
عقوبة تنال أميراً
مع مضي الوقت بخطواته على الطريق
حدثت حوادث كثيرة
وحدثت هناك مغامرات بأعداد كبيرة
أثناء الحصار، هي لم تكن واحدة، بل عشرين
وأكثر، لكنني لأستطيع تذكرهم، أو تعدادهم جميعاً.
في أحد الأيام جاء متقدماً من عكا رجال
فوج تركي، رأوا رجالنا انشغلوا في العمل
على الاحتشاش وجمع الأعلاف، التي احتاجوها
٣٦٧٠ — وابتغوها في الحرب من أجل خيولهم
وقادهم أمير من البلدة
رجل عظيم وصاحب شهرة عالية
بقوته وشجاعته معروف ومشهور
بهاء الدين قراقوش كان اسم هذا الأمير
البارونات الذين أشرفوا على توجيه الرجال

توجهوا ضد المسلمين.

وتعرض جيشنا في ذلك اليوم إلى ضغط شديد

لأنه لم يملك ما يكفيه من الحراسة

ذلك أن عدداً كبيراً منه ذهب للاحتشاش

٣٦٨٠ — وجمع الأعلاف، الأمر الذي جعل الحشد ضعيفاً،

وآل بهم الحال إلى وضع مخيف بسبب القتال الحاد

الذي ضرباته نزلت بهم من الأمام ومن الخلف

.....

ومع ذلك رجالنا ردوهم

باستثناء الأمير، الذي تخلف

وبذهنه هدف واحد :

فقد كانت أعلى رغباته

احراق آلات الحرب بالنار

وأراد الوصول إليهم وصمم

لأنه حمل بيده قارورة مليئة

بالنفط، وهو قد استهدف

إلقاء النار في الآلات لاحراقها

وعندها فارس من الفرسان طعنه

وكان عازماً على انزال عقوبة لاثقة به :

وتمدد التركي على الأرض
وتدققت نفوطة المهلكة وانصبت عليه
من القارورة التي انقلبت
وهكذا احترقت أعضاؤه التناسلية،
ومع أن الرجال الذين كانوا معه كانوا راغبين
٣٧٠٠ — باطفاء النار، عبثاً الجهد الذي بذلوه .

جزاء التدنيس

مع مضي الوقت بخطواته على الطريق
حدثت حوادث كثيرة
وغالباً ما حدث وما وقع
أن عساكر الكفار—
الذين ضد ارادة الرب احتلوا
البلدة — صعدوا إلى أعلى الأسوار،
ومن الكنائس هؤلاء الرجال غالباً ما
جلبوا صلباناً، رفعوها عالياً،
وعاملوها بدناءة معاملة سيئة
٣٧١٠ — وبصقوا عليها، ودنسوها، وضربوها
ليظهروا الحقد الدفين الذي حملوه
نحو الايمان المسيحي : الذي لا يزدرون شيئاً أكثر منه .

- ١٤٣٣ -

وفي أحد الأيام بدأ تركي بضرب
صليب خشبي كان قد وجده
وعلى الأسوار رفعه لقيمة .
وضربه بحقارة وقلة احترام
ولم يقتنع بهذا كله بل
رغب في تدنيسه والبول عليه
وكان هناك راميا بالقوس العقار جيداً، ولكي يوقفه
٣٧٢٠ — عند حده، أوتر قوسه العقار

وشد الوتر ووضع الجرخ بثبات وإحكام
راغباً بالانتقام من عمل الإهانة والمراغمة هذا
ونحو التركي الذي دنس الصليب،
رمى، وبما أن تهديفه كان جيداً
نحو بطن التركي طارت مسرعة
الرمية وخرقت أحشاءه ونفذت .
ووقع ميتاً وساقيه مرفوعتان نحو الأعلى،
وحدث هذا ورفاقه على مقربة منه يحدقون
بغضب، وهكذا انتقم الرب للشر الذي
٣٧٣٠ — اقترف بحق صليبه ولتدنيسه .

منازلات

مع مضي الوقت بخطواته على الطريق
حدثت حوادث كثيرة
وحدثت في أحد الأيام مغامرة
عنها سيتحدث أمبروز في كتابه :
جاء تركي متقدماً، عازماً على اطلاق
جروحه نحونا، وما كان ليتراجع
ورجل ويلزي صاحب شطارة وبراعة
انطلق لينازله رمية برمية .
وكان اسم الويلزي ماريدوك Mariduc
ولم يكن ابناً للملك أولدوق
وكان المسلم يدعي جرير
وكان رجلاً قوياً، وثابتاً، وبلا خوف .
والآن بقوسيهما انطلق كل منهما نحو العمل .
وأطلق التركي نحو الويلزي، ورمى الويلزي نحو التركي .
وأراد التركي أن يستوضح ، وسأل
من أين جاء الويلزي، ومن أي بلاد .
ورد عليه رجلنا قائلاً: «أنا قدمت من ويلز،
وأنت كنت أحقاً بالخروج والقُدوم»،

وقال التركي: «إنك ترمي ببراعة،
٣٧٥٠ — فهل لك أن تتبارى معي وتتبارز؟
دعني أرمي أولاً، وتقف حيث أنت
بدون حراك إلى أي جانب من الجوانب.
وإذا أخطأتك، أنا سوف أقف
وأنتظر، ولن أتحرك نحو أي طرف من الأطراف».
وباستمرار وباللحاح ناشده
حتى وافق الويلزي أخيراً.
وبناء عليه سدد التركي نحوه ورمى
لكن سهمه انزلق، وهكذا لم يصبه.
وقال الويلزي: «قف أنت واصطبر
٣٧٦٠ — بينما أرمي أنا» لكن الآخر قال: «لا،
دعني أرمي مرة ثانية نحوك،
وأنت بدورك يمكنك أن ترمي نحوي مرتين»
وجاء الرد من الويلزي «بكل سرور»
وفيما العدو مشغولاً
بتناول نشابة من جعبته،
وواقفاً ملاصقاً لغير المؤمن
الويلزي، الذي لم تكن له مصلحة

بمثل هذا الإتفاق ،رماه فأصابه بالقلب
وقال:«انك لم تحافظ على الإتفاق ،
٣٧٧٠—ولذا بحق القديس دينس خرقت تعهدي ».

هجوم مخفق على برج الذبان

البيازنة مع الآخرين الذين
أجادوا معرفة فن الملاحة
أقاموا برجاً على عدد من البطس
مع سلمين اثنين من ذوي الحجم الكبير،
وغطوا البرج وستره مع الأجزاء الظاهرة
من سفن حربيهم كلها بالجلود،
وهاجموا الآن برج الذبان
وعليه رموا زخات من النشاب
وقاتل رجال حاميته دون خوف
٣٧٨٠—وباعوا حياتهم بثمن مرتفع جداً

ومن غلايين البلدة
أكثر من ألفي رجل كانوا هناك قدموا
وكانوا من المسلمين مسلحين للقتال
ولتقديم العون إلى أبناء جلدتهم،
وطير هؤلاء الرجال الجروح وعدداً كبيراً من

الرماح، وقذائف حادة نحونا

وحطّموا ترستنا ورمّاحنا بعدد كبير من

الصخور الكبيرة ذوات الوزن المخيف.

والذين في البرج لم يتوانوا قط

٣٧٩٠ — في أعمال دفاعهم عندما رجالنا هجموا

ورمينا بجودة: وكثير من الرمايات سقطت

بين الأعداء الذين اعتلوا الأسوار

وكان يمكنكم أن تروا هناك الترك وهم يجهدون

للإختباء والإستتار، بينما زخات كثيفة

من الرماح تساقطت، ولحق الرجال البواسل

أحدهم بالآخر، وقاموا بهجوم حاد.

ثم جرى توجيه السلمين

ضد البرج، وهناك أقيما ونصبا

بعد جهد جهيد، ومقابل ثمن كبير

٣٨٠٠ — لأن الذين في داخل البرج رموا

بجذوع خشبية ضخمة على رجالة الفرنجة وعلى فرسانهم

الذين رفعوا السلمين هكذا نحو الأعلى

ولم يلزموا طريق الجبناء

لكنهم عاودوا القتال دوما ولزموا الصفوف

وعلى برجنا رموا بالنفوط
التي اشتعلت وسط أكوام من الحطب
وجعلت شاغليه يهبطون
وهكذا دمروه في النهاية تدميراً كاملاً.
لكن لم يكن هناك قط مذبحه كبيرة كالتي وقعت
٣٨١٠ — بين الترك الذين هلكوا في الماء
وأحرقوا برجنا احراقاً كاملاً
ومثل ذلك أحرقوا سلمينا
والسفن التي حملتهما. وهذه الأعمال
منحت السرور والراحة إلى الأتراك
الذين صرخوا بأصوات عالية عندما رأوا
إنهم تمكنوا من ارغام رجالنا على التراجع
وسخروا من هؤلاء الذين أقسموا للرب
يميناً أعني الحشد الذي كرهوه.

تدمير آلات حرب الصليبيين

وتأذى حشد الرب وتألم كثيراً
٣٨٢٠ — من هذا، لكن الرب جلب الطمأنينة
بوساطة بارونات قدموا يجلبون العون
إلى سورية من أجل الصليبيين

رئيس أساقفة بيسانكون Besancon — (تيري دي مونثوكون—ت ١١٩١)
دعونا عنه نتحدث أولاً— بناء عليه
أمر رجاله الموجودين أمام عكا أن يصنعوا
كبشاً يمكن به خرق وتدمير
الأسوار وقد كلف كثيراً ، وغطوه من كل جوانبه
بالحديد ، وشدوه شداً قوياً ، وأحكموا ربطه
من كل من الأمام ومن الخلف ، ومن الأعلى ومن الأسفل
٣٨٣٠ — ولم يعودوا يخشون من أية آلات سوف ترميه ،
لأن رئيس الأساقفة وضع في ذهنه
استخدام أحسن الأشياء من كل نوع
وبنى الكونت هنري واحداً آخر
بتكاليف عالية ، وبأقسام كثيرة
والبارونات ، والنبلاء ، والكونتات
بنوا المزيد من الآلات أعظم مما يمكن
لروايتي أن تقول . لكنني سوف أتحدث عن مصير
التي بنيت من قبل رئيس الأساقفة —
الآلة التي حدثتكم عنها أولاً —
٣٨٤٠ — عندما جهزت لخرق السور.
وبعناية بارونات الحشد

- ١٤٤٠ -

أعدوا للهجوم، وهكذا عرضوا
الآلات وأعطوا الأوامر ليقف
كل واحد آله أمام السور.
وسحب رئيس الأساقفة إلى الأمام
كبشه، الذي قرأتم للتو عنه،
الذي صنع بعناية عظيمة، وكلف غالياً جداً
وامتلك الحق أن لا يخاف
أحداً في العالم. وكان من تحته
٣٨٥٠ — حسبما قيل، نوعاً من البيوت أوقبو.

وهناك كان لابد من وجود صاري سفينة كبيرة
بدون عقد، وكل نهاية مغطاة بالحديد
وتحت الكبش كان أولئك الذين
سيتولون تسديد ضربات شديدة إلى السور
وكان بإمكانهم الشعور بأنهم أنفسهم آمنين.
والأتراك، الذين كراهميتهم كانت بلا توقف
جلبوا كميات كبيرة من الأخشاب الجافة
ثم إنهم شرعوا في رمي النفوط عليه
وبوساطة مجانيقهم تمكنوا من قذف
٣٨٦٠ — أعمدة هائلة إلى الأسفل فيما بيننا

وقطع من الرخام ومن الحجارة القاسية،
ورموا بأشجار وبجذوع ثقيلة.
ثم من مراكب كبيرة كانوا قد ملأوها
بجرار، وأباريق، وبراميل ضخمة، وحاويات، صبوا
كبريتاً، وشحوماً، وقطراناً، واسفلتاً،
وأتبعوا ذلك بعوارض خشبية، تولى
أتباع محمد (صلى الله عليه وسلم) إسقاطها، ثم بجرأة
أشعلوا النار فيها بوساطة النفوط، وازدادت ضراماً
حتى الذين في داخل الكباش، وجدوا في محتهم
٣٨٧٠ — ألا أمل أمامهم، فلجأوا أخيراً إلى الفرار.
والترك، الذين تولوا هذه المواجهة
لكباشنا، فوق الأسوار عرضوا
أنفسهم. ثم الرماة ورماة الأقواس العقارة
أرسلوا رمايات حسنة التسديد إلى بين صفوف الأعداء
ثم حصل اشتباك حاد، لم تشهدوا له مثيلاً
وكان هناك جرحى على كلا الطرفين ،
وكان بإمكانكم رؤية العديد من الأتباع الشجعان
يبادرون مسرعين للإنقاذ ، وللحفاظ
على الكباش، ولابعد الركاب والأنقاض

٣٨٨٠ — من هناك. وبامكانكم رؤية الترك يسقطون

بالبستهم البراقة وجهازهم الجميل

مباشرة من على ظهر الشرافات.

وأخيراً الرمايات من الأعلى

انصببت وتساقطت بكثافة إلى حد أنها أضرمت

الكبش وحطمت سلاحه في داخله

وشطرت جميع أطره وأطرافه أيضاً،

ومرة أخرى صبوا عليه النيران

حتى احترق الكبش احتراقاً كاملاً.

ومع ذلك كلفهم نصرهم غالياً

٣٨٩٠ — لأنهم في القتال فقدوا أميراً

ومن خيرة رجالهم خسروا ثمانين رجلاً

لكن نحن أيضاً عانينا من خسائر مؤلمة.

وهكذا انتهى القتال في ذلك اليوم،

فما من أحد كان بإمكانه ازاحة الكبش وإبعاده

وما من أحد كان يمكنه اطفاء النار:

وسخر الترك منا بصرخات استهزاء.

موت الملكة سيبلا

في نهاية آب فيما بين الثالث عشر والعشرين

مات هناك، داخل الحشد، ملكة
القدس، وإنه لأمر محزن جداً
٣٩٠٠ — أن يموت انسان وهو ما يزال في شرح الشباب
أرجو الرب أن يكون لروحها رحيماً
لأنها — كما هو معروف — كانت شجاعة
ومات أيضاً فتاتان جميلتان
كلتاهما كانتا ابنتي الملك غي.
وبموت هاتين الأميرتين
اللتان كانتا الوريثتين الشرعيتين للمملكة.
فقد الملك فيها بعد المملكة
الأمر الذي سبب له ضربة على الرأس قاسية.
معركة بحرية

جاء تشرين الأول إثر ايلول
٣٩١٠ — ومع اقتراب حلول تشرين الثاني
من الاسكندرية جاء اسطول
قوي وعظيم وبات قريباً من البلاد.
ورجالنا الذين رأوا السفن
وأحصوها، قالوا إنها كانت خمس عشرة.
وكانت هذه السفن في طريقها لجلب

العون للترك الذين كانوا يعانون
في عكا، والذين هم تحت حصار طويل
فيه شقاء عظيم، صبروا عليه وتحملوه.
وكان هناك ثلاث درمونات من أوسع الأنواع
٣٩٢٠ — جاءت تتبع الاسطول وتسير خلفه مباشرة
ومع اقتراب الاسطول من الشاطئ
أبقاهم رجال بحريتنا تحت المراقبة المتواصلة
وعندما الذين كانوا يسيرون سفنهم لمحو
سفننا، امتلأوا بالرعب والأسى.
ومع أن الاسطول كان شجاعاً، ومامن أحد يمكن أن يواجهه
لقد تمنى أن يكون في مكان آخر؛
ومع اقتراب غياب الشمس
ومع الغسق، وهبوب الريح قوية نشطة
لم يتجرأ أحد من الفرنجة على الاقدام والمواجهة
٣٩٣٠ — أو الاقتراب من الاسطول الاسلامي
لأن كل واحد فيه امتلك كل ما يحتاجه وليعمله
وللركوب وسط المخاطر والمخاوف
والآن وبينما اسطول المسلمين جاء مبحراً
بسرعة كاملة واقترب تدفعه ريح قوية مواتية

اجتاز السلسلة، لكن ليس بدون متاعب،
ليجلب العون والتفريج لأصدقائه
فقد نزلت نازلة بسفنهم ومصيبة
لم يكن بإمكانهم تجنبها، ولحقهم عار
أيضاً: فقد ارتطموا، مع تأثير خطير
٣٩٤٠ — فوق الصخور، وهناك جنحوا

وتمّ هناك فقدان اثنتان من سفنهم
ولقد قذفتا بالحجارة من قبل الحشد كله.
وانشطرت أعني السفينتان لدى ارتطامهما بالأرض،
والقسم الأعظم من بحارتهما غرقوا.
وسخر الفرنجة منهما، واندفعوا لقتل
الكلاب الكفرة لدى نجاتهم من الماء.
وجرف أحد الغلايين إلى الرصيف
واستولوا عليه عندما وصل إلى اليابسة:
ومنه استخرجوا كميات هائلة من الأطعمة

٣٩٥٠ — وجميع الكلاب الكفرة قتلوا
لكن المركب الآخر ناور حتى يجتاز
السلسلة وليسو من دون خسارة
حيث الترك انتظروا بكل اخلاص وتشوق

مع سيوف مسلطة ورماح مرفوعة
ومشاعل مضاءة من قبل الذين تولوا القيادة
ووصل المسلمون سالمين إلى الداخل.
وهؤلاء المسلمين الذين وصلوا إلى الشاطئ
ساعدوا المدافعين على استعادة
قواهم. وأبعدوا الكسالى من هناك
٣٩٦٠ — والضعفاء، واحتفظوا بالأقوياء والثابتين.

الصلبييون يزحفون نحو دعوق

في اليوم العظيم لعيد القديس مارتن
عندما موارد الأطعمة تناقصت كثيراً
استدعي الحشد للاجتماع في الصباح التالي —
باسمه الذي ولدته مريم —
حتى يتحرك ويزحف نحو أعالي الجبل
لمواجهة الأتراك في معركة مكشوفة.
وكان هناك في البداية قداس مباركة
ثم تحليل عام وغفران
من قبل رئيس أساقفة كانتبري
٣٩٧٠ — مع أساقفة آخرين ذوي مجد عظيم.
ثم لكل لورد وبارون مهمة

أعطيت لقيادة الحشد وتوجيهه.
وعندما جاء الصباح امتطى جندنا خيولهم
وأحصي هناك وجود عدد كبير من سرايا
الفرنجة المقاتلين ذوي الأهلية العظيمة
مثلهم من قبل لم يشهد أحد أبداً
انتظموا في صفوف متراصة وقوية
وكأنهم ربطوا بقوة بسلسلة أو بحبل.
وكانت مقدمة الجيش عريضة وقوية
لتصمد أمام كثير من حملات المعركة،

٣٩٨٠ — وكان في الساقة مجموعة متميزة

من خيرة الفرسان الذين نادراً ما يرى الانسان مثلهم
وامتد صفهم طويلاً وبعيداً حتى
أحدهم تسلق إحدى التلال العالية
ولو أن أحدكم رمى ببرقوقة لما وقعت
دون أن تصيب فارساً من ذوي الدروع اللامعة.
وسار الصف وزحف مباشرة نحو دعوق
ولم تكن قد فرغت من طبخ دجاجة
قبل أن بات صلاح الدين مدركاً
٣٩٩٠ — أن عليه الاستعداد لمعركة

لو أنه اختار انتظار
الفرنجة. لكنه اختار اخلاء
حصنه الجبلي في تلك الليلة نفسها،
فأزال المعسكر، وأخلى الموقع.
التوجه نحو حيفا للامتياز
وجاء إلى حشدنا الآن جاسوس
قال بأن عدونا المكروه
قد نزل من أعلى الجبل
وأنه كان منهزماً، وسوف لن يقف
حتى يغدو بعيداً جداً عنا.
٤٠٠٠ — وقمنا تقريباً باللاحاق به، وكانت تلك
مطاردة خطيرة، وغلطة
لأنه من غير الممكن هزيمته
وعندما لم تجد صفوفنا معركة وقتال
توجهت مباشرة نحو حيفا
حيث قيل فيها مخازن عظيمة
من الأطعمة، كنا بحاجة ماسة إليها.
وإلى تل كيسان وصلت الآن عساكرنا
ومن هناك اندفعت أسرع من نسر

نحو دعوق، وبدأ الترك يغضبون

فأذوهم. وقاموا أولاً بالانتشار،

٤٠١٠ — ثم عادوا، وأطلقوا رمياتهم، وناوشوهم

وضربوا كوساتهم، وزأروا وصاحوا.

وعند وقت العشاء، قام الحجاج ببناء

معسكرهم، ونصبوا خيمهم، وهناك أقاموا

ثم استأنفوا زحفهم والسير على طريقهم

نحو حيفا للامتياز

لكن الميرة لم تكن هناك

وهي التي سمعوا بوجودها بكميات هائلة

٤٠٢٠ — ذلك أن الترك رأوا من المناسب نقل

هذه المخزونات عند الفجر، عندما خرجوا زاحفين.

والآن عندما نظر الفرنجة من حولهم

كل الترك في العالم وجدوهم هناك

وبدا الأمر لهم، أنهم تجمعوا هناك

ليقطعوهم من الأعلى ومن الأسفل

ومن اليمين ومن اليسار، وكانت الأرض مغطاة

بهم هناك إلى درجة أن رجالنا ماكان بإمكانهم تحملهم

وقد رغبوا أنهم لم يكونوا هناك

ولم يكن هناك قط مثل هذا الحشد وهذا التجمع الهائل
٤٠٣٠ — واستعد جنودنا وباتوا جاهزين للقتال
وجعلوهم يتهيأون ويستعدون للنزال
لكن المسلمين، القطيع المنحط
لم يتجرأ على إنشأ القتال والحملة
على صفوف بمثل هذا الانتظام
واستدار الحجاج، وغيروا مقاصدهم
وأرادوا العودة إلى حيث جاءوا
لكنهم عانوا من الويلات ومن المصاعب
قبل أن يتمكنوا من العودة إلى خيمهم.
عودة الفرنج والتضييق عليهم من قبل المسلمين
في المكان الذي توجد فيه منابع النهر الذي مياهه
٤٠٤٠ — تجري نحو عكا، كانت هناك مقتلة عظيمة
فالقتال لم يتوقف مطلقاً، ومات هناك
كثير من الفرسان على كلا الجانبين.
وبوساطة الداوية صمدت الساقة
في ذلك اليوم ، وبوساطة رجال من قوات
ملك انكلترا :وكان بانتظار رجال الساقة
القيام بكثير من الأعمال ، وبالفعل قاتلوا بشدة .

ولو أن الرب لم ينزل قط ثلجاً ، أو برداً أو جمد المطر
أو مطراً إلا في أيار ، لما تساقط بشدة أكبر
أو انهمر ووصل الى الأرض أعظم كثافة وأسرع
٤٥٥ — من الشباب الذي انصب سواء بالسرعة أو الكثافة
على حشد الفرنجة في ذلك اليوم
قبل نهاية المعمعة .
وأخيراً ، بنظام جيد أخذوا طريقهم
عائدين ، ونحو عكا سافروا
وسار جيشنا على طرف النهر الأيسر
وسار جيشهم على الطرف الأيمن . وهكذا رتل أمام رتل
زحفاً ، وفي أثناء الزحف أرادوا ازعاج
واغضاب ، وايداء كل واحد منهما الآخر .
وعلى جانبنا كان هناك بعض من أخذ
٤٦٠ — طريقه إلينا وجلبوا العون لنا .
وسير جنديتنا الرجال ، الذين توجب عليهم
صد الهجمات عن ساقة جيشنا
والذين ساروا خلفه وتبعوا أثره
زحفوا وتقدموا لكن أبقوا دوماً وجوههم
متوجهة نحو الأتراك . وكان نصيبهم الآلام

قبل أن يصبح الحشد آمناً مرة ثانية

معركة دعوق

وحدث أنه في الصباح الباكر

أن انطلق رجالنا عائدين

الى عكا ، والى حصارها

٤٠٧٠ — لكن الترك نصبوا كميناً

إلى جانب جسر دعوق للايقاع

بنا ، لأنه توجب علينا اجتياز ذلك الطريق .

وحاولوا تدمير الجسر ، لكن كلما

هدموه وأنزلوه أرضاً ، كان رجالنا يظهرون

حتى حشي بالرجال وحرس ، لهذا

وضع الحجاج في مأزق صعب ، وتوجب عليهم أن يعرفوا

كيف يمكنهم شق طريقهم

أو المرور خلال مثل هذا الحشد المقاتل القوي .

ووقتها غيوفري دي لوزغنان تولى القيادة

٤٠٨٠ — وكان ممتطياً ظهر مهر قوي جديد

ومعه خمسة فرسان شكلوا كوكبه

انقضوا بشدة على العدو

وبحدة وقسوة تمكنوا من دفع

ثلاثين من العدو أو أكثر من ثلاثين
الى النهر، حيث غرقوا
مع أن رفاقهم تجمعوا عن قرب حولهم بكثافة عظيمة.
وبشدة شديدة ضربوا وطعنوا
حتى كانوا قادرين على شق طريقهم بينهم
ورجعوا بلا مزيد من الحوادث
٤٠٩٠ — وعادوا الى الحصار بتصميم عظيم

مراجعة في المعسكر

حلت الآن نهاية الفصل المعتدل
عندما قليل، لسبب عظيم أو ضئيل
جاءوا من وراء البحار لالتحاق بالحشد
ومع ذلك ظل قليل منهم يعبرون البحر.
ومع ازدياد تعدادهم تناقصت
الأطعمة بشكل مستمر.
ومع مرور الوقت أقل فأقل
باتت الاطعمة، والأزمة
تضاعفت، ثم حدث أخيراً أنهم باتوا لا يمتلكون شيئاً.
٤١٠٠ — باستثناء عندما تجلب السفن مؤناً.
وكان ما يزال لدى الأغنياء مخزوناً كافياً

لكن العوز الشديد انقض على الفقراء،
الذين تشكوا، وصرخوا كثيراً
بسبب وقوعهم في قبضة المجاعة.
وكثير منهم بسبب شدة
أزمتهم وعوزهم، تمنوا أن يذهبوا من هناك
وعندما جاءت الشحنات البحرية جرى احتجازها
في صور، وهناك بقيت الأطعمة
٤١١٠ — لأن المركز أراد إيقاف قدومها الى الحشد
كونراد يطلب التاج ويتزوج من ايزابلا
ستسمعون الآن أخبار مؤامرة خيانية
دبرها المركز المزيف الذي طلب
بوساطة الثروة والتعامل الخفي
مع أناس من ذوي السلطة أن يتولى حكم البلاد.
وبراعته في الخداع والغش
تحرك وناور بمهارة في خداعه
وكان هناك أختا للملكة التي ماتت
في الجيش في تلك الآونة
وكانت زوجه لهمفري أوف تيرون
وهو لورد صاحب مكانة رفيعة

٤١٢٠ — وقد فصلت عن المذكور
همفري، وبذلك بات بإمكانها الزواج
من المركيز. وبناء عليه هو وافق
على التحاق رجاله بالحشد
بدون تردد. واتخذها لنفسه قرينة
له في بيته الشخصي ضد الرب وضد الشريعة.
رئيس أساقفة كانتبري
كان غاضباً، ورفض تزويج
هذين الاثنين، وأسقف بوفياس
٤١٣٠ — جعل هذا الذنب شرعياً ذلك اليوم
ولأن المركيز كان لديه من قبل
زوجتين كل واحدة منهن سيدة شابة وجميلة
واحدة كانت في القسطنطينية
سيدة رائعة، جميلة ونبيلة
والأخرى في بلاده موجودة الآن
وللثالثة أقسم قسمه للزواج
ولهذا السبب رئيس الأساقفة الجيد،
ورجال الدين الآخرين والأساقفة حرموا
الزواج، الذي مقتوه

٤١٤٠ — وعلى الفور حرموه كنسيا
وأخبروه بوضوح وجراًه
أنه يقترب زنا مضاعفاً ثلاث مرات
والرب لن يحيز ولن يوافق
على مثل هذا العرس غير المقدس
المسلمون يغيرون على احتفال العرس
بعد ما اقترن المركز
بها التي أثارت شهوته منذ زمن طويل
وعمل حفلاً وأولم وليمة.
ومن الزوجات الأحياء بات لديه الآن ثلاث
واحدة في الحشد، وواحدة في البلاد
٤١٥٠ — وثالثة جاهزة في متناول يده.

وكان مثل هذا العرس سيجلب كثيراً من التمزق
والأذى، وقد تحقق هذا وحصل ذلك في اليوم نفسه.
لأن الذين كانوا في ذلك الاحتفال بعدما
كانوا قد شربوا كثيراً وحسبوا اشتهاوا
الى المروج خرجوا وتوجهوا
للمشابقات وللمبارزات.
وبناء عليه فإن المسلمين الذين كانوا

في كمين، قاموا بغارة سريعة

وتنبه الحشد، ومع ذلك

٤١٦٠ — سجل المسلمون نجاحاً:

ذلك أن غي الساقى صاحب سنلس

وقع بالاسر، وما من أحد يعرف اذا ما كان

قد قتل، أو أودع السجن

ذلك أن عشرين من رجالنا أسروا وقتلوا

وهكذا من أجل احتفال العرس دفعوا.

عودة كونراد إلى صور

وانزعج رجال الحشد انزعاجاً كبيراً

وشعر القادة الحكماء أنهم خدعوا

مع أن بعضهم حافظ على الاعتقاد

٤١٧٠ — بأن كلمة المركيز ووعوده صحيحة

إلى الحشد، وأنه سيحافظ على يمينه .

غير أنه غادر آخذاً كلا من

فرقة المسلحة وعروسه

ومع أنه كانت لديه وفرة وفيرة من الميرة

مع الأطعمة ، بالمقابل شعر الحشد بالألم

وبالعوز الشديد ، ولم يرسل شيئاً باستثناء

ما بعثه إلى الذين أخذوا كثيراً
أنفسهم لأنهم قدموا العون لزوجهم .
مثل الأبطال أيام زمان

سادتي عن موت الاسكندر
٤١٨٠ — الذي كان له نتائج بعيدة الخطر
أو عن بعثة بالان Balan
أو عن مغامرات ترستان tristan
أو عن باريس وهيلين ، هذان
الأثنان اللذان من أجل الحب عانيا من كثير من الويلات ،
أو عن آرثر البريطاني ،
عن أفاعليه وعن جماعته الجريئة ،
أو عن شارلمان أو عن بين ،
أو عن أغولاند أو عن غويتكلين Guiteclin
أو عن الأناشيد عن الحروب أيام زمان
٤١٩٠ — التي رواها الشعراء المغنون بمتعة وسرور
أنا لا يمكنني اخباركم أهى كذب أم صدق
أو القول إنها زائفة أو أقوال كهنة
كما لا يمكنني أن أجد رجلاً واسع الحكمة
ليخبرني فيما إذا كانت صدقاً أم كذباً

لكن الذي رآه عدد كبير والأشياء
التي شهدوها ، والعذاب والآلام
التي الناس أمام عكا امتحنوا بها
وما لا يحصى عدداً من النوازل التي آلمت
كلا من الرأس والقلب ، وكذلك نحن القروا والحر

٤٢٠٠ — والمرضى ، وكل نوع من العلل
هذه الأشياء كلها يمكنني روايتها على أنها صدق
ويمكنكم استجابة الإصغاء إليها
مجاعة وغلاء أسعار

عندما جلب الشتاء أمطاره
في البداية كانت هناك رياح شديدة وأمطار
وفي داخل المعسكر أمام عكا عمت الشكوى
وازدادت المجاعة دون توقف
وسط القوم ذوي الإمكانات المتوسطة أو الصغيرة ،
الذين استمرت آلامهم وتعاستهم
بالظهور ، وازدادت مع مرور الأيام ،
ولقد بكوا وتشكوا من دون توقف ،

٤٢١٠ — لكنهم تدبروا الأمر ، صدقاً
بطريقة ما ، حتى عيد الميلاد

ووقتها مجدداً بدأت لائحة لانهاية لها

من المجاعة، والعوز المؤلم :

وبعد عيد ميلاد يسوع

غدت الحاجة أكثر بؤساً .

وغدت زنة غرارة من القمح تكلف

مائة «دينار صوري» وسط الحشد

وهو ما كان ممكناً لأنسان أن يحمله بيسر

٤٢٢٠ — تحت ذراعه . لقد كانت أياماً غالية جداً

وأسعار الدقيق والقمح كانت عالية .

وكانت تكلفة شراء دجاجة واحدة اثني عشر سوس sous

وكانت أياماً صعبة حيث توجب على الإنسان دفع

سته ديناري deniers

ثمناً لبيضة واحدة.

لكن معظم الأناس الجياع طلبوا

الخبز، وفي سبيله ناضلوا، وقتلوا

وكثيراً شتموا ولعنوا

المركز الذي سبب هذا الوضع.

أكلهم الخيول

سادتي، لاتظنوا أنني أمزح:

٤٢٣٠ — حتى يمكن تأمين اللحوم للحشد
لأكلها، سلخوا عدداً كبيراً من خيول
الحرب، وأكلوها لابل التهموها بجشع
وتجمهرت أعداد كبيرة وتجمعت عندما كان أحدها يسلخ
وللحم أسعار عالية دفعت.
وطوال الشتاء ظلت الاسعار عالية:
وباعوا الخيول كل شريحة بعشرة سوسات sous
وبيع الحصان الميت بمبلغ أعلى بكثير
من ثمن أي حصان حرب حي.
ووجدوا كل ما في الحصان قابلاً للأكل
٤٢٤٠ — حتى الاحشاء، لم يهدروها
وكثيراً شتموا ولعنوا
المركز الذي سبب هذا الوضع
وادخروا فائضهم القليل
وكانت الاوقات عصيبة، والعوز مؤلماً
بالنسبة لكل انسان أغنياً كان أم فقيراً؛
ومع ذلك فإن الذي امتلك الثروة، والذي بناء عليه
كان يمكنه تزويد نفسه بالطعام
مع أنه كان كريماً، لم يتجرأ على

- ١٤٦٢ -

تقاسم حصته مع أناس آخرين:

وجاء أناس كثرة يطلبون العون

٤٢٥٠ — لكن كل انسان تمسك بشدة بما كان لديه وكثيراً شتموا ولعنوا

المركز الذي سبب هذا الوضع

وتماسكوا وعاشوا اعتماداً على الحشائش والأعشاب

ولولا وجود الحشائش والمزروعات

التي بذروها للحصول على ما يتبلغوا به

وانضجوها من أجل الحساء الذي جهدوا في

سبيل طبخه، لم يكن بإمكانهم الاستمرار أحياء

وكان بإمكانكم رؤية سيرجندية، رجال ذوي جدارة

وشجاعة، ورجال ذوي منبت طيب

نشأوا في وسط ثراء ولياقة

٤٢٦٠ — اعتمدوا أثناء جوعهم وعوزهم

على أكل الأعشاب حيثما

رأوها تنبت وشهدوا لونها الأخضر

ثم إنهم شتموا ولعنوا

المركز الذي سبب هذا الوضع

التورم يهاجم الحشد

ثم جاء وباء حل

- ١٤٦٣ -

بالحشد ونزل، حسبها سأروي:

هطلت الأمطار، بغزارة متناهية

لم ير لها مثيلاً من قبل

وفاضت المياه داخل المعسكر، والناس

٤٢٧٠ — بدأوا يسعلون، وبصوت أجش يتخاطبون

وازداد التورم في الأرجل وفي الرأس

وكل يوم كان يموت ألف

لأن المرض جعل وجوههم تتورم

وتساقطت أسنانهم من أفواههم ووقعت.

وبعض الذين لم يستطيعوا العثور على

أي طعام، لم يتعافوا مطلقاً

وعندها شتموا ولعنوا

المركيز الذي سبب هذا الوضع

سرقتهم للخبز

سادتي، بسبب العوز الرجال غالباً ما فعلوا

٤٢٨٠ — أشياء جلبت اللوم لهم والنقد، أيضاً.

رجال من جميع البلدان لم يكن بإمكانهم إلا أن ارتعبوا

من عار التسول من أجل خبزهم

ولهذا سرقوا مخازن الخبازين

بدلاً من التماس الصدقات
وفي أحد الأيام حدث أن أخذ أحد الرجال
سجيناً لقيامه بغارة من هذا القبيل
والذي رآه وأمسكه يسرق طعاماً
ربطه بشدة بقدرما استطاع
لأنه لم يجد وسيلة آمنة أجدي
٤٢٩٠ — من ربط ذراعيه خلف رقبتة
واهتاج الحبازون هنا وهناك
واهتم كل واحد منهم بشؤونه
ولهذا أولوا المعتقل قليلاً من الانتباه
ثم بفضل الرب، الذي يلبي بعونه حاجات شعبه
انزاحت الأغلال من يديه
وانبطح فوق كومة من الأرغفة
في حين غفل الخدم عنه وراقبوا الطريق
فأكل كل ما كان بإمكانه أن يأكله
ثم وضع رغيفاً تحت ذراعه
٤٣٠٠ — بينما أخفاه كرسي ووقاه من الأذى
وقد رضي بما حصل وبالأحوال
فاستلقى ينتظر فرصته

ثم هرب إلى الحشد حيث وجد ملاذه
وأخبر رفاقه كيف تدبر أمره وأكل
ومع الذين كانوا قرييين من الموت
جوعاً، طوعاً وكرماً تقاسم معهم الرغيف
الذي جلبه معه. ولوقت
قصير أمن لهم هذا التفريح.
ومع أنهم ساعدوا بالوجبة
٤٣١٠ — فإن شبعهم لم يكن ليدوم.
والآن لافتقارهم لما يعيل
ازداد عوزهم وجوعهم إلى حد كبير
ولهذا كثيراً شتموا ولعنوا
المركز الذي سبب هذا الوضع
بعضهم تخلص عن إيمانه
أشد أنواع الآلام شعر بها
الذين قطنوا في معسكرنا
وما من واحد أمكنه أن يقدر قط
كم كانت التعاسة عالية وإلى أي حد وصلت
حتى جعلت رفاقنا
٤٣٢٠ — يعانون خلال هذه الحملة الصليبية.

واسمعوا الآن عن خراب ودمار
الناس الذين جعلهم الرب على صورته
وكم كانت التعاسة هائلة حتى جعلت
هؤلاء الناس الجائعين يتخلون عن ربهم
ففي داخل المعسكر كان النقص كثيراً
في كل شيء، وقد حاول أن يدمر
رجالنا حتى أن عدداً كبيراً منهم تخلوا الآن
عن ربهم، ومضوا خارجين، واتخذوا ملاذاً
بين المسلمين، وقالوا بشكل واضح
٤٣٣٠ — إنه مامن رب يمكن أن يتخلى أبداً عن
الذين ولدتهم النساء، لذا هجروا
التعميد، وأنكروا صلب الرب
ما يشتره بنس واحد من حبوب الفاصولياء
كان هناك رفيقان في الحشد
سيرجنديان لا يمكنهما التفاخر بأي ثروة
باستثناء بنس أنجي في واحد لا غير
جلب لهما لاشيء سوى النكد
في الحقيقة لم يكن لديهما لقمة من الطعام
ولأي نوع من أنواع المقتنيات

باستثناء الثياب التي لبسها
٤٣٤٠ — وذلك بالاضافة إلى السلاح الذي حملاه.
ولهذا فكرا في ابداع خير وسيلة يمكنهما فيها
استثمار بنسهما الانجيفي الواحد
في شراء طعام يمكن للشعر
أن يأتيهما به بطريقة ما أثناء النهار.
وتطلعا نحو شارة سماوية يمكن أن توجه
مسيرتهما وهما مرتديان لمعطفيهما الجلديين
وفكرا عميقاً ومنحا القضية الكثير من العناية
وأخيراً تمكنا من شراء ثلاث عشرة حبة فاصولياء
وقد وجدا إحدى حبات الفاصولياء فاسدة
٤٣٥٠ — ولكي يستبدلاها توجب على أحدهما
جواز حقل مساحته سبع اكرات Acre
وعندما التاجر الذي ترجاه
لتبديلها بحبة جيدة، قام
بإبدالها وهو على درجة عالية من الإكراه
عاد الرجل بها وأكلا بنهم
فشدة حاجتهما دفعتهما إلى حد الجنون.
ثم عندما ذهبت حبات الفاصولياء؛ انتبهوا

تضاعفت تعاستهما ضعفين

٤٣٦٠ — وعندها لعنا وشتما

المركز الذي سبب هذا الوضع

لقد شربوا حتى الثمالة وأسفوا

بيع في وسط حشد الرب

شيئاً اسمه الخروب، هكذا أخبرت.

وكان من السهل الحصول عليه: وبذلك

باتت اللحوم حلوة وجيدة للأكل.

وشرى كثير من الناس الخروب ممن كان بإمكانه الدفع

مكيال واحد كامل مقابل ديناري واحد

وسعى كثير بوساطة الخروب والجوز

بشكل ما لإبقاء أنفسهم أحياء

لكن الذين رقدوا مرضى غير قادرين على الحراك

٤٣٧٠ — والذين غالباً ما شربوا خمرة قوية

مما كان متوفراً وبكثرة

ازدادوا بالخمرة سكرًا وتشرداً

يضاف إلى هذا أنهم لم يأكلوا شيئاً ماعداً

الطعام الذي تاقت إليه بطونهم واشتهته

ولهذا ماتوا على شكل قطعان، بينما أولئك

الذين تجنبوا ذلك وهجعوا بلا حراك
عاشوا واستردوا قواهم قليلاً
لكن بما أنهم لم يمتلكوا ولا نوع من أنواع الأغذية
لعن هؤلاء الرجال وكثيراً شتموا
المركز الذي سبب هذا الوضع
ووصل الأمر بهم إلى حد أنهم أكلوا اللحوم أيام الصيام
المصاعب والمجاعة كانت نصيبهم
قبلما يتجدد جلب المؤن:
فما من شيء يؤلم مثل سوط الجوع
وعندما إنعدام الخبز يمسك بخناق
انسان، عندها كل يوم مأسية
تزداد لأنه أكل الأقل
لذلك في أيام الصيام مكرهين
أكلوا اللحوم، وبذلك اقترفوا الاثم.
ولقد كان هو الوقت عندما كل انسان
٤٣٩٠ — توجب عليه الصوم، إنه الوقت الذي بدأ فيه الصيام
لكن عندما أرسل الرب المزيد من المؤن
فيما بعد، كلهم قام بالتوبة والاستغفار،
فعندما تذكروا كيف أنهم أذنبوا

- ١٤٧٠ -

وأكلوا اللحوم، كانوا مغمومين
وقتها شتموا ولعنوا

المركز الذي كان السبب في هذا الوضع
ودوماً لعنوا المركز

وهكذا، حتى نهاية الشتاء، بقيت
المجاعة، وكانت عظيمة وطويلة الاستمرار
حيث الناس في الحشد الذين قدموا لتقديم
٤٤٠٠ — العون للرب تحملوا وقاتلوا.

وصدقاً إنهم لم يكن أمامهم من وسيلة لاصلاح وتدارك
مانزل بهم من عيد الميلاد حتى نهاية
الصوم. أنا نفسي عرفت أن محتتهم
وصلت إلى درجة أنهم تجنبوا رؤية بعضهم بعضاً
عندما الصدقات غدت شحيحة جداً
وتضاعف الشح والبخل عدة مرات
حتى الذين كانوا الأكثر كرمًا
أصبحوا الآن أشحاء بخلاء،
والبخل، وانعدام الهبات

٤٤١٠ — جعل الكثيرين يموتون من محتتهم
وهؤلاء أثناء موتهم لعنوا وشتموا

المركز الذي كان السبب في هذا الوضع
صدقات رجال الدين والنبلاء

وجاء تحمل هذا العذاب طويلاً
ولذلك كثير من الشكوى والنواح
سمعا، ولقد كانت إرادة الرب أن يجعل واضحاً
أن على الناس أن يحبوا الرب ويخشوه.
ثم إن أسقف سالسبري
دعا الأبناء والأخوان. لهؤلاء الناس
باسم الرب وعظ وعظاً جيداً
٤٤٢٠ — وضرب أمثلة جيدة علمهم بها.

وأسقف فيرونا، الذي
كان جديراً بترهبه، وصادقاً
ومستقيماً، دوماً قام بدوره
بالوعظ الذي نفذ إلى القلب،
وكان صاحب فانوفي لومباردي
أسقفاً صاحب قداسة عظيمة (مونالدوس ١١٧٨ — ١٢١٤)
وعظ ببلاغة إلى الحشود.
وبعد هذا ليس بوقت طويل
جمعوا هناك ذهاباً لإطعام

٤٤٣٠ — الفقراء الذين عانوا من العوز العظيم.

وازداد المبلغ بشكل كبير، وكل بذل أفضل مالمديه

لزيادته واعطاء المعوزين

والجياع كل مايمكنهم تحمله.

وقدم القوم الجياع الشكر للمولى

وهم يأكلون المؤن التي

أعطيت إليهم من قبل الأغنياء.

وكان والشلين دي فيرير Walchelinde Ferrieres واحداً

ممن أعطى بإسراف زائد.

وأيدي روبرت تروسبوت Trussebot

٤٤٤٠ — فاضتا بالمعونات الانسانية.

ومثل هذا كان هنري أوف شاميين

أعطى بسعة ولم يعط بعبث.

وسير جوسلين دي مونتيور لابد من

أن يدون في التاريخ ويذكر،

وكان كونت كليرمونت لطيفاً

وعاطفياً وكريماً.

وأسقف سالسبري الجيد

أعطى بلا أثر للمن.

ومع هؤلاء كثيرون كانوا عبدوا الرب وأعاروا

٤٤٥٠ — أيديهم لعون المعوزين

وهكذا فإن المبلغ الذي جمع وبات جاهزاً

وزع فيما بين المحتاجين

فيما بين الكبير والصغير، والمخلوقات الفقيرة

والسيرجندية، وجنود المشاة، والفرسان؛

وإلى القوم الجياع أعطوا

وفقاً للحاجة وشدتها ومتطلباتها

ولتأمين كل انسان أعطوا

اعتماداً على رتبته ومدى معاناته.

الرب رأى أنه بإخلاص

٤٤٦٠ — شعبه تحرك لتقديم الصدقات

وبما أنهم عملوا بهذه الطريقة

تجلى عليهم برحمته وشفقته.

سفينة تجلب طعاماً

لربما أنكم قد علمتم وأخبرتم

عن المعجزة التي عملت

من قبل رب السموات، والذين سيسمعونها

عليهم أن يتهجوا جميعاً بلا خلاف .

إلى ميناء عكا بارجة
وصلت، إنها لم تكن طويلة ولا واسعة .
وكان في هذه البارجة قمح . والآن
٤٤٧٠ — أنتم جميعاً يمكنكم أن تسمعوا حكاية كيف
أن المولى الرب صان الفرنجة
وتخلصاً من العوز جعل الوفرة تأتي .
فالعوز لم يأت من الندرة
لأنه كانت هناك أطعمة بالكميات
لكن بسبب جشع التجار
الذين احتكروها ليحصلوا على أعلى الأسعار،
لكن عندما الرب، الذي بلطفه
وبنيع حنانه وشفقته
رأى - شرور شعبه
أعطى أمراً: إن الشقاء لا بد إن ينتهي
٤٤٨٠ — والمجاعة يتوجب أن تتوقف .
وسعر القمح ينبغي أن يهبط .
هبوط الأسعار منذ ذلك الحين
إنه في يوم سبت قبل الظهر
جلبت هذه البارجة مؤناً .

ولم يكن هناك الكثير مما سمع أوقيل
كيف تمكنت من متابعة سيرها
فيما عدا ما قيل من قبل الذين باعوا القمح
ولم يفكروا بشيء سوى بمرايحهم .
السفينة قدمت في يوم سبت
٤٤٩٠ — فيما أظن ، كان الوقت بعد منتصف النهار
لقد كان الرب هو نفسه الذي جلبها إلى هناك .
وفي يوم الأحد وضع تحت رعايته
القمح الموجود في مخزن الحبوب —
وكانت قيمة غرارة القمح الواحدة مائة دينار صوري —
ومن مائة تدهور السعر ونزل
إلى أربعة . وأفلح الذي ساوم
تاجراً وأنزل هكذا الأسعار
عقوبة مستغل
اسمعوا كيف أن الرب عاقب
واحداً من الأتباع لخطرسته وجشعه
٤٥٠٠ — وفعل ذلك بشكل موائم جداً:
كان هناك بيزيا في الحشد
سام قمحه بأسعار مرتفعة جداً إلى حد

أن ما من أحد كان بدون ثروة كبيرة أو مال عظيم
كان بإمكانه أن يشتري منه غرارة واحدة
الرب، الذي يعرف كل انسان ،
سدد الآن ضربة موائمة ،
إلى جشعه، لم تتضاءل
أبداً ،لأن بالنار التهب
بيته وكلما كان يحويه

٤٥١٠ — وهكذا كل ما جناه بالجشع

احترق. وقد فقد ثروته بالكامل
لأن ما من انسان أمكنه اطفاء النار.

عودة الوفرة

عندما رأى الناس الرب يعمل على هذه الصورة
ازدادت الصدقات وصارت كريمة أكثر .

فكل سيد صار أكثر كرماً

وزاد عطاياه ،ومع الآخرين اقتسم كل ما لديه .

وقدم الفقراء والجياع

الشكر للرب لأنهم أطعموا

والذين أكلوا اللحم في الصيام

٤٥٢٠ — اعترفوا بذنوبهم وتابوا ،

ونالوا التحليل ، لأن عوزهم
كان قد دفعهم إلى مثل هذه الأخطاء
ونالوا ثلاث ضربات على
ظهورهم ، وكانت خفيفة ، فهذا كان نصيب كل واحد ،
أسقف سالبسري أعطى
الضربات إليهم ، مثل أب ، لطيف وصارم .
وصول ملك فرنسا مع حشده
الرب فعل كما يلي : بعد مرور
يوم عيد الفصح ، عندها أخيراً
فيليب ، الملك الفرنسي جاء وقام
٤٥٣٠ — بالدخول إلى ما بين الصليبيين
وكونت اوف فلاندرز جاء إلى
جانبه ، وهو الذي سبب كثيراً من الحزن عندما مات ،
وكونت سينت بول ، جاء ، الذي رقبته (هيوغ الرابع ١١٧٤ — ١٢٠٥)
بشجاعة قصوى غطاها وزينها بترس ،
وإلى هناك جاء وليم أوف غارلاند Garlande
الذي كان أتباعه مجموعة جبارة
ومثله جاء وليم دي باري Barres (كونت روكفور ، ت : ١٢٣٣)
وكان فارساً شجاعاً ، وبارعاً جداً بالحرب

وجاء مولاي سيردرو دي أمين Dreux d'Amiens

٤٥٤٠ — وكان مشهوراً ومعروفاً بثروته وببسالته

وفارس اسمه وليم دي ميلو

الذي أنا معجب به، وصل أيضاً،

وكونت أوف بيرشي perche أيضاً — وهو الذي جرد

نفسه من كل شيء — وصل

ومع الرجل الفرنسي إلى هناك عاد

المركيز، حسبما بصدق علمت .

لكن لماذا يتوجب علي تعداد —

هم جميعاً ما من انسان له مكانة عالية

في فرنسا، لم يقدم

٤٥٥٠ — إلى عكا، عازماً على القيام بحصته.

وبناء عليه، ملك فرنسا، مع جميع

قوات الفرنجة تحت امرته

جلب حاشيته واتباعه الى الحشد

من عيد الفصح حتى عيد الحصاد

ثم ملك انكلترا الذي بيد قوية

استولى على قبرص — وصل الى البلاد .

الفصل الخامس

عودة الرواية الى وصول رتشارد

يتوجب علي الآن أن أتناول مجدداً
الحكاية ، وأن أجعل القصة واضحة
حول حصار عكا . أمبروز سوف يعطي
٤٥٦٠ — تكملة لروايته

ويستأنف الحكاية التي تركها
ويربطها مرة أخرى بالعقدة التي قطعها
ويروي موضعاً كيف الملكان
وصلا الى عكا ، ويتحدث عن الأشياء
التي صنعها ، ويحكي التاريخ كله
حسبما هو لديه في الذاكرة
وكيف جرى الاستيلاء على عكا بشكل أمين
حسبما رآه بأم عينيه
عندما جاء الى الأرض المقدسة
سواء رتشارد

٤٥٧٠ — حسبما رويت من قبل

رتشارد ، ملك انكلترا ، فعل
أفاعيل عظيمة من اللطف ينبغي أن
تروى ، لأنه أظهر نبلاً
وكذلك ملك فرنسا قد تعهد أنه
سوف يعطي من خزانته
لكل انسان قدم الطاعة
إليه ، ثلاثة دنانير ذهبية
وجلب له هذا العمل كثيراً من الأتباع
—٤٥٨٠— ولهذا عندما الملك رتشارد الى هناك قدم

وسمع بهذا ، أمر بالاعلان
خلال الجيش بالطول وبالعرض
أنه سوف يعطي الى أي فارس
من أي البلدان يمكن أن يكون قد جاء
ويقبل عطاءه مبلغ أربعة
دنانير ذهبية يخرجها من خزانته .
وكان هذا هو العطاء الصحيح وبعدل
أعطي للرجال للخدمة هناك
وتصوروا ، عندما هذا الوعد جرى إعلانه
—٤٥٩٠— بالخارج ، كيف الحشد كله ابتهج

والذين كانوا من المراتب المنخفضة والوضعية
والذين كانت مراتبهم معتدلة
ممن كان هناك منذ وقت طويل ، قالوا ،
« بحق المولى الرب ، متى سيكون الهجوم ؟
فالآن قد جاء الأكثر شجاعة
بين ملوك المسيحية ، والأفضل
قدرة على اقتحام البلدة بالقوة وبالبراعة .
الآن ربما المولى الرب ينفذ إرادته »
فالملك رتشارد حاز على ثقتهم .

مرض رتشارد يسبب التأخير

٤٦٠٠ — ثم ملك فرنسا بعث اليه يقول
بعدها تهيأ تماماً وأعدّ نفسه جيداً
منذ أيام عيد الفصح ، عندما جاء الى هناك
إنه يتوجب عليهما إعلان نداء الحرب ، والشروع
بالحجومات على دفاعات العدو .
لكن الملك رتشارد كان مريضاً ، وقد تحمل
كثيراً من الألم من الفم والشفتين لتورمهما
بسبب مرض لعين
دعاة الناس باسم «ليونارداي Leonardie

وبناء عليه بعث برسالة الى الملك
٤٦١٠ — وقال بأن الأسطول ، الذي كان سيجلب
باروناته إليه ، ما يزال باقياً
في صور ، لأنه حجز هناك
بما يعرف باسم ربح أرسوف
التي سببت تراجعته وتخلفه
وأن آلاته ، هي الآن على الطريق
وسوف تصل بعد قليل من التأخير ،
وأنه عندما تصل قواته كلها
سوف يكون جاهزاً كلياً للكفاح
للاستيلاء على عكا بجميع طاقاته .

الفرنسيون يزحفون نحو القتال

٤٦٢٠ — ومع ذلك فإن ملك فرنسا على الرغم
من هذا — عونك يا رب — ما كان ليتأخر
أكثر ، بل أعلن عن الهجوم
وسلح الفرنسيون أنفسهم عند انبلاج الصباح
لأنهم كانوا متشوقين للقتال .
وكان هناك الكثير جداً من السلاح مما يجعل
من الصعب عليكم تعداد كتائبهم

فكم من الدروع والسوابغ الجميلة المظهر
كان يمكنكم أن تروا ! وكم من الخوذ اللامعة المشعة
وكم من خيول الحرب كلها مضمرة مزينة
٤٦٣٠ — ولكم عرض من الملابس والثياب البيضاء
والفرسان النخبة ! فما من أحد يمكنه أن يرى
أورأى مثل هذه الكثرة من الشجعان
وسادة ذوي رشاقة ، وهبوا
الإقدام ، ويتقدون حماسة وفخارا
وكم من الأعلام الخفاقة والرايات
مطرزة ملونة بأشكال مختلفة !
ثم استعرضوا القوات التي
كانت ستتمركز للحراسة فوق الخندق
ضد رجال صلاح الدين ، خشية من
٤٦٤٠ — إمكانية مهاجمتهم من الخلف .
ثم رجال الرب نحو القلعة
زحفوا وتقدموا ، وهاجموها بشكل حسن
وعندما المسلمون في عكا رأوا
جيش الفرنجة يزحف
مقتربا من الأسوار صرخوا صرخة مدوية

ملأت الأجواء ضجيجاً مثلما تفعل صواعق الرب
واستخدموا الكوسات والأجراس والطبول
ذلك أن بعضهم لم يقم بأي عمل
سوى ، من قمة القصر بالأعالي
٤٦٥٠ — راقبوا الحشد وتجسسوا

وأعطوا الانذار ، بالدخان وبالصوت
الى الذين تبعوا صلاح الدين
واستدعوهم لتقديم العون المطلوب
بطولات غيوفري دي لوزغنان
ثم هل رأيتموهم وهم يقومون بالاغارة
على الخندق ! فقد أرادوا أن يطموه
لكنهم لم يستطيعوا تنفيذ رغباتهم
لأن غيوفري دي لوزغنان ، الذي
بالشجاعة كان دوماً جديداً
جاء الى الحاجز الذي

٤٦٦٠ — استولوا عليه في حملتهم الأولى
وبحملة عنيفة تمكن من ردهم
فبيلطة القتال التي حملها
أرسل بعشرة من الأعداء الى القبر

حيث وجه اليهم ضربات ماضية جداً وشجاعة
الى درجة أنه ما من فارس استحق قط مثل هذا الشئ
منذ أيام أولفرورولاند ؛
وهكذا جرى استرداد الحاجز
الذي استولوا عليه في هجومهم
لكن قبل أن يجري استرداد ه ، كان هناك صراخ كبير
٤٦٧٠ — وصراع وقتال في كل ما حوله .

اخفاق الهجوم

وتمكن المهاجمون لعكا في الوقت نفسه
من طم الخندق بكثير الفضلات
ومع هذا وجدوا من الموائم
تغيير تكتيكاتهم والتراجع
وهكذا تخلوا عن القتال
والى معسكراتهم ذهبوا راجعين
وبذلك بقي الهجوم بدون ثمار :
ورفع الناس أصواتهم وتشكوا
وبمرارة شتموا ولعنوا
٤٦٨٠ — الملكين اللذين انتظراهما

« مولاي ربي » قال كل واحد أمام خيمته :

« كم ضئيلاً جاءت نتائج انتظارنا ! »
والآن بينما رجالنا يخلعون ملابسهم
المسلمون صرخوا بسخرية وبشماتة
ولدى رؤيتهم أن رجالنا غيروا ملابسهم
ألقى المسلمون من جديد النار
على آلات الحرب التي ملك
فرنسا بناها من أجل الاستيلاء
على عكا ؛ وملاً هذا قلبه بالغضب
٤٦٩٠ — (وبات معروفاً ومتداولاً ، وأنا سمعت الحكاية)
وسقط مريضاً جداً حتى بات غير قادر على الركوب
على فرس حربه منفرج الساقين
المحاصرون تشجعوا بالنجذات
وهكذا كان رجال الحشد في حال نواح
وسخط ، وقنوط ، ويأس
مع الملكين اللذان كانا سيسطويان على البلدة
مصابان بالمرض وراقدان ،
ومع كونت فلاندرز وقد صار بين الأموات
لقد اضطربوا كثيراً وعانوا من ضيق عظيم .
لماذا يتوجب علي أن أكتب رواية أطول ؟

مع مرض الملكين ، وموت الكونت
بات رجال الحشد في حالة يأس مريّة
الى حد أنهم لم يعودوا يجدون سروراً
وكان يأسهم وقنوطهم كاملاً
باستثناء ماتعلق بقدوم الاسطول،
أسقف إفرو جاء آنذاك،
جالباً رجال حربه الأشداء؛
وإلى هناك جاء روجر دي تيوني Teoni
مع فرسان في كتيبة جيدة
والأخوة كورنبو Cornebu المتعددون (جون ورتشارد وتوماس)
٤٧١٠ — أولاد سيد واحد، جاءوا أيضاً
وروبرت دي نيوبروك الذي أنا لم
أعرف قط سيداً أكثر لياقة منه
وإلى هناك جاء جوردان دي هوفر
الذي كان مفوض الجيش في سيز Seez
وفي الوقت نفسه الحاجب
لنانكفيل Tancarville التحق بالحملة؛ (وليم الثاني دي نانكفيل حاكم بواتو لهزي الثاني)
وروبرت أوف ليستر جاء من قبل
إلى الشاطئ قبل هؤلاء النبلاء،

وغيلبرت تالبوت، أيضاً، جاء،

٤٧٢٠ — وهو فارس صاحب أجمل اقطاعية،

ورالف دي تيسن Taissons، جاء، وهو سيد

ينبغي ألا نخفق في ذكره

والفيز كونت أوف شاتودون Chateaudun (رالف)

جاء، وبرتراندي فيردون Verdun

وجاء، أيضاً (الأخوة) التوزلياس Tozelais

وكانوا فرساناً بواسل، وأدباء وفق طرائقهم

وإلى هناك قدم رودن دي هيردكورت Rodin de Herdecourt،

٤٧٣٠ — وهو صديق الملك وأحد رجال بلاطه

وجاء غارين فتر — غيرولد Gerold - Garin Fitz، وهو الذي

جلب معه كوكبة جيدة

ومثله جاء كونت لامير Lamare

وكان غنياً وحسن التجهز للحرب

وعدد كبير آخر أنا لم أسمهم

جاءوا إلى هناك لتقديم العون للمولى الرب.

آلات الحصار تقصف أسوار عكا

وهكذا الملكان أصيبا

بالمرض أثناء حصارهما للبلدة

وقضى الرب ألا يموتا، بل أن يعيشا

٤٧٤٠ — ليضمن الاستيلاء على المدينة

وتحسن ملك فرنسا وتعافى

بينما بقي الآخر مريضاً يتحمل ويعاني.

وأطلقت الآلات نحو الأسوار

قذائفها، ولم تتوقف قط.

وكان لدى الملك آلة اسمها ميل فوزين Male Voisine (جار السوء)

في حين كان في عكا واحدة اسمها ميل كوزين Male Cousine (قريب السوء)

دوماً تولت تعطيلها وتدميرها.

وعندها كان الملك ينصرف لبنائها

مرة أخرى، ومن ثم تقذف وتضرب

٤٧٥٠ — حتى فتحت ثلثة في السور الرئيسي

وسببت دماراً عظيماً وهي تضرب

على البرج الذي يدعى الملعون

وكذلك فعلت فعلاً مؤثراً جداً

آلة دوق بيرغندي

وتسارعت قذائف آلة الداوية

ووقعت وصكت رؤوس عدد كبير من الأتراك

في حين نجد أن الآلة التي امتلكها الاستتارية

وجهت ضربات أرضتهم جميعاً
وكان هناك آلة لرمي الحجارة اسمها

٤٧٦٠ — آلة رمي الرب، وكانت عالية

ولأجلها كاهن جيد، له صوت رخيم
وعظ بشكل جيد، وجعل الحشد يبتهج.
وجمع بوساطة قوة

الكلمات ثروة جيدة، وأمكن بوساطة هذه الآلة
قرب البرج المدعو الملعون فتح ثلمتين طويلتين
من السور الذي انشطر إلى شطرين بفعل قوتها.
وكان لدى كونت فلاندرز واحدة أيضاً،

عندما كان مايزال حياً، وكنتم
لايمكنكم أن تجدوا منجنيقاً أفضل.
٤٧٧٠ — وقد آل هذا المنجنيق إلى ملك انكلترا

وكان عنده منجنيق أصغر، مع
هذا، مشهور بقوته.

وبدأ هذان بالتركيز

على البرج القائم فوق الباب
حيث تجمع الأتراك، وبشكل جيد
سددا حتى أن نصف الأتراك سقطوا.

وأمر الملك ببناء آلتين
اثنتين زيادة، كانتا من القوة بمكان وجديدتان
وكان الذين يشغلوهما محميين
٤٧٨٠ — أثناء تسديد قذائفهما

وأنشأ برجاً له ارتفاع عظيم
ملاً الأتراك الأعداء بالارتعاب
وكان مغطى ومغلف من خارجه
بالأخشاب ، وبالحبال ، وبالجلود
حتى ما عاد يخشى نار النفوط
أو أي حجر ، أو أي قذيفة قذفت .
كما وبني منجنيقين أيضاً
كان أحدهما له قوة هائلة
حيث أن حجارته تجاوزت السور
٤٧٩٠ — وعلى سوق الجزارين قذائفه سقطت
وهكذا ليلاً ونهاراً أرسلت الآلات
بقذائفها ولم تتوقف قط .
وصدقاً حدث كما نحن الآن هنا
أن قذيفة وجهت من قبل إحدى الآلات
قتلت اثني عشر رجلاً بصخرة واحدة

وحملت الصخرة إلى صلاح الدين لرؤيتها
وكان بناء على أوامر ملك انكلترا
أن جلبت مثل هذه الصخور إلى البلاد
وكانت صخوراً بحرية ، جلبت عبر كل الطريق
٤٨٠٠ — من مسينا ، بقصد قتل المسلمين بها .
لكن الملك كان ما يزال راقداً مريضاً في الفراش
وكان تعيساً جداً ومتضيقاً إلى أبعد الحدود .
فهو جاء إلى هنا للمشاركة في القتال
ضد المسلمين ، القطيع المنحط
الذين على خندق جيشنا ضغطوا
بشدة متناهية ، لذلك غدا مضطرباً أكثر
لأنه لا يستطيع أن يمارس دوره
بسبب المرض الذي جعله يرتعد
المسلمون يدمرون الآلات
وكان الاستيلاء على عكا صعباً
٤٨١٠ — وقد صنعوا كثيراً من المجانيق
مما كلفهم مبالغ عالية جداً
ويشق الأنفس كانت كافية
لأنهم عندما حولوا أنظارهم جانباً

أضرم المسلمون النيران فيهم
وصنع ملك فرنسا لصالح الحشد
قلعة على شكل سنور ، بنفقة عالية جداً
ومظلة ، سترها وغطاها بشكل جيد
وكانت نهايتها مربعة وصامدة
وغالباً ما ذهب الى تحت المظلة
الملك نفسه مع قوسه العقار — ٤٨٢٠

في يده ، وجعل جروحه تتساقط
بين المسلمين الذي شغلوا الأسوار .
وفي أحد الأيام بينما رجاله كانوا يشرفون على سنوره
مع الذين يشغلونه ويوجهون تهديداته
المسلمون ألقوا عليه كومة
من الخشب الجاف ازداد حجمها وصارت عالية
وكذلك رموا على المظلة أيضاً
(أمبرويز نفسه رأى هذا المشهد)
ثم بآلة قذف قذفوا نفوياً محرقة
— ٤٨٣٠ — عليها ، وحولوها الى محرقة
وهكذا أحرقت قلعة السنور
وكلها دمرت وتبعثرت

وفي الوقت نفسه المظلة الواقية ذات الثمن المرتفع
أحرقت وانشطرت الى ثلاثة أقسام
وغضب الملك ولهذا

اكتأب ، وصب لعناته على جميع الذين
أخذوا المال منه والأجر لكنهم كانوا غير قادرين
على الانتقام له من المسلمين .

وفي تلك الليلة أمر بالاعلان عن هجوم عام
— ٤٨٤٠ — ينطلق في صباح اليوم التالي يكون حامياً وبراقاً

القتال عند الخندق

وبشجاعة متناهية شرع رجالنا في الصباح
وتقدم جندنا زاحفين بقلوب صامدة
والذين تولوا في ذلك اليوم حماية الخندق
ما من خطر كان يمكنه أن يجعلهم يخنعون أو ينكصون
لأن خيرة رجال العالم كانوا هناك
موجودين ، فهناك التقوا وحول بعضهم بعضاً تجمعوا
فلقد كانت هناك حاجة ماسة اليهم في ذلك اليوم
لأن صلاح الدين سمع يقول
بأنه سيكون أول من يدخل الى هناك
— ٤٨٥٠ — ولوجوده سنكون مدركين .

هو لم يأت ، لكن شعبه جاء
واجتاح الخندق بقصد مميت
فقد ترجل رجاله وعلى الاقدام قاتلوا
ثم غدا القتال حاداً وحامياً
وضربات جبارة بالسيف وبالرمح
وجهت . واستمر القتال بلا انقطاع
لأن المسلمين في الخارج هاجموا بعنف وغضب
وعندها جرى استدعاء الذين داخل عكا وحركوا
لهم ، راية صلاح الدين .
٤٨٦٠ — وكان الأمير سيف الدين

هو الذي اقتحم الخندق بإرادة وتصميم
فقد تمكن أولاً من طمه وبسطح الأرض
سواءه ، لكن رجالنا صدوهم وإلى الخلف ردوهم
في حين الذين كان موكلاً إليهم الهجوم
على عكا بشجاعة أغاروا على السور .
علّ الرب يمنحهم الجزاء وينزله عليهم
فتح ثلثة في السور

النقابون لدى ملك فرنسا
الذين تعهدوا بتقديم العون في هذا الظرف

حفروا عميقاً جداً تحت الأرض

٤٨٧٠ — حتى وصلوا الى أساسات السور

وملأوا الحفر بعوارض خشبية وبأطر علقوها

ثم وضعوا النار في الأطر وأشعلوها

حتى جزء كبير من السور

سقط ، لكن كاد أن يصيبهم أثناء السقوط

لأنه أثناء ترنحه غير اتجاهه وانحرف

وجميع رجالنا كانوا مرعوبين جداً

والعدو ، في صفوف كثيرة

اندفع رجاله الى حيث رأوا السور ينهار .

وكان بإمكانكم أن تروا هناك كل أشكال وألوان

٤٨٨٠ — عذبات المسلمين وراياتهم وأعلامهم

محمولة من قبل حشد الأشرار

الذين تجمعوا هناك ، وبكثافة ضغطوا

واجتاحونا وزحفوا علينا بقتال

جريء ، وعلينا رموا بالنفوط

وكان يمكنكم أن تروا حملات عنيفة

على حيث السلام على السور نصبت .

ميتة أوبري كليمنت البطولية

وهناك قام أوبري كليمنت بأفاعيل شجاعة ،
من قال إنه كان سيموت في ذلك اليوم
٤٨٩٠ — أو الى داخل عكا سيتخذ طريقه

هو لم يكذب ، هو جاء
ذلك اليوم الى شهادته .
على رأس سور المدينة صعد
ليقاتل الرعاع الأتراك
الذين هموا به ، وغير هباب
تحارب معهم ، وأثناء القتال مات
لأن الذين تبعوه في اقتحام
الأسوار ، وعلى السلم احتشدوا
سببوا انحناء السلم وترنحه
٤٩٠٠ — وسقوطه تحت ثقل أوزانهم

وهكذا سقطوا في قلب الخندق
مما جعل الترك يصرخون شامتين ويزأرون .
ونجا بعض رجالنا من تحت
الركام ، وبعضهم واجهوا هناك منايهم .
وحلّ حزن عميم بالمعسكر

- ١٤٩٨ -

عندما أوبري كليمنت فُقد
وللبكاء عليه ولتشریفه ، الهجوم
على عكا توقف .

لغم ولغم مضاد

بعد اليوم الذي شهد وفاته

٤٩١٠ — لم تمض أيام كثيرة

قبل أن تمكن رجالنا من لغم أساسات
البرج الملعون المتقدم ذكره
وأوهنوه وعلقوه حتى باتت أحواله
خطيرة ويائسة

ومثل هذا حاول الترك من جانبهم
حتى واجه كل طرف من المتعادين الطرف الآخر
وبناء عليه أوقفوا أعمال حفرهم.
وكان هناك أسرى فرنجة محبوسين

٤٩٢٠ — لحفر النفق مغلولين وبالسلاسل مصفودين

وعندما قابلوا ، رجالنا ، تكلموا
معهم ، ومن أغلاهم هربوا
ونجوا . وعندما وصل خبر فرارهم
الى الترك ، اشتعلوا غضباً

وبسرعة أغلقوا الثلثة

التي من خلالها قاموا بفرارهم .

على الرغم من مرضه رتشارد يتولى توجيه القتال

وكما رويت لكم من قبل ، ظل

الملك رتشارد في فراشه راقداً مريضاً

وقضت إرادته أنه وإن كان مريضاً

٤٩٣٠ — من المتوجب الهجوم على بلدة عكا

وكان تحت تصرفه مظلة واقية

جيدة سحبت حتى خط

الخنادق ، حيث منها رجاله من رماة القسي العقارة

أرسلوا رمايات جيدة التسديد نحو رجال أعدائهم .

وكان ملتفاً بلحاف حريري

يارب أعني ، وعلى الرغم من أوجاعه

أمر بأن يحمل نفسه وينقل الى

تحت المظلة من حيث هاجم

الأتراك بكثير من الرمايات ، التي

٤٩٤٠ — سددها نحو البرج ببراعة ونجاح .

وهاجمت آلاته ذلك البرج نفسه

وطوال ذلك الوقت قاتلهم الأتراك وردوا هجماتهم

ولم يتوقف لغاموه عن الحفر
عميقاً تحت الرج ، وتعليق
الأسوار ، حتى بهذه الوسائل
وبقذائف المجانيق
أمكن فتح ثلثة من أحد الجوانب .
وعندها صرخ ملك انكلترا
وسمع نداؤه في أرجاء المعسكر فقد
٤٩٥٠ — وقف مناديه فوق السور واتخذ موقعا له
وأعلن إن دينارين ذهبيين سوف الملك
يعطيها لكل من سيجلب حجراً
من البرج ، ثم صار المبلغ ثلاثة ، ثم بأربعة
وعد ، وسير جنديه بالعشرات
اندفعوا نحو الأسوار ، وانجرح كثير هناك

.....

وسقط عدد كبير جداً على الأرض
لذلك لم يتجرأ الباقون على المكوث
أو الاختباء وطلب الوقاية تحت الترسه
٤٩٦٠ — فقد كان السور عالياً جداً وعريضاً
ومع ذلك قاموا بمحاولات

مؤثرة في انتزاع بعض الحجارة من السور

الترك يقامون ببسالة وثبات

وأطلق الترك نشابهم الى حيث رأوا

حجارة تشد لتنتزع ، وبنشاط عظيم

أرسلوا بجروحهم وبنشابهم نحو

الذين تولوا الحفر ، وكانوا مضطرين ل اظهار

أنفسهم . وقام أحد الأتراك بلا مبالاة

بإرتداء سابغة ودروع أوبري

كليمنت وعلى مشهد عام وقف هناك

٤٩٧٠ — وبناء عليه أصابه الملك رتشارد إصابة قاتلة

برمية على صدره ، سددها بشكل جيد

فسقط ميتاً في مكانه .

ولكي يعوض الترك عن خسارته

وقفوا وعرضوا أنفسهم بشكل خطير

وألقوا بأنفسهم في المععمة

وطعنوا ورموا بكل ما أوتوه من قوة .

ولم يحدث قط أن قاتل مدافعون بمثل شجاعة

هؤلاء : ولا بد للإنسان لدى التفكير من أن يعجب بهم .

والدروع مهما كانت قوية وصحيحة

٤٩٨٠ — لا يمكنها أن تحمي الانسان وتقيه من الإصابة بجراحة :

والدروع والسوابغ فوق بعضها معاً
لم تغن ولم تفد أكثر من ثوب ملون
ضد القذائف الثقيلة التي رمت
بوساطة آلاتهم ، وكانت كثيفة جداً وسريعة .
وضد لغامينا حفر الأعداء
بشكل جيد حتى لم يعد بإمكانهم إنقاذ أنفسهم
إلا بالاسراع فراراً الى الوراء
وسخر المسلمون منهم واستهزأوا
الهجوم بوساطة المرشحين للفروسية
عندما بعد هجوم حاد

٤٩٩٠ — أنزل هذا البرج الى سطح الأرض

وعندما انقشع الدخان وترك
ظاهراً كثيراً من الثلم والتصدعات ،
المرشحون لمرتبة الفروسية شجعان وذوي رشاقة
سلحوا أنفسهم وباتوا جاهزين للقتال ،
انتبهوا لراية الكونت
صاحب ليستر ، لأنها رفعت بالأعالي
ومولاي أندرو دي كاين

كان هناك مع كوكبته ،
ومزين بزينة ثرية ومولاي هيوج
٥٠٠٠ — لى برن التحق بهم ، وأيضاً أسقف
سالسبري ، وعدد كبير من اللوردات
من كثير من البلدان ، بمقصد واحد
جاءوا الى هناك . وفي ساعة تناول الغداء
انتشروا أمام البرج .
وهجم الآن النبلاء من المرشحين للفروسية

.....

ورآنا خفراؤهم ونحن نقتحم
الأسوار ، فصرخوا عالياً بصوت النفير
واستنفرالآن من في القلعة وهاجوا
٥٠١٠ — ودهشوا عندما سمعوا صوت النفير
وتدفق الأتراك على الثلم وسدوها
والمرشحون للفروسية الذين بذلوا جهدهم للوصول
إلى هدفهم ، زحفوا متقدمين بخطوات سريعة
ثم كان بإمكانكم رؤية القوى تتلاقى
وتصطدم في معمة عنيفة
وتضرب وتطعن وتجرح وتقتل .

وكان المرشحون للفروسية منا في القتال عددهم قليل
بينما ازداد عدد الأعداء بشكل مستمر
وكانوا يحملون نيراناً مضرمة ليحرقونا
بها ، ثم إنهم رأونا ننعطف

٥٠٢٠ — عائدين لأننا لم نتجراً على مواجهة
اللهيب ، الذي أرغمنا على الهبوط .
أنا لا أعرف كم عدد الذين واجهوا
مناياهم في هذا الهجوم العنيف المضاد
وواجه البيازنة وقتاً عصيباً

ثم سلح البيازنة أنفسهم وهم
كانوا مقاتلين ذوي أفعال جريئة
وتجمهروا عند السور وتسلقوه
لكن رجال الإسلام هاجمهم
بشدة وحدة وهكذا المعركة

٥٠٣٠ — بين البيازنة وبين هذا القطيع
استعرت وكثيراً اشتدت وحميت
الى حد أن مدافعين بمثل هذه البسالة
ومهاجمين شجعان لم يعرف مثلهم قط ؛
وتوجب على البيازنة التسلق نزولاً

ولو أننا عرفنا كيف نتدبر الأمور
لكان من الممكن الاستيلاء على عكا ذلك اليوم ؛
غير أن القسم الرئيسي من الحشد
كان قد جلس للعشاء وانهمك بذلك
هناك . وكان الهجوم بدون خطة
٥٠٤٠ — لذلك تداعى ، وانتهى الى لا شيء

معاهدة فيما بين كونراد وغي

في داخل حشد الصليبيين
عقد اجتماع ووثام اقيم
فيما بين المركز والملك غي وهو وثام كان مرغوباً به بشدة .
والمركز في هذا الوضع
كان مدعوماً من قبل ملك فرنسا
في حين وقف الملك رتشارد
إلى جانب ملك البلاد ،
الملك الحقيقي للقدس
٥٠٥٠ — وبما أنه لم يكن بينهما حب
ولأن كل منهما اشتهى
نيل المملكة فقد تقرر ما يلي :
يبقى الملك غي كما هو الملك

- ١٥٠٦ -

لكن عليهما اقتسام كل شيء
هناك بمثابة ايجارات وموارد ،
وفي الوقت نفسه المركز لاستخدامه
يتوجب أن يأخذ بيروت وصيدا وصور
وذلك حتى يكون السلام سليماً وعاماً .
وإذا ما حدث أن الملك غي
٥٠٦٠ — كان لقدره الأول موتاً

المركز ينبغي أن ينال التاج وينال غيوفري عسقلان
ويافا وبعد هذا عليه
أن يتعامل مع البلاد حسبما يبدو له جيداً .
لكن المركز كان خلال حياته كلها
حسوداً لهذين الأخوين معاً .
المدافعون الشجعان عن عكا يرتعبون
ذوي فخر وأمجاد هم الرجال
داخل البلدة ، ورائعين
ولولا أنهم كانوا غير معمدين
٥٠٧٠ — ما من أحد تفوق عليهم في شجاعتهم
ومع هذا باتوا خائفين
مما رأوه ، لأنه بدا وظهر

وكان العالم أجمع قد اتحد
عازماً على سحقهم بجبروته ،
ورأوا الآن أسوارهم القوية قد دمرت
وخرقت ، وفتحت فيها ثلمات ، وحطمت
ورأوا أن قوتهم تناقصت بسرعة قصوى
وعدد كبير منهم جرح وقتل
ومع هذا فيما وراء الأسوار
٥٠٨٠ — بقي هناك ستة آلاف رجل بمجملهم ،
وذلك بما فيهم المشطوب وقراقوش
فكل من هذين العدوين المحاصرين
لم يعد لديهما أمل بالتفريع
وقد عرفا بشكل جيد الغضب والأسى
اللذان شعر بهما جميع أفراد حشدنا ، وزيادة
على موت أوبري كليمنت
عرفوا بوفاة الأبناء والأخوان
وبوفاة الأعمام والأحفاد وبوفاة الآباء
وبوفاة أبناء العم الألمان أيضاً ، الذين سقطوا
٥٠٩٠ — على أيدي الكفار
مما جعلنا نكرههم بمرارة ،

وعرفوا بشكل مؤكد تماماً
أن رجال الفرنجة المسلحين
سوف إما يموتون أو يتغلبون
عليهم . ولا يمكنهم أن يزيلوا أدوات الحصار.
وعبر المدينة أقاموا
سوراً يقسمها إلى قسمين
وأقول لكم بكل صدق
إنهم أملوا أن يقاوموا قواتنا
— ٥١٠٠ — لكن الرب ألهمهم إلى اتباع طريق
جلب لنا شرفاً عظيماً
وإليهم جلب دماراً مريعاً
وهكذا سقطت عكا إلينا، لكن
بدون توجيه ضربة، أو إطلاق رمية
وتوسلوا لصلاح الدين لارسال نجدة
وفي اجتماع عقد الآن خلف
الأسوار، قرر المسلمون
أن يطلبوا منا أماناً، حتى
يمكنهم ارسال رسالة إلى صلاح الدين .
ذلك أنه تعهد بلسانه وأقسم

٥١١٠ — أنه إذا ما غدت مجموعتهم في وضع بائس جداً

سوف يقيم سلاماً معنا

وفقاً لمطالبهم : وقد أقسم موافقاً على هذا ،

ولهذا طلبوا منا منحهم ممرآ آمناً

وأرسلوا إلى صلاح الدين رسالة ،

والتمسوا منه وترجوه في وضعه المؤلم

أن يتمسك بشدة بنبله وبأخلاقه

وبالشريعة ، التي لهم قديماً

أعطيت من قبل محمد (صلى الله عليه وسلم) ولكي لا تخرب

البلاد أو تتعرض للفساد والدمار

٥١٢٠ — من قبل أي من الفرنجة ، ولكي لا يهانوا

عليه أن يعقد مشاورة سريعة

وأن لا يهتم بأي شيء آخر

عدا التفريج عن المقاتلين

الذين بناء على أوامره ذهبوا

إلى بلدة عكا، وهناك ظلوا يدافعون

حتى كادوا أن يلامسوا سيوف الأعداء

وأن يفكر بتعاسة

أسرهم المهجورة

الذين منذ أن جاءت الجيوش ،أي منذ
٥١٣٠ — ثلاث سنين مضت لم يمتلكوا الحظ في رؤيتهم
وأنه يتوجب عليه انقاذهم مع مقتنياتهم ومن يلوذ بهم
وأن لا يدعهم يموتون لقلة الإكتراث بهم
وأن عليه أن يحافظ على العهد الذي قطعه على نفسه
وإلا سوف يقيمون — حسبما أكدوا —
صلحاً مع الفرنجة على أساس أحسن
الشروط والضمانات التي يمكنهم تأمينها .

صلاح الدين يعد بنجدة

واستمع صلاح الدين إلى شكوى
رجاله ، فتألم وغاب عن وعيه
عندما سمع بويلاتهم وبضيقتهم الشديد
٥١٤٠ — وبخزتهم وبضعفهم .

ثم عمل جواباً لهؤلاء المكرويين
بأحسن ما لديه ، وقال : إنه
تلقى أخباراً من مصر
بأن عدداً من كتائب
العساكر المقاتلة ، الذين أمر من هناك
بجمعهم ، هم قادمون على سفن سريعة

لإنقاذ الجماعة الشجاعة

في عكا، التي لن يسمح بموتها

وقال بأن الخليفة قد أجاب ووعد

بأن نجدة من عنده ستصل في خلال

٥١٥٠ — الأسبوع . وإذا هذه المعونات لم تنقذ —

هم ، عندها الوعد الذي أعطاهم إياه

سيحافظ عليه ، في أنه سوف يقيم صلحاً

مع الفرنجة من أجل تخليصهم

وذهب الرسل عائدتين إلى

المدينة ، وهناك ازدادت التعاسة .

المجانيق استمرت ليل نهار في اسقاط

الصنخور على الأسوار ، ولم تتوقف قط

وامتلاً الأتراك برعب كبير

٥١٦٠ — إلى حد التفكير بتسليق الأسوار بالليل

ومن ذلك الارتفاع يتقدمون فيلقون

بأنفسهم ، لإنهاء شقائهم وعذابهم

عجز صلاح الدين عن ارسال نجدة

قدم الرسل وعادوا مرة أخرى

والى صلاح الدين حملوا

رسالة فيها أن الموت سوف ينهي تعاستهم
مالم يحصلوا على صلح أو نجدة .
ورأى صلاح الدين بشكل واضح وصريح
الأسى ، والعذاب ، والآلام
وسوء الحظ المرير لرجاله

٥١٧٠ — وهنا عقد مؤتمراً مع أعيان أصحابه ، ثم
سأل عن الطريق الذي يتوجب عليه سلوكه
وما الذي عليه أن يفعله تجاه ما طلب منه
وقام الأمراء والسادة الأثرياء
بإجابته بكلمات رصينة وموزونة وبينوا
أنهم كانوا الأصدقاء المقربين والأقرباء
للعساكر المدافعة في داخل
البلدة ، وأنهم يرغبون بخلاصهم
أي إن عليه أن لا يعمل شيئاً باستثناء الصلح
وفق أفضل الشروط التي يمكنه نيلها
٥١٨٠ — خشية الاضطرار الى اللجوء الى حلول محزنة
وعندما سمع السلطان هذا المطلب
الذي جرى التعبير عنه من قبل كبار أعوانه
وعندما عرف بما تعانيه عكا

التي لا يمكن أن يجلب اليها تفريج
أجاب — راضياً أو بدون رضا —
وللرسل قائلاً : أيها الرجال الجيدين البواسل
ما دام الدفاع بات عاجزاً
عن انقاذ البلدة ، إنني سأوافق
على استسلامها . وتم الاتفاق
٥١٩٠ — قبل أن يذهب الرسل عائدين ،
على شروط الصلح التي
يعزمون على النقاش والتداول حولها
مع الفرنجة . وبسرور وفرح
عاد الرسل أدراجهم الى عكا .
 واجتمع أعيان المدينة وأعياننا الآن
للتداول والتباحث معاً
وأصغى أصحابنا الى الذي اقترحه رجالهم
وذلك وسط صمت فرض على الحشد
شروط الاستسلام
وبمعاونة ترجمان
٥٢٠٠ — قدم الأتراك عروضهم
وهي : لقد اقترحوا تسليم

الصليب الذي يؤمن به الفرنجة
والمدينة أيضاً ، ومن حشد
الأسرى الذين كانوا لديهم منذ أمد مديد
ألفين من الأسرى النبلاء
وكذلك خمسمائة من العوام
وأن يعطي صلاح الدين أوامر
بالبحث في جميع أراضيه
عن أسلحتهم وتجهيزاتهم وكل شيء
٥٢١٠ — امتلكوه ، وأن ما من تركي ينبغي أن يجلب
معه شيئاً سوى قميصه الذي يرتديه
وذلك عندما تأتي اللحظة التي يسلمون بها
بلدة عكا، ويخرجون منها
ووعدوا أيضاً بتقديم
مائتي الف دينار بالتام والكمال
تعطى للملكين بمثابة هدية
وعرضوا كضمانة
رهائن من أعيان الترك
ومن أصحاب المراتب والحكمة ، أي أفضل المعروفين
٥٢٢٠ — وأحسن الناس سمعة ومكانة في البلد

- ١٥١٥ -

وعقد رجالنا اجتماعاً للبحث
في الشروط التي عرضها الأتراك علينا
ووجدوها شروطاً ممتازة
وعلى هذا النوع من الصلح أعطوا الموافقة
الحالة المحزنة للمدينة

في اليوم الذي استسلمت فيه عكا
وحسبها سمعت الحكاية تحكى ، كانت
أربع سنوات مرت منذ ذلك اليوم الذي
جرى فيه إستيلاء المسلمين عليها
وإذا ذاكرتي لم تتخل عني ولم
٥٢٣٠ — تخني ، حدث ذلك في اليوم

الذي أعقب عيد القديس بندكت (١٢ تموز ١١٩١)
على الرغم من إرادة العرق المحروم من الرب
والملعون من قبله . علّ اللعنة تبقى ولا تزول
أنا لا يمكنني التمتع عن استخدام هذه الكلمات .
ثم كان عليكم رؤية الحالة المأساوية
لكنائس عكا المهجورة
والتشويه والتخريب
الذي حل بالتمثيل المقدسة

- ١٥١٦ -

تمثال الصليب رمي أرضاً

٥٢٤٠ — والصليبان والمذابح سحقتم

للسخرية من مقدساتنا

ولإرضاء كفرهم الحقير

ولإقامة شعائر محمد (ﷺ)

غير أنهم دفعوا غالياً ثمناً لهذه الالهانات

خطة فيليب لإنهاء صليبيته

تماماً في الوقت الذي كان الترك فيه

سيسلموننا الصليب ويتخلون عنه

وبعدما استسلمت عكا

انتبهوا ، بين صفوف الحشد انتشرت

أقاويل بأن ملك فرنسا

٥٢٥٠ — الذي وضع الناس ثقتهم فيه

يرغب بالعودة الى الوطن ، وأنه الآن يعد

العدة ليكون جاهزاً لمثل هذا العمل

رحمتك يا رب ، ما هذا التوقيت للمغادرة

وهذا التفكير السيء الذي أبدعه

وأن يترك رجاله في الوقت الذي الحفاظ عليهم

وقيادتهم كان هو واجبه بشكل واضح

وأعلن الملك قائلاً ما الذي يمكن
أن يكون ذلك المرض الذي يدفعه للمغادرة ،
لأن ما من أحد يمكنه تقديم أي برهان .

٥٢٦٠ — على أن المرض هو السبب المسوغ
لترك خدمة ذلك الملك الذي يقود
كل ملوك الأرض بالطول وبالعرض .
أنا لا أقول إنه لم يكن هناك
كما لا أقول إنه لم يقدم حصة كاملة من الخشب والفولاذ
والفضة والذهب ، والبيوتر ، والرصاص
ولا أقول أيضاً إنه لم يقدم الضمانة لكثير من الناس
وذلك حسبما هو لائق بملك مسيحي
وصاحب منصب هو الأعلى على وجه الأرض .
وكان ما تقدم ينبغي أن يكون سبباً لبقائه
وأن يبذل جهد طاقته بدون موارد
في هذه البلاد غير السعيدة التي
امتحننت بقسوة وألم وغضب
تعرضه لانتقادات الصليبيين
وجرت بشكل واسع وحرّ مناقشة الأخبار
وبشكل مكشوف ، في أرجاء المعسكر

بأن الملك يخطط للسفر والعودة
وأنه أعدّ العدة لذلك كل يوم
انتبهوا جميع البارونات الفرنسيون
تضايقوا وامتلاًوا غضباً
لأنهم رأوا هذا القرار لديه
٥٢٨٠ — (ورأس كل واحد منهم كاد يتفجر)

وكلما أنقص مدة إقامته
كلما ازدادوا بكاء وتصريحاً.
وعندما رأوا أنهم لم يتمكنوا من جعله
يغير مقاصده من أجل خواطرهم
أقول صدقاً إنهم بقسوة متناهية
لاموه ، واقتربوا كثيراً من
إنكار أنه ملكهم ومولاهم ، فكثيراً جداً
إزداد عدم رضاهم وكراهيتهم

إيكاله أمر رجاله الى دوق بيرغندي

أعد ملك فرنسا عدته ورسم طريقه

٥٢٩٠ — دون الإصغاء لما يمكن أن يقول رجاله

الذين حثوه على التريث

قبل أن يحمل نفسه عائداً الى فرنسا

ومضى البارونات والعساكر معه
وشكلوا حشداً عملاقاً .

وعهد بالقيادة من بعده
الى دوق بيرغندي وأوكل اليه
شؤون جميع الناس من بلاده
ومن الملك رتشارد طلب
مطلباً هو أن يعيره اثنتين من

٥٣٠٠ — سفنه . ثم الى الميناء مباشرة مضى

رجالاه . وأعطاه الملك رتشارد بمثابة
هدية اثنتين من أحسن السفن قوة وسرعة ،
وكانتا أعطية كريمة أعطاه اياها
لكنه سددها بنكران وسوء

وأقسم على الحفاظ على السلام في الغرب

الملك رتشارد الذي خدم إرادة الرب

بقي في سورية ، وكان ما يزال

لا يثق بالملك الفرنسي ، تماماً مثلما

أبويهما بدون ثقة

نظر أحدهما إلى الآخر ، وكل واحد منهما

٥٣١٠ — فعل الشر والأذى للآخر .

- ١٥٢٠ -

وطلب رتشارد منه أن يقسم
على الآثار المقدسة ، وأن يعطيه توثيقاً
جيداً وضمانة أن لا يرفع يده
ضده ، أو يحارب بلاده
ما دام غائباً في حجه

لحفظ تراث المولى الرب وصيانتته
وأنه بعد عودته الى فرنسا
أن يقدم له انذاراً مبكراً

برسالة قبل أربعين يوماً تتقدم

٥٣٢٠ — على تحركه ضده أو اعلان الحرب عليه

أو الحاق الأذى بوساطة عمل عدواني
وأقسم الملك يميناً بالمحافظة على هذا العهد
وبإيمانه وعقيدته قدم رهائن
— حسبما نذكر — رجالاً عظماء وشجعاناً
مثل دوق بيرغندي

والكونت هنري ، ومجموعة مكونة
من خمسة آخرين أو أكثر ذوي شهرة عالية
مع أنني لا أستطيع ذكر أسماء البقية

مصير رهائن فيليب

غادر الآن ملك فرنسا مودعاً
٥٣٣٠ — إني أخبركم ، ويمكنكم أن تصدقوا
أن المزيد من اللعنات
أخذ معه ولم يصطحب تبريكات
وركب هو والمركيز البحر
وأخذنا طريقهما الى صور ، حيث نقلاً
حصتهما من الأسرى المسلمين
وقراقوش كان بين هؤلاء الرجال
ومائة الف دينار هو الذي
طلبه من أجل تحريرهم
وقد اعتمد على ذلك لتزويد
جيشه بالنفقة حتى حلول عيد الفصح
٥٣٤٠ — لكن جميع هؤلاء الأسرى أصيبوا بالمرض
وعدد كبير ماتوا نتيجة إصابتهم
لذلك منهم لم يحصل على أي
ربح ، لا درهم ولا دينار
أو أي شيء يجعله غنياً
باستثناء نصف الغنائم التي

- ١٥٢٢ -

وجدوها في عكا . وبعدم رضا
جنوده غالبا ما تشكوا
أنهم لم يحصلوا على المزيد من العطايا
٥٣٥٠ — ومن ها هنا جاء عدم وفاق كبير
لكن فيما بعد ، بناء على طلب الدوق —
الذي حصل من ذلك على منافع
واضحة — توفر هناك قرض
مقداره خمسة آلاف مارك فضي على
حساب الرهائن . والملك رتشارد هو الذي
قدم القرض : وبهذا جرى الدفع للعساكر الفرنسية
لكن جاء وقوع هذا بعد كثير من التأخير
استمرارية رتشارد
أدرك الآن الملك رتشارد ادراكاً جيداً
أنه طالما أن ملك فرنسا قد مضى وانصرف
٥٣٦٠ — وأنه سوف لن يبقى ، فإن الجهد والمال
لا بد من أن يتولاهما الآن تماماً
ولذلك أخذ من خزانته
فضة وذهباً بكميات كبيرة . وقد
أعطى بكرم وافضة مما لديه

إلى الفرنسيين ، وبذلك أدخل السرور
عليهم جميعاً ، لأنهم كانوا حزينين جداً
وكان كريماً نحو الآخرين
حتى يمكن أن يمنحوه ولاءهم بسهولة .
ملك فرنسا الى بلاده قد

٥٣٧٠ — عاد . الملك رتشارد بيده تناول

المسؤولية . وهولن يتزحزح عن جانب
الرب . وأعلن بوساطة المنادي وطلب
الى الحشد الاجتماع الذي انتظر أربعة عشر يوماً
ثم ازداد اسبوعاً ، فوق الميعاد المقرر
والمتفق عليه . لأن صلاح الدين لم يف
— أو أن الرب قضى أن تكون الأمور
هكذا — بالتعهدات التي على نفسه قطعها
ولهذا السبب الحشد تأخر
وأعدّ الملك العدة للارتحال

٥٣٨٠ — وحمل السفن وأعدّها

وآلاته ومجانيقه لموسم
الصيف كانت تقريباً جاهزة
ورغب الى الجميع أن يستعدوا .

- ١٥٢٤ -

وأمر بترميم أسوار عكا وجعلها
أقوى من ذي قبل وأعظم حجماً
وفي الوقت نفسه غالباً ما شغل نفسه ووجد متعة
بالإشراف على العمال وهم يعملون
لأن الأمل الأعظم للملك كان في
استرداد أرض الرب وجعلها سليمة
٥٣٩٠ — لنا . وهذا الانتظار جعله غاضباً

ولولا الحسد الذي أعاقه
لحقق أوفى نجاح وأعظمه
مما طلة المسلمين

حل الآن الوقت للعمل
وللوفاء باليمين والعهد
الذي قطعه المسلمون على أنفسهم
للفرنجة ، لكن ما زال الصليبيون لا
يعلمون أنهم بالمكر وبالمعاذير العابثة
قد خدعوا . والمسلمون قالوا
حتى يجدوا الصليب لمزيد من الوقت
٥٤٠٠ — طلبوا ، ودوماً تساءل رجالنا
حوله وطلبوا الأخبار .

لكن إرادة الرب قضت برفض
حفظ أو بقاء هؤلاء الذين عوضا عنه
كانوا سوف يتم تسليمهم .
وروى أحد الناس وقال «إنه موجود هنا »
وقال آخر: « هذا الرجل رآه بوضوح
لأنه ذهب الى ما بين المسلمين !
لكن هذا كله كان كذبا وخداعا .
فصالح الدين لن يعين أو يرعى
الرهائن ، لكنه تركهم يهلكوا
لأنه كان في ذهنه أنه بوساطة الصليب
يمكنه أن يحصل على صلح أكثر موائمة
ضراوة كونراد ووحشيته
وبينما كانوا ما يزالون متأخرين ويستعدون
مقدموا الفرنجة بعثوا برسالة
إلى المركز الذي كان في صور
وقد سألوه الآن ومنه طلبوا
وجوب القدوم الى عندهم ، وحمل
الرهائن وأخذ الحصنة
العائدة الى ملك فرنسا وهي

٥٤٢٠ — نصفهم ، حسبها في المواثيق

وأسقف سالسبري الذي

اصطحب معه من البارونات اثنين هما

الكونت روبرت والمخلص بيير

دي برو الذي كان لطيفاً وشجاعاً

فهؤلاء السادة الثلاثة تولوا السفارة

المركز الذي امتلاً غضباً

أعطى جواباً بأنه لن يستجيب

لأنه الى الحشد لا يجرؤ على الذهاب

ذلك أنه يخشى من رتشارد

٥٤٣٠ — أكثر من أي انسان حي آخر

وزيادة على هذا ، إذا كان سيتخلى عن

الأسرى الأتراك الذين لديه

فهو يطالب بتقسيم الصليب الحقيقي

حتى يمكن أخذ حصته منه

وإذا ما نفذ هذا هو سيطيع

وسوف يسلمهم من دون تأخير

وسمعوا الجواب الضاري

الذي قدمه المركز الوقح

ولقد وثقوا بصدقه قليلاً
٥٤٤٠ — ومع ذلك بذلوا جهدهم لتهدئته
وقالوا له : واحداً منهم سوف هنا
يبقى رهينة . وبدون خوف
يمكن للمركز المضي والمثول أمام
الملك . لكن مرة ثانية هو أقسم
أنه لن يخطو خطوة واحدة
على ذلك الطريق . ولم يودعوه ، بل حملوا
أنفسهم عائدين الى عكا وللملك
أخبروا بكل شيء ، ولم يغيروا شيئاً أبداً
المركز يرفض الالتحاق بالمعسكر
وغضب الملك تجاه هذه الوقاحة
٥٤٥٠ — فبعث وأحضر دوق بيرغندي
وبعث خلف اللورد درو دي أمين
الذي كان سيداً نبيلاً وممتازاً
وكذلك خلف روبرت دي كوينسي ، والآن عندما
بحضرته مثل هؤلاء الرجال
عرض عليهم البعد عن
المنطق ، والجريمة ، والعذر الذي

بعثه المركيز وعلل به
عدم قدومه واحتفاظه
بالأسرى ، وأنه يريد المشاركة بالمملكة
٥٤٦٠ — بدون أن يحمل ترساً أو خوذة

وأنه قطع المؤن عنهم
وعلى هذا الى صور لم يعد يأتي شيء
وهذا ينبغي أن يوقف ويوضع له حد
وقال : « هذا تصرف مجنون وأحمق »
ثم أردف يقول : « سادتي الدوقات اليه ينبغي
الآن أن تذهبوا ، فإذا ما أخذنا بالحمق
سوف لن نحقق شيئاً يستحق الذكر
وانطلق دوق بيرغندي وذهب
وروبرت دي كوينسي ، وكان مستقيماً وصادقاً
٥٤٧٠ — ومولاي درودي أمين ، ذهب أيضاً

ومع المركيز في صور التقوا
ووجهوا باسم الرب له دعوة بالحضور
وكذلك باسم ملك انكلترا
وأن عليه تقديم العون لإعادة الاستيلاء
ولاسترجاع أراضي سورية

- ١٥٢٩ -

بما أنه يطالب بجزء منها .
وخاطبه هؤلاء الرجال بشكل لطيف
لكنه أجابهم بوقاحة وعجرفة
بأنه لن يخطو خطوة نحو الحشد
٥٤٨٠ — لكنه سوف يحمي مدينته ، وتبجح متفاخراً

أنه هناك لا يخشى من أي انسان حي
ولهذا لوقت قصير بذلوا جهدهم معه
لكن هؤلاء الشخصيات النبيلة الثلاث
أقنعوه بالتخلي عن رهائنه
ومعهم مرغمين عادوا راجعين
وذهبوا للالتحاق بالحشد عند عكا
اخفاق صلاح الدين في انقاذ رهائنه وتخليصهم
وهكذا جرى استرداد الرهائن
الذين كانوا محبوسين في صور
وبعد مضي أربعة عشر يوماً ، وأكثر

٥٤٩٠ — على الموعد المحدد

للأعداء للوفاء بمجمل
الوعود التي قطعوها
للمصلبيين . فالسلطان صلاح الدين

- ١٥٣٠ -

كان مزيفاً ومخادعاً
أخفق في فداء أو استرداد
رجالہ الذين الى الموت سلمهم
وبذلك فقد سمعته الجيدة
التي اكتسبها حتى هذا الحين
لأنه لم يكن هناك في البلاد بلاط
٥٥٠٠ — لم يحظ بداخله بسمعة طيبة
لأن الرب يمنح أحياناً عدوه
فرصة ، ثم الى الخضيض يسقطه
ويرفع بالوقت نفسه من شأن صديقه
ويقود جهوده نحو نهاية طيبة .
لكن صلاح الدين لن يتمتع ثانية
بالسمعة الطيبة التي نالها من قبل
لأن جميع الانتصارات التي
نالها من الصليبيين
نالها لأن الرب اختار من خلاله
٥٥١٠ — أن يعمل ، وأن يرد من خلال عمله
هؤلاء الذين ضلوا من شعبه
وأن يعيدهم مرة أخرى الى جادة الصواب

الذين جرى قتلهم من قبل الصليبيين

وعندما بات الملك رتشارد أخيراً

مصدقاً، ومتأكداً ، بدون

أي شك ، أنه قد استحمق

من قبل صلاح الدين ، وسخر منه

وأنه عن عمد يعيث به

وكان آسفاً وحانقاً

لأن الحشد لم يقيم بمغادرة

٥٥٢٠ — أكثر سرعة ، وذلك عندما علم بالخدعة

وكيف أن صلاح الدين لن يفعل شيئاً

ولن يدفع الى هؤلاء الرجال المزيد من الاهتمام

وهم الذين تولوا حراسة عكا عوضاً عنه ،

رتشارد عندها دعا الى اجتماع

النبلاء وعليهم عرض القضية

بإيجاز . وفكروا بالأمر وقرروا

أن عليهم قتل الجزء الأكبر

من المسلمين ، وأن يوفروا فقط

الذين من أسرنيلة وعالية

٥٥٣٠ — حيث من الممكن بيعهم مقابل رهائننا

- ١٥٣٢ -

وقام الآن ملك انكلترا الذي
سمع هذا بقتل عدد هائل من المسلمين
فبعد الآن لن يعود ذهنه مشغولاً
بهم ، وبذلك كان يدمر فخار الأتراك وظلمهم
وينتقم للصليبيين
ألفين وسبعمئة ، جميعهم
بالأغلال ، اقتيدوا الى خارج السور
حيث قتلوا كل واحد منهم
٥٥٤٠ — وهكذا بوساطتهم جرى الانتقام
من ضرباتهم ومن جروح قسيهم العقارة .
ولهذا سينال أعظم مباركة !
رتشارد يخطط للزحف جنوباً
صوت النفير وسط الحشد دوى
للاجتماع عند حلول المساء
وباسم الرب، المعطي
لكل الخيرات ، يتوجب عليهم عبور نهر
عكا ، ومن ثم عليهم الزحف مباشرة
وبلا توقف حتى يصلوا الى عسقلان
ليستولوا على الساحل بقوتهم

٥٥٥٠ — وحمّلوا — السفن — بالبقسماط وبالذقيق
وبالخمرة ، وباللحوم ، وبقية أنواع المؤن .
زيادة على هذا صدرت الأوامر
بأن على كل انسان أن يحمل معه مؤونة عشرة أيام
من الطعام ، وتوجب على البحارة الإبحار
على محاذاة الشاطئ ، وأن يجلبوا بوارجهم
معهم ، كلها محملة بما احتاجوا اليه
ثم على الغلالين التقدم
والسير بعدهم بسرعة

٥٥٦٠ — حيث ينبغي نقل كل من العساكر والأطعمة
بهم ، وأن يكون الجند مسلحين جيداً ومجهزين
وهكذا خططوا بوساطة قوتين
القيام بالاستيلاء ، واحدة بالبر
وأخرى بالبحر ، لأنه لم يتوفر
سبيل آخر لتحقيق أغراضهم
والاستيلاء على سورية التي سقطت
تحت نير حكم الأتراك وتسلطهم
شهداء حصار عكا
وبقي الجيش واقفاً أمام عكا

صيفاً واحداً بكامله وشتائين اثنين
وتقريباً حتى منتصف آب، وقد تمزق
٥٥٧٠ — بالصراع وبالنفقة وبالمرض، وبالمخاطر،

وعندما أمر الملك بقتل
أولئك الذين استحقوا ذلك لما اجترموا
بحق الرب وبحق حجاجه، حيث
جعلوا اليتامى كثيرين جداً.
ولأن كثيراً من الفتيات بلا عون
تركن، وسبوا الترملة لعدد كبير جداً
ودمروا كثيراً من النبلاء
وتركوا أسقفيات وكنائس
٥٥٨٠ — خاوية ولرعاهم دمروا.

وكتبت هناك رواية
من قبل كاتب جيد لأمير وكونت
مات هناك، وسجل ودون
أسماء الذين تمتعوا بشيء من الشهرة
لكن ليس أسماء الأناس الصغار أو الذين بلا اعتبار
ولو رغب في تسميتهم جميعاً
لطالت اللائحة طولاناً كثيراً

- ١٥٣٥ -

ولما انتهى عمله وكتابه أبدأ.

وفي مخطوطته كتب أسماء

٥٥٩٠ — ستة رؤساء أساقفة (*) كما تلاحظون

وكذلك اثني عشر أسقفاهم ماتوا

والبطريك، ولندع جانباً

الكهنة، ورجال الدين، الذين قليل

يمكنهم بتأكيد ذكر أعدادهم.

ومثل هذا في مخطوط الكاتب

أسماء أربعين كونتاً قتلوا.

وخمسة من كبار ملاك الأراضي

الذين ابتغوا التدوين في مخطوط ربهم

أرجو الرب أن يغفر لهم ويمنحهم الرحمة

٥٦٠٠ — ليجدوا أماكنهم في مملكة الرب

وكذلك لجميع الناس الذين هلكوا هناك

* كان من بين رجال الدين هؤلاء هرقل بطريق القدس، وبلدوين رئيس أساقفة كانتربري، و(ليتارد؟) رئيس أساقفة الناصرة، و(تيري دي مونتفوكون) رئيس أساقفة بيسانكون، و(بيردي اسنارد) رئيس أساقفة آرل، و(كاروس أوليم؟) رئيس أساقفة مونريال، و(يودس) أسقف صيدا، و(يودس؟) أسقف بيروت، وأسقف عكا. وأسقف القديس جورج في اللد، وأسقف الخليل، وأسقف طبرية.

- ١٥٣٦ -

ولجميع الذين إلى هناك توجهوا
وللعمال البسطاء وشحن القلاع
الذين ساعدوا جيش الرب على البقاء
ولكل انسان قام بدوره
فلهم جميعاً ينبغي أن نصلي بقلوبنا كلها
حتى يرحب الرب بهم ويستقبلهم بين
نخبته، وبين حشده السماوي
حيث يكون مقامهم رائعاً

٥٦١٠ — حسبما وعدهم ووعدنا

لصالحهم ولسعادتهم ولنا أيضاً حتى يمكن
لكل انسان للصلاة الربانية يقول .

اجراءات رتشارد الاحترازية

عند ماهؤلاء الكلاب الحقراء قتلوا، وهم الذين
تمسكوا بعكا طويلاً وقاموا بردنا
غالباً؛ أخذ الملك من الخندق
خيامه وأعطى أوامر بنصبها قرب الدفاعات
وذلك أثناء انتظاره للحشد ليشرع.
ووجد من الموائم والمفيد

٥٦٢٠ — أن يحشر سيرجندية مشاة حول خيمته:

لأن المسلمين الخونة كانوا سيأتون
ويقلعون بحملات مرعبة جداً
ويزأرون ويقاتلون بحدة وشدة،
عندما قلة من رجالنا يتولون الحراسة.
واعتماد الملك على هذه الانذارات
وكان الأول فيمن ينهض ويحمل السلاح
ليحمل على العدو المكروه
وليعمل أفاعيل فروسية
أسر اثنين من لوردات الصليبيين
وصدف في أحد الأيام أنهم طاردوا—
٥٦٣٠ — هم، وأن القتال تجدد

الملك وجميع الصف الذي معه
حملوا السلاح وانخرطوا في المعركة
وكان معهم كونت هنغاريا
وعدد كبير من العساكر من أتباعه؛
وقد حملوا متقدمين ضد الأتراك
وعمل بعضهم أفاعيل شجاعة
لكنهم تبعوا رجال أعدائهم المنهزمين
بعيداً جداً، فوقعوا في محنة شريرة

وأسروا كونت هنغاريا—*

٥٦٤٠ — وكان رجلاً عالي المقام والمكانة—

وأسروا أيضاً لوردًا اسمه هيوج

وكان سيداً ولد في بواتو

وهو الذي كان مارشال الملك.

وقاتل الملك هناك وناضل بكل مأوته من قوة

ناوياً على انقاذ هيوج، لكنهم

كانوا قد أخذوه وحملوه بعيداً.

أسلحة المسلمين وتكتيكاتهم

ولأن الأتراك امتلكوا عوامل تقدم

خطيرة، كلفنا ذلك ثمناً غالياً:

فقد كان الفرنجة يرتدون السوابغ ويلبسون الدروع

٥٦٥٠ — وكان ذلك ثقيلاً. وكان كل واحد من المسلمين يحمل

دبوساً، وقوساً، وسيفاً، ويحمل رمحاً

بسنان حاد، ولا يحمل معدات أخرى

سوى سكين ذات وزن خفيف.

وعندما تطاردهم يخيل للإنسان

أن خيولهم لانظير لها واحدها مثل السنونو

عندما يطير، فما من أحد قادر على اللحاق به

والأتراك بارعين جداً بالتغريز
برجال أعدائهم عندما يكونون عرضة للمطاردة
تراهم مثل مثل حاقد سام
٥٦٦٠ — ومثل ذباب بغيض يطير من حولنا.
إذا ما طاردته، تراه يطير ويهرب
وعندما تعود، يعود ويجدد مراغمته.
فهكذا ضايق جمع الكفار
وآذوا الملك رتشارد وتركوه بلا راحة:
وكان ينقض عليهم، فينهزمون
وينعطف ليعود، فيتبعوه
وكانوا أحياناً يطاردون فيخسرون
وأحياناً يربحون أكثر مما يخسرون
العالم والجسد والسيطان
كان الملك رتش ٠ في داخل خيمته
٥٦٧٠ — ينتظر الحشد، وسر نف إلى الأمام،
ولعبور الخندق كان رجاله بطيئين جداً
وبيطيء أعدادهم تزايدت،
ونادراً ما حوت اسوار عكا مثل
جمهور الناس هذا الذي هناك بقي.

ثلاثمائة ألف رجل، بدون شك
كانوا هناك داخل المدينة وفي خارجها.
وكانوا كسالى متراخين الى أبعد الحدود
لأن البلدة كانت قد امتلأت بالمسرات.
كانت هناك خموراً جيدة ووفرة من كل شيء
وكثيراً من الفتيات الجميلات - ٥٦٨٠ -

ومع الخمر ومع النساء
أسرفوا بالشور وبالاعمال المخجلة
وكان هناك الكثير الكثير من المساوىء في داخل
البلدة، والكثير الكثير من البغاء ومن الذنوب
الى حد أن العقلاء والناس ذوي القدر ارتعبوا
وشعروا بالخجل تجاه ما اقترفه أتباعهم
زحف عساكر الفرنجة نحو الأمام
وجرى جمع الحشد، والى الأمام تقدم.
تماماً مثل شعلة شمعة مغطاة
تنطفئ عندما تتعرض لهبات ريح قوية
لذلك توجب اطفاءها وتركها وتخليفها - ٥٦٩٠ -
فلقد جاء الحمقى فقط
أما الحشد، فبسبب فساده

وبسبب النساء، كله حبس وأعيق
عن الذهاب، وفي عكا رجاله مكثوا وبقوا
باستثناء بعض السيدات العجائز اللاتي كدحن
والسيدات اللواتي تولين غسل الثياب المتسخة
وغسلوا رؤوس الحجاج، فهؤلاء كن
نافعات مثل القردة للتفلية والتقاط القمل
انتبهوا، الحشد عند انبلاج الصباح
تسلح واصطف في صفوف جيدة - ٥٧٠٠
واتخذ الملك موقعه في ساحة الجيش
ليحول دون وقوع حوادث مشؤومة
وقطعوا في ذلك اليوم مسافة قصيرة:
فعندما علم الشعب الكافر الملعون
وبات يعرف أن الجيش يزحف نحو الامام
كان بإمكانهم رؤيتهم مثل المطر يتدفقون هابطين
من التلال، هناك ثلاثين وهنا عشرين
لأنهم كانوا جداً محزونين ولشدة غضبهم متألمين
لرؤيتهم الذين جرى قتلهم
من أقربائهم، هناك موتى متمددين - ٥٧١٠
لذلك لحقوا بدون راحة

- ١٥٤٢ -

الحشد، وضايقوه وشددوا الضغط عليه.
لكن حمداً للرب ضغيتهم
لم تجد نفعا. وغادر رجالنا من هناك
وعبر نهر عكا اتخذوا
طريقهم، فنصبوا الخيام، وهناك أقاموا
وانتظروا، لأنه كان هناك ما يزال بعض
الناس في داخل عكا، لم يقدموا بعد
من المدينة، وكان من الصعب جعل
الجميع يتخلون عن البلدة في وقت واحد . - ٥٧٢٠ -